مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية

السنة الثامنة/ العدد التاسع والعشرون/ لسنة ١٤٣٧هـ

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية

مركز الهدى

- مركز علمي مستقل يعنى بالقضايا والشؤون الحوزوية.
- يعنى بانجاز البحوث والدراسات العلمية التي تهم الحوزة العلمية وسبل إسنادها وتطويرها والدفاع عنها.

مشرف العام

السيد قاسم هاشم مولى

رئيس التحرير

السيد عبد الله هاشم مولى

المتابعة الفنية

السيد علي مطر

المراسلات:

رئيس التحرير السيد عبدالله هاشم مولى

Hashemi94@gmail.com

+٩٦٤-٧٧١٠٥٥٨١٢٣

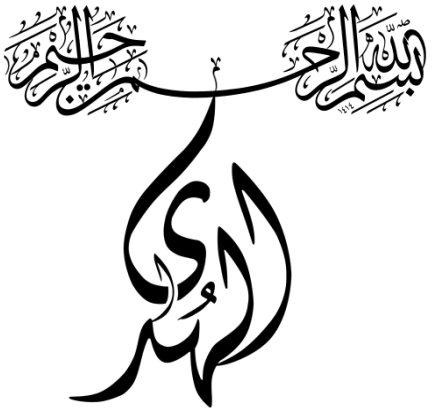

مجلة علمية فصلية تعنى بالشؤون الحوزوية تصدر عن

مركز الهدى للدراسات الحوزوية

شروط النشر في مجلة الهدى

تود هيئة تحرير مجلة الهدى ان ترحب بالأخوة والأخوات الباحثين والمتخصصين في الدراسات الدينية الحوزوية والذين يرغبون بنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية والاكاديمية في مجلة الهدى وفق المعايير التالية:

- أن تتناول البحوث والدراسات الشؤون الحوزوية المعاصرة وكل ما له علاقة بتطوير الحوزة والدفاع عنها وعكس صورتها المثلى
- تعتمد المجلة الأساليب العملية الراهنة في الكتابة والتوثيق والحيادية والموضوعية والدقة والإشارة إلى المصادر حسب القواعد العلمية المتعارف عليها.
- أن لا تكون البحوث قد نشرت في مجلات أخرى
- تقدم البحوث إلى المجلة مطبوعة وعلى (CD) مع موجز خالي من الأخطاء الطباعية.
- تخضع البحوث والدراسات إلى التحكيم العلمي المتعارف عليه أكاديميا ولا تعاد البحوث إلى أصحابها في حالة الاعتذار عن نشرها
- تنشر البحوث والدراسات وفق خطة هيئة التحرير والنشر

مجلة علمية فصلية تعنى بالشؤون الحوزوية تصدر عن

مركز الهدى للدراسات الحوزوية

عدد خاص بالصحوة الإسلامية

كلمة التحرير ٧

رئيس التحرير

الصحوة الاسلامية ستغير وجه المنطقة ٩

كلمة الإمام السيد علي الخامنئي في مؤتمر الصحوة الإسلامية

الإمام الخميني قدس سره إعادة تشكيل العقل السياسي الإسلامي ٢٣

د. محسن صالح

الثورة الصحوة... في منظار القائد الخامنئي ٤٣

حسن شقير

التحولات في العالم العربي ٥٩

محمد صادق الهاشمي

تأثير فكر الإمام الخميني الثوري على الحالة الثورية في العالم العربي ٧٥

د. أحمد صبري السيد

الصحوة الإسلامية المعاصرة الدوافع والتحديات ١٠٩

أ.م.د. عزيز جبر شيال

الصحوة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي.....١٢٥

نزيهة صالح

المستضعفون في عالم المستكبرين في فكر الإمام الخميني ١٤٣

د. زينب شفيق

الأسس والجوانب الثورية في فكر الإمام الخميني ١٩١

مجدي عبد الهادي

كلمة التحرير

في المؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية، والذي عُقدت حلقاته في السابع عشر من أيلول للعام ٢٠١١م. في العاصمة الإيرانية طهران، أطل السيد القائد على المؤتمرين بكلمة افتتاحية شاملة حول الصحوات الإسلامية في العالم العربي... من تونس ومصر إلى اليمن فالبحرين.. حيث أرجع السيد القائد الثورات الحاصلة في تلك البلدان إلى منابعها الإسلامية الأصيلة في القرآن الكريم.. في تفسير جديد ومبتكر لآيات القرآن الشريفة ـ والذي تجري آياته مجرى الشمس ـ حيث يمكننا أن نضعه تحت عنوان معاصر لأحداث هذه المرحلة المشرقة من تاريخ أمتنا العربية والإسلامية.. ألا وهو «التفسير الثوري للقرآن»، حيث أن سماحته دعّم مقاطع مداخلته المتعددة بآيات بينات منه... في دعوة صريحة لنا لإعادة قراءة كتاب الله مجدداً، ولكن بفهم ثوري هذه المرّة.

استهل السيد القائد كلمته بإطلالة أصيلة حول الأسس الصافية للثورة.. موجزاً إياها بأنها تعتمد على ركائز المعرفة المتراكمة والتجارب المتكررة للشخصيات العظام في العالم الإسلامي.. مؤكداً أن مرحلة السبات التي عاشها العالم الإسلامي، كانت بفعل المدارس الفكرية المادية وأنظمة الحكم المعتمدة.. والتي كان لها اليد

الطولى في إقصاء الأجيال المسلمة عن أدوارها السامية المفترضة... معللاً أن نجاح النموذج الإيراني للثورة الإسلامية المباركة فيها على يد الإمام الخميني الراحل قده، إنما يتمثل بارتباط ذاك النموذج بجذور تاريخية.. وأرضية إجتماعية وفكرية... مستشهداً بإنتصار الدم على السيف في معركة كربلاء.. مع عظم الباطل حينها.

بعد هذه المقدمة الأصيلة، قدّم السيد القائد شرحاً دقيقاً لهذه الصحوات والثورات.. محدداً هويتها الصافية المتميّزة والمختلفة عن نظيراتها من الثورات الزائفة.. ليغوص بعدها في المقطع الثاني من كلمته في شرح مسهب للأخطار والآفات التي ستعترض حتماً هذه الصحوات المباركة.. مقدماً شرحاً مستفيضاً حول أليات وأساليب عمل الأعداء المتربصين بالثورة شراً بغية وأدها في مهدها... ليشير سماحته إلى مجموعة من الإرشادات الهادفة إلى كسر مؤامراتهم المتصاعدة والمتطورة مع مراحل الثورة... ليصل إلى المقطع الثالث من كلمته بتوجيه حزمة قيّمة من النصائح والتوجيهات للقوى الثورية ولشعوبها، بغية الحفاظ على الثورة ومنجزاتها وعدم مصادرتها أو حرفها عن مسارها الصحيح.... ثم ختم كلمته برسم مسار إسلامي رائع لنجاح أية ثورة حقّة.. ينطلق من التقوى.... وصولاً إلى التوكل على الله سبحانه وتعالى.

ولقد ارتئينا نحن في مركز الهدى للدراسات الحوزوية أن يكون ملف العدد (١٤) من مجلة الهدى يسلط الضوء على موضوع الصحوة الإسلامية التي تشهدها المنطقة في ظل خطاب الإمام الخامنئي.

الصحوة الاسلامية ستغير وجه المنطقة

كلمة الإمام السيد علي الخامنئي في مؤتمر الصحوة الإسلامية

اعتبر قائد الثورة الاسلامية فى ايران آية الله الإمام السيد على خامنئى أن الصحوة الاسلامية التى تشهدها المنطقة تبشر بانتصار الشعوب على الاستكبار وسيادة الاسلام فى المنطقة والعالم

اعتبر قائد الثورة الاسلامية فى ايران آية الله الإمام السيد على خامنئى أن الصحوة الاسلامية التى تشهدها المنطقة تبشر بانتصار الشعوب على الاستكبار وسيادة الاسلام فى المنطقة والعالم.

وفى كلمته بافتتاح المؤتمر الاول للصحوة الاسلامية الذى بدأ أعماله السبت فى طهران، أكد قائد الثورة الاسلامية أن الشعوب هى التى دخلت بنفسها فى الساحة لتحقيق مطالبها فى الحرية والكرامة والعزة، ولن يستطيع المستكبرون وعلى رأسهم اميركا وحلفاؤها بعد ذلك فرض هيمنتهم على الشعوب.

واضاف سماحته أن المؤامرات التى حاكها الغرب ضد المسلمين منذ عشرات السنين لن تجدى نفعا، وأن الانتصار النهائى للاسلام، هو قادم لامحالة.

واكد قائد الثورة، ان الصحوة الاسلامية التى تدل على حالة النهوض والوعى بين شعوب المنطقة هى التى جمعتنا هنا اليوم وان هذا الوعى وحالة النهوض فى الامة الاسلامية الحقت الهزيمة بالاستكبار.

واضاف قائد الثورة الاسلامية ان ما جرى فى بعض البلدان الاسلامية كالعراق وافغانستان كان مقدمة للنهضة الاسلامية فى المنطقة ضد الاستكبار موضحا: ان طرد العدو جاء بفضل تصدى الشعوب باجسادها وارادتها، وايمان تلك الشعوب بوجوب التخلى عن الاستبداد.

واشار اية الله خامنئى الى ان مبادئ الصحوة الاسلامية تتجلى فى احياء العزة الاسلامية، مضيفا: ان تحقيق اهداف الصحوة الاسلامية لا يسنجم مع رغبة الغرب والكيان الصهيونى.

وصرح قائد الثورة الاسلامية ان مواجهة الاخطار التى تعترض التحركات الاسلامية كفيل بابطال المخططات الغربية التى تريد النيل منها، متابعا القول: يجب معرفة الاخطار التى تواجه الصحوة الاسلامية للوقاية من انحرافها.

واشار سماحته الى ان الخطر الاول الذى تواجهه الصحوة الاسلامية هو ثقة النخب السياسية بالعدو والانخداع بوعوده موضحا: ان التبعية الاقتصادية والسياسية للغرب يعنى عودة هيمنة الاجانب على البلدان التى اطاحت بالديكتاتورية.

وحول ما يدور فى ليبيا قال اية الله خامنئى ان التدخل الاميركى والغربى فى ليبيا قد ازهق الكثير من الارواح ودمر البنى التحتية مؤكدا ان الشعب الليبى هو الذى يحق له ان يرسم عجلة النصر ولا يحق للذين كانوا يدعمون القذافى ابدا التدخل فى مستقبل ليبيا.

واكد سماحته ان اهم مطالب الشعوب الاسلامية هو الحضور الفاعل

والدور الحاسم فى ادارة بلدانهم دون استنساخ للديمقراطية الغربية.

واضاف «ان تونس واليمن والبحرين سوف تجرى على منهاج واحد من احياء العزة والكرامة الوطنية لنيل مطالبها كما ان ما نعرفه عن مصر تاريخا وشعبا هو الذى دفع الشعب المصرى الى النزول الى الساحة لقول كلمته».

وفيما يلي نص كلمة قائد الثورة الاسلامية:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين، قال الله العزيز الحكيم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾.

أرحّب بالحضور الكرام والضيوف الأعزاء.

إن ما جمعنا هنا هو الصحوة الإسلامية، أعني حالة النهوض والوعي في الأمة الإسلامية، التي أدت إلى تحوّل كبير بين شعوب المنطقة، والى انتفاضات وثورات لم تكن تستوعبها أبداً محاسبات الشياطين الاقليميين والعالميين. ثورات عظيمة هدمت قلاع الاستبداد والاستكبار وألحقت الهزيمة بحرّاسها.

إن مما لاشك فيه أن التطورات الاجتماعية الكبرى تستند دائماً الى خلفية تأريخية وحضارية، وهي حصيلة تراكم معرفي وتجارب طويلة. في الأعوام المائة والخمسين الماضية كان حضور الشخصيات الفكرية والجهادية الكبيرة والفاعلة

الإسلامية في مصر والعراق وإيران والهند والبلدان الأخرى الآسيوية والأفريقية مقدمة تمهيدية لهذا الوضع الراهن في العالم الإسلامي.

إنّ ماجرى في العقدين الخامس والسادس من القرن الميلادي الماضي في عدد من البلدان من تطورات أدت إلى تولّي أنظمة تميل غالباً إلى مدارس فكرية مادية، وقد تورّطت بمقتضى طبيعتها بعد أمد في شراك القوى الاستكبارية والاستعمارية الغربية، إنما هو أيضاً من التجارب المليئة بالعبر وكان له حيز كبير في بلورة الأفكار العامة والعميقة في العالم الإسلامي.

إن ما شهدته إيران من ثورة إسلامية كبرى هي على حد تعبير الإمام الخميني العظيم انتصار الدم على السيف، وإقامة نظام متجذّر ومقتدر وشجاع ومتطوّر وموثّر في الصحوة الإسلامية الراهنة، هو أيضاً يشكل فصلاً مُسهباً يحتاج الى بحث وتحقيق، وسيستوعب حتماً مساحة هامة في تحليل وتدوين الوضع الحالي للعالم الإسلامي.

و الحصيلة أن الحقائق المتزايدة الحالية في العالم الإسلامي، ليست بالحوادث المنفصلة عن جذورها التأريخية وأرضيتها الاجتماعية والفكرية، ولذلك من العبث أن يعمد الأعداء أو السطحيون الى اعتبارها موجة عابرة وحادثة سطحية، وأن يحاولوا بتحليلاتهم المنحرفة والمغرضة إطفاء جذوة الأمل في قلوب الشعوب.

إنني في حديثي الأخوي هذا أريد أن أقف عند ثلاث نقاط أساسية:

١ـ إلقاء نظرة اجمالية على هوية هذه النهضات والثورات.

٢ ـ الآفات والأخطار والعقبات الكبرى التي تعترض طريقها.

٣ـ اقتراحات بشأن مواجهة هذه الآفات والأخطار ومعالجتها.

١ـ في الموضوع الأول، أعتقد أن أهم عنصر في هذه الثورات الحضور الواقعي والشمولي للشعوب في ميدان العمل وساحة النضال والجهاد، لا فقط بقلبهم وبعواطفهم وإيمانهم، بل أيضاً بأجسامهم وإقدامهم.

إن الفرق كبير وعميق بين مثل هذا الحضور، وبين انقلاب يقوم به جمع من العسكريين أو مجموعة مناضلة مسلحة أمام شعب لايتفاعل معهم أو حتى أن لا يكون راضياً عنهم.

في حوادث العقدين الخامس والسادس من القرن الميلادي الماضي كان عبء الثورات في عدد من بلدان آسيا وأفريقيا لاتحمله الجماهير والشباب، بل تنهض به مجموعات انقلابية أو فئات صغيرة ومحدودة مسلحة. أولئك عزموا وأقدموا، ولكن حين غيروا هم أو الجيل الذي تلاهم طريقهم على أثر دوافع وعوامل عديدة فإن الثورات قد انقلبت الى ضدها وعاد العدو ليفرض سيطرته مرة أخرى.

إن هذا يختلف كل الاختلاف مع تغيير تنهض به جماهير الشعب التي تندفع بأجسامها وأرواحها إلى الميدان وتطرد العدو من الساحة.

و هنا، وهنا فقط تصنع الجماهير شعاراتها، وتحدد أهدافها وتشخّص عدوّها وتفضحه وتتعقبه، وترسم ـ ولو بإجمال ـ مستقبلها، وبالنتيجة تقطع الطريق أمام الخواص المداهنين والملوثين بل أمام المندسّين وبذلك تحول دون الانحراف ومداهنة العدو وتغيير المسار.

إن التحرك الجماهيري قد يؤدّي إلى تأخر الانتصار النهائي للثورة، ولكنه يبتعد عن السطحية وعن عدم الثبات. إنه الكلمة الطيبة التي قال عنها سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

إنني حين رأيت التجمع الجماهيري الضخم والمقاوم للشعب المصري الفخور

من على شاشة التلفاز في ميدان التحرير أيقنت أن هذه الثورة منتصرة بإذن الله.

أذكر لكم هذه الحقيقة وهي: أنه بعد انتصار الثورة الإسلامية وإقامة النظام الإسلامي في إيران وما نزل على أثر ذلك من زلزال عظيم هزّ القوى الطامعة الشرقية والغربية وما ولّده من موجة هائلة فريدة بين الشعوب المسلمة.. كنا نتوقع أن مصر سوف تنهض قبل غيرها. والذي أثار في قلوبنا هذا التوقع ما كنا نعرفه عن مصر من تاريخ جهادي وفكري ولما أنجبته من شخصيات مجاهدة وفكرية كبرى. لكننا لم نسمع صوتاً واضحاً من مصر. كنت مع نفسي أخاطب الشعب المصري بقول أبي فراس الحمداني:.

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر أما للهوة نهى عليك ولا أمر

ولكن حين تدفقت الجماهير المصرية إلى ساحة التحرير والساحات المصرية الأخرى سمعت الجواب، فإن الشعب المصري كان يقول لي بلسان قلبه:.

بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لايذاع له سرُّ.

هذا السّر المقدس، يعني العزم على الثورة قد تبلور ونضج في أعماق الشعب المصري بالتدريج، وتجلّى بإذن الله وبحوله وقوته في الساحة بشكله العظيم.

تونس واليمن وليبيا والبحرين سوف تجري على نفس هذه القاعدة إن شاء الله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾.

في مثل هذه الثورات، المبادىء والقيم والأهداف لم تدوّن في مشاريع مسبقة على يد الفئات والأحزاب، بل هي مدوّنة في أذهان كل أفراد الشعب المتواجد في الساحة وفي قلوبهم وإرادتهم، ومعلنة ومثبتة في شعاراتهم وسلوكهم.

بهذه المحاسبة يمكن بوضوح تشخيص أن أصول الثورات الحالية في مصر

وبقية البلدان تتجلّى بالدرجة الأولى فيما يلي:

ـ إحياء وتجديد العزة والكرامة الوطنية التي انتُهكت على يد الهيمنة الدكتاتورية للحكام الفاسدين والسلطة السياسية لأمريكا والغرب.

ـ رفع راية الإسلام الذي يمثل العمق العقائدي والعاطفي للشعب وتوفير الأمن النفسي والعدالة والتقدم والازدهار مما لايتحقق إلاّ في ظلّ الشريعة الإسلامية.

ـ الصمود أمام النفوذ والسيطرة الأمريكية والأُوربية التي أنزلت خلال أعوام أكبر الضربات والخسائر والإهانات بشعوب هذه البلدان.

ـ نضال الكيان الصهيوني الغاصب ودولته اللقيطة التي غرسها الاستعمار مثل خنجر في خاصرة بلدان المنطقة وجعلها وسيلة لاستمرار سلطته المتجبرة، وشرّد شعباً من أرضه التأريخية.

مما لاشك فيه أن تبنّي ثورات المنطقة لهذه الأصول وسعيها لتحقيقها لاينسجم مع رغبات أمريكا والغرب والصهيونية، وهؤلاء يبذلون ما بوسعهم من جهد لينكروا ذلك، لكن الواقع لايتغيّر بإنكاره.

إن شعبية هذه الثورات هي أهم عنصر في تشكيل هويتها. القوى الطامعة بذلت كل جهدها ومارست كل أساليبها الملتوية لحفظ الحكام المستبدّين والفاسدين والتابعين في هذه البلدان، ولم تكفّ عن دعمهم إلاّ حينما انقطع أملها على أثر ثورة الجماهير وعزمها.

من هنا فإن هذه القوى لايحق لها أن تعتبر نفسها مساهمة في هذه الثورات. وفي بلد مثل ليبيا لايستطيع تدخّل أمريكا والناتو أن يكدّر هذه الحقيقة. في ليبيا أنزل الناتو خسائر فادحة لاتعوّض. لو لم يكن هذا التدخّل فإن انتصار الشعب الليبي كان

من الممكن أن يتأخر قليلاً، ولكن سوف لاينزل بالبلد كل هذا الدمار في بُناه التحتية، ولاتزهق كل هذه الأرواح من النساء والأطفال، ولا يدّعي اولئك الأعداء الذين كانت يدهم لسنوات بيد القذافي بأنّ لهم حق التدخّل في هذا البلد المظلوم المُدمّر.

إن جماهير الشعب والنخب الجماهيرية والذين انطلقوا من الجماهير هم أصحاب هذه الثورات والأمناء على حراستها والذين يرسمون مستقبلها ويدفعون بعجلتها إن شاء الله تعالى.

٢ـ موضوع الآفات والأخطار.. لابد من التأكيد اولاً أن الآفات والأخطار موجودة، ولكنّ هناك أيضاً سبلاً للوقاية منها. لاينبغي أن تكون الأخطار مبعث خوف الشعوب، دعوا الأعداء يخافوكم واعلموا ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ربّ العزة والجلال يقول بشأن فئة من المجاهدين في عصر الرسالة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ واتَّبَعُوا رِضْوانَ اللهِ واللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

لابدّ من معرفة الأخطار والآفات للوقاية من الحيرة والترديد عند مواجهتها، ولنكون على معرفة مسبقة بتشخيص علاجها.

إننا واجهنا هذه الأخطار بعد انتصار الثورة الإسلامية وعرفناها وجربناها وخرجنا من أكثرها بسلام بفضل الله وقيادة الإمام الخميني ووعي جماهيرنا وبصيرتهم وتضحياتهم. طبعاً لايزال الأعداء يحوكون المؤامرات ولايزال الشعب يقاوم بعزيمة راسخة لا تلين.

إنني أقسّم هذه الأخطار والآفات الى قسمين: ماكان لها جذور في داخلنا وتنبثق من ضعفنا، وماهي نتيجةً مباشرةً لتخطيط أعدائنا.

القسم الأول هو من قبيل: الشعور والظن بأن سقوط الحاكم العميل والفاسد والديكتاتور هو نهاية الطريق. إن هذا سوف يبعث على الارتخاء وراحة البال والغرق في نشوة النصر، وما يتبع ذلك من ضعف الدوافع وهبوط العزائم. هذا هو الخطر الأول. وسوف يتفاقم هذا الخطر حين يعمد أشخاص إلى الحصول على حصة خاصة في الغنيمة. ماجرى في «معركة أُحد» حيث طمع المحافظون على مضيق الجبل بالغنيمة وما أدى ذلك إلى هزيمة المسلمين وإلى لوم ربّ العالمين إنما هو نموذج بارز ينبغي أن لاننساه أبداً.

إن الشعور بالخشية من الهيمنة الظاهرية للمستكبرين والإحساس بالخوف من أمريكا وسائر القوى الطامعة، خطر آخر من هذا القبيل، ولا بّد من توخّيه. النخب الشجاعة والشباب يجب أن يطردوا من قلوبهم هذا الخوف.

إن الثقَة بالعدوّ والانخداع بابتسامته ووعوده ودعمه إنما هو من الآفات الكبرى الأخرى التي يجب أن يحذر منها بشكل خاص النخب وقادة المسيرة. يجب معرفة العدوّ بعلاماته مهما تلبس من لباس، وصيانة الشعب والثورة من كيده الذي يدبره في مواضع خلف ستار الصداقة ومّد يد المساعدة. ومن جانب آخر قد يعتري الأفراد غرور ويحسبون العدوّ غافلاً، لا بّد من اقتران الشجاعة بالتدبير والحزم وحشد كل الإمكانات الإلهية في وجودنا لمواجهة شياطين الجنّ والإنس.

إثارة الاختلافات وخلق الصراعات بين الثوريين والاختراق من خلف جبهة النضال هي أيضاً من الآفات الكبري التي يجب الفرار منها بكل ما أوتينا من قوة.

أما أخطار القسم الثاني:

فإن شعوب المنطقة قد خبرتها غالباً في الحوادث المختلفة. وأولها تولّي الأمور عناصر تعتقد أن لها التزامات أمام أميركا والغرب. الغرب يسعى بعد السقوط

الإضطراري للعناصر التابعة أن يحافظ على أصل النظام والمحاور المفصلية للقدرة ويضع رأساً آخر على هذا البدن وبذلك يواصل فرض سيطرته. وهذا يعني إهدار كل المساعي والجهود، وفي هذه الحالة إن واجهوا مقاومة الجماهير ووعيها فسوف يسعون إلى بدائل انحرافية أخرى يضعونها أمام الثورة والجماهير. هذه البدائل يمكن أن تتمثل باقتراح نماذج للحكم والدستور تدفع بالبلدان الإسلامية مرة أخرى الى شراك التبعية الثقافية والسياسية والاقتصادية للغرب، ويمكن أن تتمثل في اختراق صفوف الثورة وتقديم الدعم المالي والإعلامي لتيار مشكوك وعزل التيارات الثورية الأصلية. وهذا يعني أيضاً عودة هيمنة الغرب وتثبيت النماذج المتهرئة الغربية والبعيدة عن مبادئ الثورة ثم سيطرة الأجنبي على الأوضاع.

و لو أن هذه الخطط لم تفلح بأجمعها فإن تجربتنا تقول إنهم سيعمدون إلى أساليب منها إثارة الفوضى والاغتيالات والحرب الداخلية بين أتباع الأديان أو القوميات والقبائل والأحزاب، بل بين الشعوب والبلدان الجارة، إلى جانب وفرض الحصار الاقتصادي والمقاطعة وتجميد الأرصدة الوطنية وأيضاً الهجوم الشامل الإعلامي والدعائي. إن الهدف من وراء كل ذلك جعل الشعوب تشعر بالتعب واليأس، والثوار بالترديد والندم، والأعداء يعلمون أن مثل هذه الحالة تجعل هزيمة الثورة ممكنة وميسورة. اغتيال النخب الصالحة والفاعلة والإساءة إلى سمعة الآخرين، ومن جهة أخرى شراء ذمم العناصر الهزيلة هي أيضاً من الأساليب المتداولة للقوى الغربية وأدعياء الحضارية والأخلاق!!.

إن وثائق وكر التجسس الأمريكي التي وقعت بيد الثورة الإسلامية في إيران الإسلام، أوضحت بدقة أن كل هذه الدسائس قد خطط لها نظام الولايات المتحدة الأمريكية. إعادة الرجعية والاستبداد والحاكمية التابعة في البلدان الثورية مبدأ يجيز لهم ممارسة كل هذه الأساليب القذرة.

٣ـ وفي آخر قسم من حديثي أضع أمام تشخيصكم وانتخابكم توصيات استقيها من تجاربنا العينية في إيران ومن مطالعة دقيقة لبقية البلدان.

من المؤكد أن ظروف الشعوب والبلدان ليست على نحو واحد في جميع الأمور. لكن ثمة بيّنات تستطيع أن تكون للجميع مفيدة.

أول الحديث هو أنه من الممكن تخطى كل هذه العقبات والتغلب على الآفات واجتيازها اجتياز منتصر بالاتكال على الله والاعتماد عليه وحسن الظن بما ورد في كتابه العزيز من وعد بالنصر، والتحلّي بالعقلانية والعزيمة والشجاعة، إنكم طبعاً قد نهضتم بعمل كبير ومصيري. لذلك لا بّد أن تتحملوا من أجله أيضاً متاعب كبيرة، أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ ورَخَاءٍ ولَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وبَلَاءٍ وفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ ومَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٍ...».

نصيحتي الهامة أن تروا أنفسكم دائماً في الساحة: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾واجعلوا الله سبحانه نصب أعينكم وثقوا بأنه في عونكم ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ وأن لا تكون الانتصارات مبعث غرور وغفلة: ﴿إذا جاءَ نَصْرُ الله والْفَتْحُ ورَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ في دينِ الله اَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ اِنَّهُ كانَ تَوّاباً﴾ هذه دعامات حقيقية لكل شعب مؤمن.

نصيحتي الأخرى إعادة قراءة أصول الثورة بشكل مستمر. الشعارات والأصول يجب أن تخضع للتنقيح والتطبيق مع أصول الإسلام ومحكماته. الاستقلال والحرية والعدالة، وعدم الاستسلام أمام الاستبداد والاستعمار، ورفض التمييز القومي والعنصري والمذهبي، ورفض الصهيونية رفضاً صريحاً وهي التي تشكل أركان النهضات المعاصرة في البلدان الإسلامية، هي بأجمعها مستقاة من الإسلام والقرآن.

دوّنوا مبادئكم، وحافظوا بحساسية كبيرة على أصالتكم، ولا تسمحوا لاعدائكم بتدوين نظام مستقبلكم، لا تدعوا أصولكم الإسلامية تُقدم قرباناً على مذبح المصالح العابرة.

الانحراف في الثورات يبدأ من الانحراف في الشعارات والأهداف، لا تثقوا إطلاقاً بأمريكا والناتو وبالأنظمة المجرمة مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا التي جثمت لأمد طويل على صدور بلدانكم ووزّعت بينها بلدانكم ونهبت ثرواتكم، تعاملوا معها بسوء ظن ولا تصدّقوا ابتساماتهم، فوراء هذه الابتسامات والوعود تكمن الخيانات والمؤامرات. ابحثوا عن حلولكم من منبع الإسلام الفيّاض وردّوا وصفات الأجانب إليهم.

نصيحتي المهمة الأخرى الحذر من الاختلافات المذهبية والقومية والعنصرية والقبلية والحدودية. اعترفوا بالتفاوت ووجّهوه بإدارة حاذقة. التفاهم بين المذاهب مفتاح النجاة.

أولئك الذين يثيرون نيران التفرقة المذهبية أو يعمدون إلى تكفير هذا وذاك، هم عملاء الشيطان وجنده حتى لو لم يعلموا هم بذلك.

إقامة النظام عمل كبير وأساسي، إنه عمل معقد وصعب. لا تدعوا النماذج العلمانية أو الليبرالية الغربية، أو القومية المتطرفة، أو الاتجاهات اليسارية الماركسية تُفرض عليكم.

إن المعسكر الشرقي قد انهار والمعسكر الغربي يتشبث بالعنف والحرب والخداع، ليحافظ على بقائه وليس له عاقبة خير متصورة في الأفق.

مرور الزمان بضررهم ولصالح تيار الإسلام.الهدف النهائي يجب أن يتمثل في التوجه نحو الأمة الواحدة الإسلامية وبناء الحضارة الإسلامية الجديدة على

أساس الدين والعقلانية والعلم والأخلاق.

تحرير فلسطين من مخالب الوحش الصهيوني هو أيضاً هدف كبير. بلدان البلقان والقوقاز وغرب آسيا قد تحررت من سيطرة الاتحاد السوفيتي السابق بعد ثمانين سنة من الاحتلال، فلماذا لا تستطيع فلسطين المظلومة بعد سبعين سنة أن تتحرر من أسر السيطرة الصهيونية ؟!.

الجيل المعاصر في البلدان الإسلامية له قدرة النهوض بمثل هذا العمل الكبير. جيل الشباب مبعث فخر مَنْ سبقه من أجيال. يقول الشاعر العربي:.

قالوا: أبو الصخر من شيبان قلت لهم كلا لعمري ولكن منه شيبانُ

و كم أبٍ قد علا بابنٍ ذُري شَرَفٍ كما علا برسولِ الله عدنانُ

ثقوا بجيل شبابكم أحيوا روح الثقة بالنفس في وجودهم وغذّوهم بتجارب الآباء والأجداد.

و ثمة ملاحظتان مهمتان في هذا المجال:.

الأولى: أن أحد أهم مطالب الشعوب الثائرة والمتحررة أن يكون لها الحضور وأن يكون لأصواتها الدور الحاسم في إدارة البلاد.

و لما كانت هذه الشعوب مؤمنة بالإسلام فإن مطلوبها هو « نظام السيادة الشعبية الإسلامي» أي إن الحكام يُنتخبون وفق تصويت الناس، وأن تكون القيم والأصول الحاكمة على المجتمع وفق أصول قائمة على المعرفة والشريعة الإسلامية.

و هذا يمكن تحقيقه في البلدان المختلفة بأساليب وأشكال مختلفة بمقتضى ظروفها، لكن يجب المراقبة بحساسية كاملة كي لا يختلط هذا المشروع بالديمقراطية الليبرالية الغربية. الديمقراطية الغربية العلمانية أو المعادية للدين أحياناً ليس لها أي ارتباط

بسيادة الشعب الاسلامية الملتزمة بالقيم وبالخطوط الأصلية الإسلامية في نظام البلاد.

الملاحظة الثانية أن التوجه الإسلامي يجب أن لا يختلط بالتحجّر والقشرية والتعصب الجاهل والمتطرف.

لا بدّ أن يكون الفاصل بين هذين الاثنين واضحاً. التطرف الديني المقرون غالباً بالعنف الأعمى هو سبب التخلف والابتعاد عن الأهداف السامية للثورة، وهذا بدوره سبب ابتعاد الجماهير وفي النتيجة سيكون عامل فشل الثورة.

خلاصة القول أن الكلام عن الصحوة الإسلامية ليس بحديث عن مفهوم مبهم غير مشخص ويقبل التأويل والتفسير. إنه حديث عن واقع خارجي مشهود ومحسوس ملأ الأجواء وفجّر الثورات الكبرى وأسقط عناصر خطرة في جبهة الأعداء وأخرجهم من الساحة. ومع ذلك فالساحة لا تزال هشّة وتحتاج إلى بلورة وإلى تحقيق الأهداف النهائية.

الآيات التي تليت في مطلع الحديث تشتمل على منهج كامل للعمل وله الفاعلية الدائمة وخاصة في هذه البرهة الحساسة المصيرية. إنها تخاطب النبي الأكرمﷺ لكننا جميعا في الواقع مخاطبون بها ومكلفون.

أول توصية في هذه الآيات بالتقوى بمعناها السامي والواسع، ثم رفض الطاعة للكافرين والمنافقين، ثم اتباع الوحي وبالتالي التوكل على ألله والاعتماد عليه.

مرة أخرى أمرّ على هذه الآية الكريمة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾.

و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإمام الخميني قدس سره إعادة تشكيل العقل السياسي الإسلامي

د. محسن صالح

مقدمة:

قيّض للإمام الخميني قدس سره أن يقود الشعب الإيراني العظيم لبناء أول دولة وحكومة إسلامية في العصر الحديث، بعد أن مضت قرون على محاولات تحقيق هذا الحلم. تأسس هذا الإنجاز التاريخي استنادا واضحا على العقائد والقواعد الإسلامية وقيمها وثقافتها الذاتية العميقة. أيقظ هذا الفعل التغييري، في حال الأمة، شعورا عظيما بإمكانية الوحدة والتحرر من أشكال الاستعمار كافة، أتى ذلك الانتهاك والاستعمار من دول الغرب (أمريكا وبريطانيا...) أو الشرق (الاتحاد السوفياتي سابقا...) للبلاد والقيم الإسلامية. ونبَه عقول المسلمين الذين انحاز بعضهم إلى هذه الجهة أو تلك من دون أن يتبيَنوا ما في ثقافتهم الجامعة من غنى وعمق وتشريع وتوحيد. لقد تميز عقل الإمام الخميني قدس سره ومنذ كتابة مؤلفه الشهير «**كشف الأسرار**»، بوضوح الرؤيا والإدراك العميق لكيفية بناء الدولة الإسلامية وحكومتها، وما يتبع ذلك من أولويات في العقيدة والشريعة والسياسة على صعيد إيران والأمة الإسلامية كافة.

في الوقت الذي انشغل فيه العقل الإسلامي في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين في كيفية إصلاح السلطنة العثمانية، أو في كيفيات الاستقلال الذاتي القطري أو القومي، انشغل الإمام الخميني﵀ منذ بدايات حياته المباركة، بكيفية إعادة الروح للعقل العقائدي والاجتماعي/ السياسي الجامع والمعبر عن تطلعات المسلمين في كافة النواحي الوجودية الاستخلافية: السياسية والاجتماعية والثقافية. وقد اعتقد الإمام﵀ أن مسألة التخلص من الاستعمار والتبعية لا يمكن أن تتم إلا من خلال فعل الثقافة الإسلامية في الواقع الاجتماعي والمؤسساتي في بلداننا التي ترزح إما تحت نير الاستبداد الداخلي أو الاستبداد الخارجي، المترابطين في معظم الأحيان. من هنا ركز الإمام﵀ في دروسه ومحاضراته على كيفية بناء الذات العلمية والأخلاقية الإسلامية لنشر الوعي والسلوك الإسلامي الصحيح المؤدي إلى إعادة تشكيل الذات العارفة العزيزة والقادرة البانية لمجد الأمة والإنسان، وعودة الحقوق الإسلامية المغتصبة أو المستباحة نتيجة للتدخلات الأجنبية والانحرافات الداخلية. هذه العلاقة التفاعلية بين معرفة الذات والوعي بحقيقتها والحقوق والواجبات الفردية والجماعية تمظهرت في فقه وفلسفة الإمام، من خلال ترابط محكم، أدت إلى تشكيل اللبنات الأولى لشخصيات الثورة الأوائل الذين جاهدوا حتى انتصارها.

ركز الإمام الخميني﵀ طوال مسيرة حياته على مسألتين أساسيتين:

أولا إقامة الدولة الإسلامية

انطلق الإمام الخميني﵀ من فرضية أساسية وهي أن السيطرة الغربية على بلاد المسلمين ناتج عن دعم الغرب للسلطات السياسية القائمة وجعلها تابعة وضمن دائرة السيطرة المستدامة، في حكم الدولة ومؤسساتها السياسية والاقتصادية والثقافية. وإذا كان لا بد من قيام دولة بديلة وحكومة مستقلة فلا بد أن تكون هذه الدولة

وحكومتها ممثلة ومعبرة عن ثقافة وتاريخ وتطلعات الشعب نفسه. من هنا لا بد من قيام حكومة إسلامية بتشريع وثقافة إسلاميين من أجل الوصول على استقلال حقيقي، لا على طريقة الاستقلالات الزائفة التي حصلت في معظم البلدان الإسلامية. وما التخلف والشرذمة في حال دول الأمة إلا حصيلة الدسائس والمؤامرات الغربية التي استضعفت كل دول المنطقة وشعوبها كي تبقي بيدها عناصر ومقومات القرار.

ثانيا تحرير فلسطين

إن اغتصاب فلسطين كان الأمر الأساس الذي شغل بال الإمام الخميني قدس سره منذ بداية حياته السياسية وجهاده ضد سلطة آل بهلوي التي كان يعتبرها أداة بيد الصهيونية. عمل الإمام قدس سره بثبات وجرأة، في فكره وفي خطبه وفتاواه كما في مواقفه وعلاقاته مع الدول، قبل وبعد نجاح الثورة، من أجل أن تتحرر فلسطين من هذه الغدة السرطانية التي تسمى «إسرائيل». وكانت هذه التسمية «الغدة السرطانية» التي أطلقها الإمام أفضل تعبير عن حال المرض الذي تعيشه الأمة جراء التجزئة الغربية للمنطقة بعد إتفاقية «سايكس بيكو» (الفرنسية ـ البريطانية عام ١٩١٦) وتآمر الغرب على الأمة من خلال زراعة هذا الكيان الغاصب في أرض فلسطين، قلب العالم الإسلامي.

إن هاتين القضيتين، الفرضيتين الأساسيتين، اللتان شكلتا محن العقل العربي/ الإسلامي الثقافي والسياسي على مدى قرن ونيف من الزمن واستعصتا على هذا العقل ما أدى إلى التوائه التوفيقي أمامهما ولجأ الى المساومات والتهجن والتكيف، إلى أن أتى الإمام وأحيا ميّت الآمال في هذا العقل وأعاد المراجعة والزخم لبناء دول(ة) إسلامية، وبعث الأمل بتحرير القدس الشريف وفلسطين وعودتها إلى أصحابها الشرعيين.

بناء عليه، سنبين من خلال الصفحات التالية جهود الإمام الدؤوبة خلال حياته الشريفة من أجل تحقيق هذين الطموحين، حيث أنجز الهدف الأول في حياته، إقامة جمهورية إسلامية مستقلة العقل والتشريع والإرادة السياسية والاجتماعية. وأشار بصوابية الطريق والأسلوب للوصول إلى تحقق القضية الثانية، تحرير فلسطين، حيث كادت أن تذوي نتيجة لسلوكات واساليب واهنة ومهينة انتهجها معظم من كان من رؤساء العرب والنخب السياسية باعترافهم بالكيان الغاصب.

هاتان المسألتان، في الواقع، شكلتا مختبر العقل العربي/ الإسلامي في صراعه مع قوى الهيمنة والسيطرة الغربية. لم ينجح هذا العقل في تفكيك العقد التي أخرت إنجاز أي منهما. لعل في المؤثرات التاريخية السياسية العربية والمصادر الثقافية الحديثة وطريقة تناولها والتعامل معهما ما أعاق بناء دولة إسلامية مستقلة، أو لعل التركيب الثقافي والتربوي السياسي العربي التاريخي ما استبعد أو أخر إنجاز إحداهما. من هنا بدت الحاجة ملحة لاستلهام كيفيات التفكير عند الإمام ﷺ ومدى ما يمكن أن يؤثر ذلك في العقل العربي/ الإسلامي السياسي المعاصر.

صورة الدولة والحكومة الإسلامية قبل الثورة الإسلامية في إيران

شهد العالم الإسلامي من طنجة في غربه إلى جاكارتا في شرقه حركات إسلامية متتالية رفعت شعارات «عودة الخلافة»، أو أسلمة الحكومات، أو العودة إلى السلف الصالح والأصول، وذلك من أجل أمرين أساسيين: أولاً، رد الزحف الاستعماري الجارف وما تبعه من أشكال العدوان والهيمنة الغربية. ثانيا، إزاحة قوى الاستبداد الداخلي التي كانت تتسلط على المستضعفين وتتحكم بمصيرهم وأمورهم وتنتهك مصالح وكرامات الشعوب الإسلامية.

خلت نصوص وآثار وخطابات هذه الحركات من تصور واضح لكيفية

إعادة الحكم الإسلامي إلى هذه الدول، وانشغل معظمها بالتعليق حيناً على نصوص قديمة دون إيضاح الصورة التطبيقية المعاصرة، أو انشغلوا بالرد على المقولات الغربية شيوعية كانت أو رأسمالية، مادية أو طبيعية، وعلى فلسفات نشأت في الغرب محاكية لأحوال وتطلعات الشعوب الغربية. ذلك دون الخوض في المسائل الشرعية الزمنية الإسلامية لمحاكاة العصر من خلال الاجتهاد واستنباط الأحكام من القرآن والسنة. حيث لا نعثر على نص واضح يعالج مسألة دولة إسلامية معاصرة وحديثة.

فمن محمد إقبال اللاهوري الذي كتب عن إعادة بناء العقل الإسلامي حيث كان توفيقياً مع نماذج وطرائق التفكير في الغرب، إلى الشهيد حسن البنا مؤسس حركة «الإخوان المسلمين» والذي كان نبض العقل المصري الإسلامي وقضاياه التحررية، حيث اغتيل على يد المستعمرين البريطانيين وكان لم يزل في ريعان العمر والذي كان بمقدوره أن يقدم الكثير للأمة، مروراً بعشرات المفكرين الإسلاميين من المغرب والمشرق الإسلاميّين. لم يتح لتصورات هؤلاء المفكرين والكتّاب ما أُتيح لعقل وفكر الإمام قدس سره من تصور واضح وإرادة صلبة وعزم لا يلين في متابعة غاية بناء الدولة الإسلامية، حيث ركز جل جهده النظري والعملي لإنجازه، منذ كتابته عن موضوع الحكومة الإسلامية لإقامة الدولة العادلة في مؤلفه «كشف الأسرار» عندما كان في إيران وحتى محاضراته في منفاه في النجف الأشرف والتي جمعت في كتاب «الحكومة الإسلامية»[1].

يقول الإمام الخميني قدس سره، «إن الحكومات اليوم تتشكل في العالم بالإجبار (بالإكراه)، وما نعرفه من البلاد والدول اليوم في العالم لا نجد أياً منها بُني على أساس العدالة وأساس صحيح يقبله العقل. جميع أُسسها طرية (رخوة). لكنها في نفس الوقت مع إجبار وقوة السلاح. والعقل لم يكن موافقاً على أن من لا يملك أية

ميزة عن غيره في الفضائل الصورية والمعنوية أو كان أحقر (أدنى مرتبة) من غيره فبمجرد أن يشكل عصابة ويتسلط على بلد ويحكم، تصير أحكامه حقة وعادلة وحكومته حكومة الحق. والعقل يقول إن تصرف صاحب المال في ماله بطريقة مشروعة حق، والتعدي على مال وحدود الآخرين باطل وظلم مهما كانت صفة ذلك المتعدي ومهما كانت قوته وقدرته ومهما كان المظلوم صغيراً أو مجهولاً»[٢].

هكذا يضع الإمام الخميني‌ﷺ الأسس المنطقية العقلية لمسألة حكومات العالم في ذلك الزمان حيث تبنى الدول بالقوة والقسر وليس من خلال العدالة والمقبولية العقلية، وبهذا يعتقد الإمامﷺ أن وجود هذه الدول هو افتئات على العقل البشري وعلى حكمه وعلى مصالح الإنسان المباشرة، وأن الحاكم الجاهل لا يسعه أن يكون عادلاً، لأنه يستند في حكمه إلى السلاح والقوة بدل استناده إلى سلاح المنطق والفهم. في هذا القول للإمامﷺ ما يضع القارئ في مواجهة مع الواقع الذي كان قائماً في زمن سلطة آل بهلوي في إيران، كما يضع الشعوب الإسلامية في حالة تساؤل عن مدى تعقل حكامهم وإذا ما كان هؤلاء الحكام يقومون بالحفاظ على العدالة فيما بينهم. إضافة إلى انتقاده الضمني لبعض المدارس الإسلامية التاريخية التي توجب طاعة الحاكم الظالم، وإذا أتى من يخلفه ويظلم تجب طاعة الحاكم الجديد أيضاً، بمعنى تحويل الحكم الغرائزي الإنساني إلى واقع وهذا خروج عن المبادئ الإسلامية الأساسية التي تقوم على مبدأ العدالة. يقول الإمام الخميني‌ﷺ: «إن حكومة الحق في نظر العقل والتي يتقبلها بصدر منشرح ووجه مشرق هي حكومة الله الذي كل أعماله حقة وكل ما في العالم وتمام ذرات الوجود من حقه، وإذا تصرف في الأشياء فقد تصرف في ماله، وإذا أخذ فمن ماله، وليس لأحد القدرة على إنكار هذا الكلام إلا إذا أبتلي باختلال الدماغ»[٣].

إذاً، لا يستطيع الحاكم أن يضع نفسه مكان الله ويتصرف بأموال وممتلكات

الناس كما يحلو له. ذلك لأن الحكومة هي وظيفة عقلية وشرعية لتحافظ على كرامة الإنسان وتحمي وجوده وحقوقه في هذه الدنيا، وتمكنه من بيان شرع الله كما في الحكومة التي يسعى إليها المؤمن، كما يوضح الإمام في التالي: «من هنا يتضح حال الحكومات كلها ومن هنا يعلن (اقرأ: يجب) الاعتراف بالحكومة الإسلامية.» إذاً، هذه هي المقدمة الأساس والأولى لقيام حكومة تكون قادرة من خلال عقلها الإسلامي بالوظيفة المناطة بها، وهي إعمال العقل في الشرع لتبيان الحقائق المبنية على أساس التعاون على البر والتقوى وليس على التعدي والظلم. وظيفة الدولة يقول الإمام: «وظيفة دولتنا... في هذا العالم أن تقتفي أثر هذه الحكومة ـ أي الحكومة الإسلامية، وأن يكون قانون المجلس مبيناً للشرع الإلهي ليظهر بعد ذلك أن الإسلام أكثر تمدناً في العالم من جميع النظم وبتطبيقه تتحقق المدينة الفاضلة»[٤].

منطلق الإمام الخميني هو ما رآه من فساد وظلم واضح مخالف لشرع الله تعالى الذي يأمر بصلاح البلد والإنسان. يقدم الإمام الخميني نماذج مهمة عن الانحرافات التي كانت سائدة في إيران وفي كل بلدان العالم الإسلامي نتيجة لتحكم هذه الحكومات وفي محاولات تغريبها للناس عن دينهم وفطرتهم. يقول الإمام «القوا نظرة على المؤسسات اليوم وزوروا أولاً البلاط (يقصد بلاط البهلوي) وحالته المؤسفة ثم الوزارات وحالة كل واحد من الجالسين خلف المكاتب وانظروا في أهدافهم ثم زوروا الجيش ولاحظوا أوهام العسكر وقادة الفيالق... وجملة الكلام أنه ابتداءً من عامل البلدية حتى أعلى المراتب... ستشاهدون الأفكار المشتتة والخيالات المختلطة والآراء والعقائد المتضاربة فيما بينهم... وتشاهدون المنفعيين والمنساقين خلف شهواتهم وعديمي العفة والمجرمين والخونة... والشعب المسكين الذي يرى بعينه كل هذه المفاسد والخيانات ويرى الفرد منهم كل ساعة ما يرتكبه المأمورون من مظالم كيف يتعاون معها ولا يرى جواز خيانة الدولة الخائنة»[٥].

فالدولة في نظر الإمام﵀ عندما تطبق شريعة الإسلام على مستوى المجتمع إنما تمثل أهداف الأمة من حيث السلوك وإقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الفساد مثلاً). فمسؤولية الحاكم تصبح مسؤولية الأمة التي تتلخص بوظيفة الدولة تجاه قضايا الإنسان في العالم. وذلك تطبيقاً للآية «أن أقيم الدين ولا تتفرقوا فيه»[٦]، والآية «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»[٧]. وإذا كانت غاية الدين بناء الأمة فغاية الأمة بناء الدولة. وغاية الدولة الأسمى المحافظة على العدل بين الناس وتعني:

١ـ حماية الأمة من العدوان الخارجي.

٢ـ صيانتها من المظالم الاجتماعية.

٣ـ توفير الحريات الاقتصادية والسياسية والفكرية للناس[٨].

نستنتج من ذلك أن عودة العقل الإسلامي إلى مصادره الأساسية في السياسة والاجتماع يعيد للأمة مكانتها ولا يجعل موبقات الحكام الطارئين على شعوبها تتغلغل في ثنايا العقل الإسلامي وتؤدي إلى الانحرافات التي ذكرها الإمام﵀ عن الحكم البهلوي في إيران. وإيران، زمن الشاه، كانت نموذجاً في التبعية والانحراف عن جادة الحق. وفي هذا المجال تأتي الحاكمية ودورها في التصويب الدائم والبناء الشامل للنظام الإسلامي ومؤسساته وضمانة من الزيغ الذي يقع به الحاكم. فالحاكم هو الإمام الذي تأتم به الجماعة عند القيام بواجب ديني يتعلق بالآخرة. وإذا كانت الجماعة تأتم الإمام في قضايا حياتها الآخروية، وهي الحياة الأبدية، فكيف لا تأتمنه على حياة قصيرة الأجل، الحياة الدنيوية. فالإمام المتصدي لأمور الأمة من خلال اجتهاداته الشرعية إنما يقوم بالتفريق بين الحق والباطل، بين الارتباط بالله أو بالدنيا. فالإمام هو المرجع الذي تكون بين يديه وفي عقله مقومات

الأمة، ومسؤوليته الأولى أمام الله ومن ثم أمام الأمة. فوجود الأمة العزيزة مرتبط بوجود الإمام العزيز الحاكم.

فالأمة الإسلامية هي المجموعة البشرية التي تتبع الإسلام وتؤمن بعقائده وتشريعاته، والإمام هو الذي يتبعه المسلمون باسم الدين. فالارتباط بين هذين المفهومين هو ارتباط فعل للإمام في الأمة، وللأمة في الوجود الاستخلافي الإلهي. والمسؤوليات الملقاة على عاتقهما تتكامل كتكامل العقل واليد عند القيام برسم صورة مؤسسات الدولة، فالأول هو عقل الأمة وخلاصتها ومجسد آمالها والأمة هي الفعل التنفيذي لصورة فكر الإمام عما يمكن أن يكون عليه حال الأمة. ولقائل أن يقول أن الإنسان في العصر الحديث طالما يمتلك الحرية يمتلك الفعل الذاتي والعقل والبصيرة لتدبر مسؤولياته. ويجاب عليه هل مضى على الإنسان يوم لم يكن فيه محكوماً لعقل كلي اجتماعي يمارس عليه كل صنوف التوجيه، فهل يُضيره التوجيه القويم في الجماعة؟![٩]وهل من ناظم لسلوكات الأفراد والجماعات في الأمة سوى القادر على إدراك مقاصد القيم الدينية والثقافية التي تعيشها الأمة؟

لعل ما انتاب الأمة الإسلامية بعد فترة الحكم العثماني وتصدع دولة الخلافة؟ واقتسام بلاد المسلمين بين الدول الأجنبية، خاصة بريطانيا وفرنسا، واستهتار بحقوق الإنسان في هذه المنطقة وما أتى عليها من حكومات فاسدة مطواعة للغرب في السياسة والثقافة هو ما جعل الإمام الخميني قدس سره يركز جل جهده على خلاص الأمة من هؤلاء الحكام. فاستقراء عابر لما عانته شعوب المنطقة في إيران وباكستان والبلدان العربية من حكام زور متسلطين ومستكبرين ومحتكرين للسلطة والثروة الجماعية، يدلل بما لا يدع مجالاً للشك أن العقل الذي حكم بلاد المسلمين لما يزيد عن قرن من الزمن كان عقلاً خارجياً وليس عقل الأمة. من هنا وجدنا الحكام

والمنظرين والمثقفين الذين نهلوا من منابع غير إسلامية في السياسة والاقتصاد والفكر نظروا لدولة أو لدول غير التي كانوا يعيشون بين أترابها. فلا هم بنوا دولاً ولا مجتمعات ولا حافظوا على مصادر الثروة للأمة ولا حفظوا البلاد من الاغتصاب والعدوان. فبالإضافة للتجزئة اغتصبت فلسطين واحتلت أفغانستان والعراق وأجزاء من لبنان وسوريا ومصر بوجود حكام لم يتمتعوا بالأهلية التي تخولهم ولا تقدرهم من الدفاع عن بلاد المسلمين. وكانت أطماع المستعمرين في العالم الإسلامي ومكائدهم أقوى من كل الحكام في البلاد الإسلامية. فقد استخدم الغرب وأدواته الخطط السياسية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية من أجل تحريف الحقائق عن الإسلام «بشكل جعل الكثيرين من الناس، والمثقفين منهم بشكل خاص بعيدين عن الإسلام»[١٠] بل قالوا أكثر من ذلك «أن لا علاقة للإسلام بتنظيم المجتمع أو تأسيس حكومة من أي نوع...»[١١].

من هذا المنطلق بدأ المثقفون طريق بحثهم عن حلول لمشاكل الأمة بعيدا عن ثقافتها من خلال عدد من المستشرقين أو المسلمين الذين تثقفوا بنظريات في السياسة والاجتماع من مراكز التفكير والتدريس الغربية، فلا هم نفعوا شعوبهم ولا تحررت بلدانهم. وهكذا، ونتيجة لهذا الارتباك الفكري السياسي والاجتماعي العربي خاصة في السنوات والشهور الماضية، أي قبل وأثناء (وبعد) الثورات العربية التي نهضت من أجل كرامتها وحياتها وتحررها، لم تجد القوى التي شكلت عصب هذه الثورات سوى شعارات فضفاضة عامة تطرحها على العقل الجماعي العربي. تمثل ذلك بعد انتصار الثورة في كل من مصر وتونس وخلع الحكام في هذين القطرين، حيث وللآن لم يتبين «قادة الثورات» شكل الحكومات وعقائدها وقواعدها وتنظيمها، ناهيك عن نوعية العلاقة مع مؤسسات ما قبل الثورة والموقف من الغرب الداعم للحكومات البائدة! أليس هذا الإرباك ناجم عن طبيعة التفكير

السياسي والاجتماعي الذي عاش لعشرات السنين،كل قرون، تحت وطأة الاستغراب والتيه الفكري التاريخيين. وهنا يبرز سؤال في منتهى العمق حول تشكل العقل السياسي العربي وعلاقته بالحاكم وهل هي علاقة تفاعل واستجابة متبادلة لقيم الحاكمية الإسلامية والقيم الاجتماعية التي تعنون بالعدل والاستخلاف الحقيقي.

فبين العقل العربي الذي اختصره محمد عابد الجابري بالقبيلة والغزو والغنيمة والعقل الإسلامي القائم على أهداف العدالة الإنسانية والإلهية فرق شاسع وبون تاريخي قام بمفارقة تاريخية حول النظرة إلى الغاية من الحاكم والمقاصد من الشريعة. فالعقل العربي، ليس كله، ربما سار بالأدلوجة المختصرة عند الجابري والمتجذرة عند ابن خلدون والتي جعلت البلدان العربية الإسلامية لا تميز حقيقة بين عمق وجود الأمة الإسلامية كأمة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وبين أمة تريد أن تعيش بدون بوصلة الشرع الإلهي. لذلك ربما سهل الغزو ووجد طريقه في أمة تفترض قيم أخلاقية تستند إلى كلام إلهي مبين لطبيعة العلاقة بين الشعوب بتنوعها الثقافي والديني وبعلاقاتها التي تقوم على الاحترام المتبادل الاستقلال في الوجود[١٢]. هذا الشكل من التفكير كان من أهم الأسباب التي أوهنت الأمة وجعلتها قابلة لشتى صنوف الاستعمار والتجزئة والاغتصاب وخاصة فلسطين التي تجتمع في قضيتها عناصر تفكير الأمة تجاه نفسها والآخر، وأيضاً الاستسلام والاتفاقات المذلة مع المغتصبين والسالبين لحقوق الأمة.

هذا في الوقت الذي ركز الإمام الخميني قدس سره وبوضوح محدد شروط قيام الحكومة الإسلامية ووظيفتها ومكانة الحاكم والمجتمع والإنسان في الدولة العادلة القائمة على الشريعة الإلهية. حيث لم تشهد حركة الثورة الإسلامية في إيران منذ أيامها الأولى تردداً في رسم الأهداف والسياسات التي يجب على الدولة أن تحققها

وأن تتخذ المواقف المناسبة حيالها. وفي الدستور الإسلامي للجمهورية الإسلامية وهو عصارة ما تصبو إليه الدولة الناشئة وما تتصوره حول وظيفة الدولة والحقائق التي يجب أن تتعامل معها تتحدث المادة الثانية من الدستور عن الأسس التي تقوم عليها الجمهورية الإسلامية ويمكن اختصارها بالتالي: الإيمان بوحدانية الله والوحي والعدالة والإمامة والكرامة والحرية الإنسانية والاجتهاد المفتوح المستمر للفقهاء، والاستفادة من العلوم والفنون والتجارب البشرية المتقدمة مع نفي أي نوع من أنواع الظلم والتسلط والخضوع، والطرد التام للاستعمار ومنع النفوذ الأجنبي، تأمين الحريات السياسية والاجتماعية في حدود القانون إضافة إلى تحقيق مشاركة عموم الشعب في تحديد مصيرهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي[١٣].

هذه المواد الدستورية هي مواد صالحة لكل البلدان الإسلامية وليس حولها من خلاف. لكن هذه المواد عبرت عن روحية عامة لدى الشعب الإيراني في طريقه نحو الخلاص من حكام جاروا واستبدوا بهذا الشعب. وقد حصل استفتاء صوت بموجبه الشعب في إيران الإسلامية للمصادقة على هذا الدستور مع ما يلقيه من مسؤولية على الشعب الإيراني في مسيرته نحو الحرية والاستقلال والتنمية.

إن أولى خطوات الخلاص من الاستبداد الداخلي المرتبط بقوى الاستكبار العالمي هو وضع الدستور المنسجم مع هوية الشعب مع محاكاة الآلام الاجتماعية الإنسانية الأخرى. وهذا ما تقدمت به الجمهورية الإسلامية لذاتها وللعالم ما حتم استقلالاً ناجزاً تستطيع أن تقدمه لأجيال المستقبل وللشعوب الساعية نحو الحرية والتحرر وخاصة في البلدان التي تحمل نفس الأصول الدينية والثقافية. في مقابل هذا الإنجاز التاريخي من حياة الأمة الإيرانية، والذي قاده الإمام الخميني ﷺ، سعت قوى الاستكبار العالمي وبعد طردها من الجمهورية الإسلامية، إلى إيجاد شرخ سياسي واجتماعي بين الأمة العربية وإيران الإسلامية.

إن رؤية الإمام الخميني قدس سره لحل مشاكل الجمهورية الإسلامية من خلال العمل على إقامة نظام إسلامي قادر على مواجهة التحديات ينبع بالأصل من إدراكه للدور الذي كانت تقوم به، ولا زالت، قوى الاستكبار العالمي المتمثلة بالولايات المتحدة والقوى الحليفة لها في الغرب وفي المنطقة. إن ارتباط شعوب المنطقة وتوحيدها حول قضاياها سيشكل القاعدة الأولى لطرد النفوذ الاستعماري من الدول الإسلامية. وإذا كانت القضية الفلسطينية قد نتجت عن التجزئة والهيمنة الغربية على المنطقة فإن الوحدة الإسلامية والعودة إلى الحكم الإسلامي هما شرطان أساسيان لعودة فلسطين إلى أصحابها الشرعيين. إن النزاعات الحدودية والمذهبية بين دول المنطقة مرتبط بالوجود الاستعماري المباشر وسيطرتهم على أجهزة الدول الإسلامية. من هذا المنطلق لم يتوانى الإمام الخميني قدس سره للحظة عن دعم المقاومة الفلسطينية وتبيان حق الفلسطينيين في الجهاد من أجل تحرير فلسطين.

وفي الأيام المبكرة أي عام ١٩٦٨ أعلن الإمام الخميني قدس سره تأييده لكفاح الشعب الفلسطيني المسلح من خلال إجازة الزكاة والتبرعات وجزء من سهم الإمام للمقاومين الفلسطينيين. وفي سؤال وجه للإمام الخميني قدس سره عن رأيه في إعطاء هذه الحقوق إلى المجاهدين المرابطين في خطوط المواجهة مع العدو الصهيوني يقول الإمام: «من الراجح، بل الواجب تخصيص قسم من الحقوق الشرعية من الزكاة وحق الإمام ـ بما فيه الكفاية ـ للمجاهدين في سبيل الله، المرابطين في خطوط الشرف والمجد، للقضاء على الصهيونية الكافرة اللاإنسانية، واستعادة المجد الإسلامي الجريح وتعزيز التاريخ الإسلامي المشرف. وعلى كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبذل كل جهوده في هذا السبيل...»[١٤].

في هذا الجواب يبرز عمق الرؤية التي كان الإمام قدس سره يعيشها في النظر إلى أهمية الجهاد في سبيل تحرير الأراضي المغتصبة كجزء لا يتجزأ، بل هو أولى الأعمال التي

ستعيد المجد الإسلامي الذي عانى طويلاً من الاستلاب والاغتصاب. وفي رد على تعزية ياسر عرفات للإمام الخميني﵀ باستشهاد ابن الإمام﵀ السيد مصطفى، وكان يوم ذاك في النجف الأشرف، سنة ١٩٧٧، يقول الإمام﵀: «حضرة المجاهد السيد ياسر عرفات»، «... إن ما حل بنا يهون إزاء ما يعانيه الإسلام والمسلمون، وإنني بعدما شهدت كل تلك الكوارث (التي ارتكبتها عائلة بهلوي) لا بد أن تهون لدي المصائب»، وبعد أن شن هجوماً عنيفاً على الشاه وممارسات حكومته قال: «إن القضية الفلسطينية كانت شاغلي الأساسي منذ كنت في إيران (١٩٦٣)، وما زالت تشغلني في المنفى، انطلاقاً من كونها جزءاً مما تعانيه الأمة الإسلامية» وختم رسالته بالقول: «أملنا بالله أن نشهد على أيديكم تطهير القدس والمسجد الأقصى من رجس الصهاينة وعودة الشعب الفلسطيني المسلم إلى أرضه فلسطين»[١٥].

هذه العبارات الخمينية المتجذرة في عقل قادة الثورة لم تفتر يوماً عن الدفاع والمؤازرة للقضية الفلسطينية ولثوراتها المتعاقبة حتى عند أحلك الظروف عندما كان الإمام الخميني﵀ يتعرض لأبشع الضغوط من النظام العراقي والشاهنشاهي. في نفس العام الذي نفي فيه الإمام من النجف الأشرف (١٩٧٨)، كانت مفاوضات النظام المصري أثناء حكم أنور السادات مع الكيان الصهيوني الغاصب والتي أدت إلى اتفاقات كامب ديفيد المذلة، قام الكيان الصهيوني بالاعتداء على لبنان واحتل أجزاء كبرى من الجنوب. أصدر الإمام بيانا يستنكر فيه هذا العدوان معتبرا أن المفاوضات الجارية مع العدو هي التي شجعت هذا العدو على القيام بجرائمه التي لم تتوقف منذ، وما قبل قيامه. يقول الإمام في بيانه بتاريخ ١٩٧٨/٣/٢٢: «إن الأوضاع المؤسفة في لبنان والمصائب النازلة على الأخوة المؤمنين المظلومين في جنوبه تدعو لتمام التأثر والتألم. إن عشرات الآلاف من جنود إسرائيل ـ جرثومة الفساد المحترفة للجريمة ـ المجزين بالأسلحة والمدافع

والدبابات والطائرات يسيطرون الآن على أراضي الجنوب اللبناني مركز إخواننا في الإيمان ويشردون أهله المظلومين من منازلهم ويخربونها ويحرقون مزارعهم، وأغلب الحكومات الإسلامية غير مبالية أمام هذه الجرائم، بل أنها تساعد أحيانا على ارتكاب هذه الجرائم، أو أنها مشغولة بالقيام والقعود والمفاوضات التي لا نتيجة منها، تاركين المجاهدين الفلسطينيين الشجعان ـ الذين يقاومون إسرائيل برجولة- لوحدهم، ولعل هذا يشير إلى تواطؤ القوى الكبرى. إنهم (الصهاينة ومن معهم وخلفهم) الآن يحرقون إخواننا وأبناءهم المشردين ويعرضونهم لأخطار كبيرة»[١٦].

هذه العبارات المليئة بالإحساس ومشاعر الأخوة والغيرة والوعي لقضية كبرى، وهي بلا شك من أهم قضايا العالم الإسلامي وهي القضية الفلسطينية، والآثار الخطيرة المترتبة عن وجود الكيان الغاصب من عدوان ومجازر وتقليص لوجود وإرادة الدول الإسلامية والعربية المجاورة، يشير إلى المتابعة الحثيثة والدقيقة للإمام قدس سره لما يحصل من أعمال مستنكرة. إضافة إلى ذلك، يعتبر هذا مؤشر على معرفة الإمام بأحوال عصره والمؤامرات التي كانت تحاك على القضية الكبرى هذه، وبخاصة المفاوضات التي كانت تجري بين العدو الصهيوني وبعض الدول العربية، ومنها جمهورية مصر العربية.

والإمام قدس سره كان على دراية فيما يحضَر للمنطقة وواجب الحكومات العربية في هذا المضمار. يقول الإمام قدس سره معربا عن رأيه بالحكومات العربية وما آلت إليه الأمور نتيجة للشروع بالمفاوضات والاستسلام للكيان الغاصب:«إن رأيي بالحكومات العربية ليس إيجابيا. فالحكومات العربية لم تستطع الحفاظ على استقلالها، ولا استطاعت أن تخلق فيما بينها وحدة تستطيع من خلالها القضاء على «إسرائيل.» إن الاختلافات فيما بينها وخيانة بعض الحكومات العربية هي التي سببت وجود الصهاينة هنا وأتاحت لهم فرصة لتثبيت أنفسهم. وأخيرا، فإن المؤسف هو أن

الرئيس المصري يقوم حاليا بأداء هذا العمل»[١٧]. هذا الحديث أجراه الإمام بتاريخ ١/ ١١/ ١٩٧٨ أي في المرحلة الصعبة من تاريخ الثورة الإسلامية في إيران وكان يتابع الأوضاع في إيران لحظة بلحظة. إلا أن قيادته الجامعة ومسؤوليته الشرعية والأخلاقية والسياسية تجعله متابعا لقضايا الأمة وما يحصل في كل قطر من أقطارها. وكان يشير سماحة الإمام إلى معاهدة كامب ديفيد والمفاوضات التي كانت تجري في الولايات المتحدة ومخاطر هذه المعاهدة من أنها ستثبت هذا الكيان وتمنحه شرعية رسمية عربية، وإن كانت لا تستطيع أن تعطيه الشرعية الشعبية. وقد حصل هذا الأمر وشاهدنا النتائج الكارثية نتيجة إخراج أكبر بلد عربي من ساحة الصراع مع الصهاينة. «وأما بالنسبة إلى الشعب العربي، فهم جميعا إخواننا، ونتعامل معهم على أساس الأخوة [١٨].

كان هم الإمام أن يوصل رسالة ثنائية الأبعاد للحكومات الموظفة والتابعة لأميركا والغرب والتي تبيع ما ليس من حقها من قضايا الأمة، والشعوب المستضعفة التي لطالما دعا إلى وحدتها وتقويتها في وجه الأعداء. فهو لم يعتبر الشعوب العربية مسؤولة بل هي مسلوبة الإرادة، وإن كان دائما يناشدها أن تتوحد خلف قضاياها وليس خلف حكامها غير الشرعيين. والعرب والفرس أخوة في العقيدة وشركاء في التاريخ وجيران في الجغرافيا السياسية. والإمام عاش لفترة غير قصيرة في المنفى في العراق ويعلم عن كثب الشعب العربي وآماله وآلامه ويهمه همهم ويعيش قضاياهم.

إن الطريق إلى تحرير فلسطين لا بد أن يدخل أولاً في عقل وإرادة الشعوب العربية والمسلمة لإيجاد الآليات الملائمة من خلال المشتركات الداعمة لتحريرها. أولى هذه الأسس يجب أن يكون من خلال توحيد الموقف الإسلامي وحسن العلاقة ما بين الشعوب والحكومات التي يجب أن تلتزم بالقضية الفلسطينية كعنوان أساس لاستعادة

الهوية الإسلامية. إن استعادة الهوية للشعب الإيراني مثلاً أدى إلى رفع شعار «اليوم إيران وغداً فلسطين». ذلك تماهياً مع الواجبات الدينية التي زرعها الإمام الخميني قدس سره في عقول وقلوب المسلمين في إيران وفي الدول الإسلامية الأخرى. يقول الإمام قدس سره: «ما لم نعد إلى إسلام رسول الله صلى الله عليه وآله فسوف تبقى مشكلاتنا كما هي، ولن نتمكن من حل قضية فلسطين أو أفغانستان أو سائر البلدان (الإسلامية). إن على الشعوب (الإسلامية) أن تعود للتحلي بالحالة الإسلامية التي كانت في صدر الإسلام، وإذا ما عادت الحكومات مع الشعوب فليس هناك من مشكلة. أما إذا لم تعد فإن على الشعوب أن تتخذ مواقف مختلفة عن مواقف حكوماتها وأن تهب لمواجهة تلك الحكومات كما فعل الشعب الإيراني مع حكومته لتحل جميع المشاكل»[١٩].

هذه النظرة الثاقبة النبوئية لما يحصل في هذه الأيام من ثورات للشعوب العربية، وخاصة في مصر وتونس وغيرهما، يدل على معرفة الإمام قدس سره بما أسماه الكاتب الفرنسي غوستاف لوبون «بسيكولوجيا الجماهير». (سنعود إلى منطلقات هذه الثورات وأهدافها لاحقاً). وهكذا كان رهان الإمام قدس سره التاريخي على الوحدة الإسلامية سبيلاً للخلاص من الصهيونية والاستكبار العالمي لأن هاتين القوتين المترابطتين لن تكتفيا بالسيطرة على فلسطين وإنما ستتابعان استضعاف المنطقة والقضاء على عقائد شعوبها وامتصاص ثرواتها واستعبادها. من هنا كان شعار الإمام قدس سره الأساسي في مخاطبة المسلمين أن «اتحدوا». يقول الإمام قدس سره: «إن الوحدة والعودة إلى الإسلام هما شرطان لإنقاذ فلسطين ومنع الصهيونية من تنفيذ أهدافها التوسعية... إن الأهداف الأصلية لإسرائيل تتمثل في القضاء على الإسلام... لذا يجب نبذ الاختلافات بما فيها المذهبية»[٢٠].

يتعجب الإمام قدس سره من ضعف المسلمين وقوة الصهاينة. مع أن عدد المسلمين يفوق المليار بينما عدد الصهاينة عدة ملايين. ثروات العرب والمسلمين وإمكاناتهم

الاقتصادية لا تضاهى، إذاً ما هو سر ضعف المسلمين وقوة الصهاينة. يتساءل الإمام ﷺ ويجيب: «لماذا يجب أن تأتي إسرائيل وتتحكم بهذا الشكل بدول تمتلك كل شيء وتتمتع بكل أنواع القدرة؟ لماذا يجب أن يكون الأمر كذلك؟ وهل يمكن لذلك أن يقع لو لم تكن الشعوب والحكومات معزولة عن بعضها البعض! مليار مسلم بكل ما يملكونه من تجهيزات وثروات وكفاءات **قاعدون**، وإسرائيل ترتكب هذه الجرائم في لبنان وفلسطين»[٢١]. لا شك أن هذا الأمر ما كان ليحصل لو لم تفرض حكومات على الشعوب الإسلامية من الدول الغربية والولايات المتحدة، وهذه القوى بدورها تقوم ببث كل أنواع التفرقة بين المسلمين وبين الحكومات من أجل أن يضعفوا أمامها ويطيعوا أوامرها وهذا ما حصل.

ركز الإمام ﷺ على مناسبات هامة من أجل إحياء القضية الفلسطينية وجعلها قطب الرحى لعموم المسلمين وأحرار العالم بأن دعا إلى يوم تحيي فيه الأمة ذاكرتها ووعيها بالمدينة المقدسة «القدس». وقد أعلن هذا اليوم العالمي في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك لتكون شعيرة دائمة الحراك في العقل العربي والإسلامي والعمل على تحريرها من دنس الصهاينة لما تمثله من رمزية مقدسة وواقعية اجتماعية محسوسة يعيشها كل فلسطيني وكل عربي وكل مسلم.

كذلك طرح الإمام ﷺ حيوية دينية وسياسية جديدة توازي وتكمل يوم القدس الشريف وهي مسيرة أو مراسم البراءة من المشركين أثناء تأدية الحج كخطوة توحيدية مشتركة لعموم المسلمين. ولأن البراءة من المشركين هي واجب ديني وهي فلسفة قرآنية دائمة وحقيقة إلهية تامة لفريضة الحج يقوم بها المسلمون لغاية، وذلك نتيجة لما يعانيه المسلمون من تمييز عنصري واحتلال أجنبي ونقص همة وإرادة، لذا فإن هذه المسيرة يمكن أن تشكل حالة تعبئة واستنهاض للوعي الإسلامي بقضاياه وبتحرير الروح الإسلامية أثناء تأدية مناسك الحج التي تعتبر تطهيراً للذات من الذنوب والآثام

والاستضعاف. وهل التخلي عن تحرير الأرض المغتصبة والقدس في قمتها إلا إحدى الآثام للشعوب والحكام. إن أمريكا والغرب والصهاينة قد اجتمعوا على باطلهم، أليس الأحرى بالمسلمين أن يجتمعوا على حقهم في الوجود الحقيقي؟

الهوامش:

(١) راجع: الشهيد مرتضى مطهري، الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، حول الحركات الإسلامية وطريقة تعاطيها مع قضايا الإسلام السياسي وفكرها التغريبي أو السلفي، ترجمة صادق العبادي، ١٤٠١هـ.

(٢) كشف الأسرار، المقالة الرابعة: في الحكومة، السؤال السابع وجوابه.

(٣) مصدر نفسه.

(٤) مصدر نفسه.

(٥) مصدر نفسه.

(٦) الشورى: ١٣.

(٧) آل عمران: ١١٠.

(٨) القيادة الإسلامية، منظمة العمل الإسلامي في العراق، ط ٢، ١٩٨٠، ص ٨٨ ـ ٩٠.

(٩) مصدر نفسه، ص ٨٦.

(١٠) الإمام الخميني قدس سره، الحكومة الإسلامية، المقدمة.

(١١) مصدر نفسه.

(١٢) راجع محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.

(١٣) راجع محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.

(١٤) فهمي هويدي، إيران من الداخل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط ٢، ١٩٨٨، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(١٥) فهمي هويدي، مصدر نفسه، ص ٣٧٩.

(١٦) القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني، منشورات مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، الشؤون الدولية، ١٩٩٥، ص ١٢٦.

(١٧) القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ص ١٢٨.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) صحيفة النور، جزء ١٣، ص ٢٨٢، حديث الإمام ﷺ بتاريخ ١٩٨٠/٨/٩.
(٢٠) القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ص ١٩.
(٢١) صحيفة النور، جزء ١٠، ص ٩٣، حديث الإمام ﷺ بتاريخ ١٩٧٩/١١/١.

الثورة الصحوة...
في منظار القائد الخامنئي

حسن شقير

في المؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية، والذي عُقدت حلقاته في السابع عشر من أيلول للعام ٢٠١١م. في العاصمة الإيرانية طهران، أطل السيد القائد على المؤتمرين بكلمة افتتاحية شاملة حول الصحوات الإسلامية في العالم العربي... من تونس ومصر إلى اليمن فالبحرين.. حيث أرجع السيد القائد الثورات الحاصلة في تلك البلدان إلى منابعها الإسلامية الأصيلة في القرآن الكريم.. في تفسير جديد ومبتكر لآيات القرآن الشريفة ـ والذي تجري آياته مجرى الشمس ـ حيث يمكننا أن نضعه تحت عنوان معاصر لأحداث هذه المرحلة المشرقة من تاريخ أمتنا العربية والإسلامية.. ألا وهو «التفسير الثوري للقرآن»، حيث أن سماحته دعّم مقاطع مداخلته المتعددة بآيات بينات منه... في دعوة صريحة لنا لإعادة قراءة كتاب الله مجدداً، ولكن بفهم ثوري هذه المرّة.

استهل السيد القائد كلمته بإطلالة أصيلة حول الأسس الصافية للثورة.. موجزاً إياها بأنها تعتمد على ركائز المعرفة المتراكمة والتجارب المتكررة للشخصيات العظام في العالم الإسلامي.. مؤكداً أن مرحلة السبات التي عاشها العالم الإسلامي، كانت بفعل المدارس الفكرية المادية وأنظمة الحكم المعتمدة.. والتي كان لها اليد

الطولى في إقصاء الأجيال المسلمة عن أدوارها السامية المفترضة... معللاً أن نجاح النموذج الإيراني للثورة الإسلامية المباركة فيها على يد الإمام الخميني الراحل قده، إنما يتمثل بارتباط ذاك النموذج بجذور تاريخية.. وأرضية إجتماعية وفكرية... مستشهداً بإنتصار الدم على السيف في معركة كربلاء.. مع عظم الباطل حينها.

بعد هذه المقدمة الأصيلة، قدّم السيد القائد شرحاً دقيقاً لهذه الصحوات والثورات.. محدداً هويتها الصافية المتميّزة والمختلفة عن نظيراتها من الثورات الزائفة.. ليغوص بعدها في المقطع الثاني من كلمته في شرح مسهب للأخطار والآفات التي ستعترض حتماً هذه الصحوات المباركة.. مقدماً شرحاً مستفيضاً حول أليات وأساليب عمل الأعداء المتربصين بالثورة شراً بغية وأدها في مهدها... ليشير سماحته إلى مجموعة من الإرشادات الهادفة إلى كسر مؤامراتهم المتصاعدة والمتطورة مع مراحل الثورة... ليصل إلى المقطع الثالث من كلمته بتوجيه حزمة قيّمة من النصائح والتوجيهات للقوى الثورية ولشعوبها، بغية الحفاظ على الثورة ومنجزاتها وعدم مصادرتها أو حرفها عن مسارها الصحيح.... ثم ختم كلمته برسم مسار إسلامي رائع لنجاح أية ثورة حقّة.. ينطلق من التقوى.... وصولاً إلى التوكل على الله سبحانه وتعالى.

١ـ الثورة الحقّة.. والثورة الزائفة:

ركّز السيد القائد في هذه النقطة من كلامه حول الهوية الأصيلة للثورات والنهضات الإسلامية معتبراً أن الشعوب الحاضرة أبداً في الميدان هي التي تصنع شعاراتها وأهدافها، وتُشخّص أعداءها، وتقطف ثمارها، وتطرد الأعداء والمندسين من بين صفوفها... والتي تدرك أن طريقها قد تطول قليلاً.. إلاّ أنها لابد لها في نهاية المطاف أن تتأصل... مستشهداً سماحته بالآية الطيبة من القرآن

الكريم بقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء**﴾[1].

وهذا ما حدث فعلاً في كل من تونس ومصر... وما هو حادث في المستقبل القريب ـ بإذن الله ـ في كل من اليمن والبحرين ولأن طال الزمن قليلاً.. مذكراً سماحته بالآية الكريمة: ﴿**وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً**﴾.

يختم السيد الخامنئي هذه الفقرة من كلامه بتأكيد أن أصول هذه الثورات ليست مدونة مسبقاً في أمهات الكتب.. إنما هي حاضرة متجذرة في أذهان ووعي وإرادة الشعب الحاضر في الميدان.. **ليجسّد بعدها أصول الثورة عند الجماهير** بـ:

* إحياء العزة والكرامة المنتهكة في نفوسهم..

* رفع راية الإسلام الحركي والأصيل...

* التمرّد على الإرادتين الأوروبية والأمريكية... واللتان ما انفكتا تكيل الإهانات والخسائر والضربات بحق جماهير هذه الأمة....

* النضال ضد الكيان الصهيوني.. واستعادة فلسطين أرضاً وشعباً ومقدسات من براثن الصهاينة اللقطاء ودولتهم البغيضة...

إن هذه الأصول الثورية المتجذرة في وعي الجماهير المندفعة في الميدان.. هي التي بإمكانها فقط دون غيرها أن تكون قادرة على حفظ الثورة ورسم مستقبلها والدفع في عجلاتها إلى الأمام دائماً... مبيناً في ذلك كله الفروقات الجوهرية بين هوية الثورة الشعبية الأصيلة وتلك المسماة زوراً بثورات الفئات الانقلابية لزمرة محددة من الشعب، والتي يمكن لها أن تحكم لفترة محددة من الزمن... ولكنها سرعان ما تقع في برائن القوى الإستكبارية.. إن التمعن بهذه الأصول الثورية

للثورات والنهضات الحاصلة في العالم الإسلامي، تعتبر مزيجاً من التراكم الثقيل والمتعدد الجوانب على كاهل شعوب المنطقة.. والتي من بينها:

أ) الجانب الثقافي:

لقد عانت الشعوب الإسلامية ـ ولعقود مضت ـ وبأعم فئاتها، حيّزاً واسعاً من التهميش، الذي طالت أذرعه السواد الأعظم من المجتمعين العربي والإسلامي، بفعل أنظمة غاشمة جثمت على صدور شعوبها لسنين طويلة، حيث عملت هذه الطغمة الحاكمة، وبفعل أساليب متعددة ـ لامجال لذكرها هنا ـ إلى تحويل الأمة من «أمة إقرأ» إلى «أمة إخنع» ومن «أمة صوِّب» إلى «أمة مجّد» ومن «أمة إعمل» إلى «أمة إدفع»... واللائحة تطول وتطول... وذلك بمباركة وتسديد وتيسير من القوى الإستكبارية في العالم ومن خلفها وأمامها الصهيونية العالمية لتثبيت نظرية هذه الأخيرة في أنهم « شعب الله المختار » وأن باقي الشعوب لم تُخلق إلاّ لخدمتهم !.. وغيرها من الخرافات الواردة في تلمودهم... وصولاً إلى تجسيد مقولة رئيس الكيان الصهيوني «شمعون بيريز» في «بناء الشرق الأوسط بالمال الخليجي والعقل الإسرائيلي و**العمالة العربية**» المتعلمة من هذه الأخيرة والجاهلة أيضاً بسبب فقدهما معاً ـ ولو مؤقتاً- الثقة في أي أمل بتغيير الواقع بفعل الإحباط الذي زُرع في نفوسهم...

لقد عبرت هذه الشعوب الثائرة عن توقها الشديد إلى استعادة وهجها الثقافي وكرامتها الإنسانية.. لتعود مجدداً كما وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)[٢].

ب) الجانب الديني:

لقد أدت النظريات الدينية ـ اللا دينية المتحجرة في طرحها للإسلام كدين ينفصل تماماً عن الدولة.. أو تلك التي تنادي بفصله تماماً عن السياسة، وأنه فقط

دينٌ يُعنى بالعبادات والمعاملات ونحوها.. والتي عُمِل ويُعمل بها في غير زمان ومكان من العالم الإسلامي... لقد أودى كل ذلك بالرسالة السماوية العظيمة إلى طريقين خاطئين، وهما: طريق التقوقع في زاويا المنازل والمساجد، ليرفع حاملي هذه النظرة شعار: ما لنا وللدخول بين السلاطين.. الأمر الذي صحت عليه مقولة «الإسلام الأمريكي» المرضي عنه، وشواهده كثيرة في العالم العربي... مما جعل البعض الأخر يأخذه في طريق التعصب والتطرّف والجهل، ويسير به نحو نفور أهله منه، فكيف بغيرهم ! لينتهي الأمر بأصحاب هذه النظرية إلى خدمة قوى الاستكبار أكثر مما فعله أصحابهم من حاملي لواء التقوقع ! والشواهد ما تزال معاشة حتى اليوم.. فكم هي الخدمات الجليلة التي قدمتها القاعدة مثلاً لأمريكا ولربيبتها إسرائيل في حروبها وغزواتها على بلادنا ؟ يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**﴾[٣].

إن هاتين الطريقتين في فهم الإسلام، جعلت للإسلام الحركي –القائم على التوازن والعدالة والشجاعة والرحمة والشدة في آن معاً ـ مكانة عالية عند الأجيال المسلمة، خصوصاً أنها لمست على يديه العزة والكرامة والتقدم والرفعة ـ الثورة الإسلامية المباركة في إيران كشاهد حي –، والتحرير والنصر والعزة والرفعة ـ المقاومة الإسلامية في لبنان كشاهد عليه– مما أدى إلى إعادة القراءة مجدداً للإسلام الحركي في مختلف الأقطار الثائرة.

ج) الجانب السيادي:

لعل زرع قوى الاستكبار للكيان الصهيوني في منطقتنا العربية في قلب فلسطين، وتشريد أهلها، وانتهاك حرمة مقدساتها، وتسلّط الصهاينة على ثرواتها وثروات أخواتها، سواء بشكل مباشر أو عبر أسيادهم.. وبمباركة من أنظمة القمع

والاستبداد، حوّل الأجيال المتلاحقة من شعوب هذه الدول إلى متسولين لثرواتهم هم من قوى الاستكبار والكيان الصهيوني.. فجعلهم ولسنوات طويلة يقتاتون على فتات المساعدات الأمريكية والأوروبية المغمسة بدمائهم ودماء أبنائهم بفعل الغزوات المتلاحقة لهذه القوى على بلدانهم... والشواهد لا تُحصى في نهب الثروات وإنعاش مصانع الأعداء بغية رفع البطالة عنهم وتكريسها عندنا ! وصولاً إلى استعادة الأراضي المحتلة بما سُمي باتفاقيات سلام، ومن ثم تأجيرها تارة (الأردن كمثال) أو تقييد السيادة عليها وتكبيلها (مصر والسلطة الفلسطينية).

في مقابل كل ذلك كان منطق السيادة الحقة، والذي تزاوج مع منطق المقاومة، يُثمر تحريراً للأرض والإنسان دون أية شروط أو قيود (لبنان وقطاع غزة).

إن رؤية الأجيال الثائرة وتحسسها لهاتين الصورتين الماثلتين كل يوم أمامها، جعلت انتفاضة السيادة المتأصلة في ذواتهم، تخرج منهم مطالبة بالسيادة الخارجة عن ذواتهم... يقول تعالى: ﴿**أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير**﴾[٤].

٢ـ الأخطار والآفات و تحديات الثورة:

كما انطلق سماحته في الفقرة السابقة في تحديد هوية الثورة من خلال القرآن الكريم وآياته المباركة.. يعود مجدداً إليها في إطلالته على الأخطار والتحديات والآفات التي تواجه الثورة.. والتي لا ينبغي لها أن تحط من عزيمة الشعوب وقوتها.. بحيث أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا في محكم كتابه أن كيد المستكبرين ضعيف.. وذلك بقوله: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ **وقوله أيضاً** ﴿**الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللهِ وَ اللهُ ذُو**

فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

ومع ذلك فإن سماحته يؤكد على مسألة هامة جداً وهي معرفة الأخطار وإدراكها كشرط أساسي للوقاية منها ليقسمها السيد القائد إلى قسمين رئيسيين:

أ) أخطار ذوات جذور داخلية منطلقة من ضعفنا.

ب) أخطار ذوات جذور خارجية تنطلق من أعداءنا.

ينطلق السيد القائد في تفنيده لأخطار **القسم الأول** بتركيزه على نواحي الشخصية الإنسانية في ذوات الجماهير الثائرة والتي يتحمل المجتمع بكل أطيافه مسؤولية صقلها وتنقيحها بغية إثارة الوعي والإيمان في جميع جوانبها... وأن أي تقصير في ذلك له محاذيره الكارثية على قيام الثورة ونجاحها.. وفي هذا الإطار تعتبر **السطحية** عند هؤلاء في التعاطي مع الأحداث التي تحصل في مسار الثورة، عاملاً رئيسياً في إجهاض الثورة من بداية الطريق.. فسقوط الحاكم يعني لها نهاية المطاف!.. دون أي التفات للأسس التي يقوم عليها النظام الاستبدادي كنظام وليس كفرد، مما تكون نتيجته الاسترخاء والغرق في نشوة النصر الزائف ليكون مقدمة لهبوط العزائم بعدما يكتشف هؤلاء أن سقوط رأس النظام، ليس بالضرورة سقوطاً لكله.

الخطر الآخر الكامن في هذه الشخصية هو **الطمع**، حيث تنطلق معركة تقاسم الغنائم بين المكونات الثورية في قلب المعركة وقبل أن ينجلي غبارها..! ولعل خير شاهد على ذلك في هذا المقام هو ما حصل في معركة أحد مع المسلمين الأوائل حيث اجتمع عند بعضهم الطمع ومخالفة أمر القيادة... مما قلب النصر حينها إلى هزيمة مدوّية.. يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿**فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلاّ من اغترف غرفةً**

بيده فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين أمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾[٥].

ومن الأخطار الأخرى القابعة في ذوات الشخصيات المهتزة، يبرز عنصر **الخوف من المستكبرين** وتعظيم قدراتهم وتضخيم ردات أفعالهم المتوقعة في النفوس، في توقيت سيئ جداً للحسابات واستعظام التضحيات التي قد تُدفع كضريبة للنصر.. فنكون ساعتئذ كمن برزوا للإمام علي عليه السلام فقُتلوا بسيفه المبارك قبل بدء المنازلة لأنه وصفهم بأنه وأنفسهم عليهم (وهذه الحادثة للدلالة والتشبيه وليست للقياس).. من هنا فقد أكد السيد القائد على ضرورة طرد الخوف من القلوب والتوكل على الله ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾[٦] فنعم المولى ونعم النصير.

يتقدم الإمام الخامنئي في سبر هذه الأخطار في أعماق الشخصية الحاملة للواء الثورة.. فيحذّر سماحته من مغبة **الثقة بالعدو والانخداع بوعوده** الزائفة في المساعدة.. والتي ما هي إلاّ محاولة منه للالتفاف على الثوار وجعلهم تحت إبطه مجدداً ـ كما فعل مع الحاكم المستبد –، وهو ما يعد بهذا إلاّ بعد أن تيقن أن هذا الأخير قد ولّى زمانه... فتتحول هذه المساعدات الموعودة إلى طعم يرمى به لإيقاع الثورة والثوار في شركه!.. لتصبح هذه المساعدات–السراب في مصداق قوله تعالى ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الضمآن ماءً**﴾[٧]، وقد قال الله سبحانه في كتابه المجيد ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله أولياء ثم لا تنصرون**﴾[٨]... وهذه المسؤولية تقع بالدرجة الأولى على عاتق النخب الثورية والقادة في المسيرة بشكل خاص.. حيث يجب أن تتجلى الشجاعة في شخصياتهم والمصاحبة لحُسن التدبير.. ولعل الشاهد القرآني على اختيار القائد ومواصفاته، كان في اختيار الله سبحانه وتعالى لطالوت ملكاً.. حيث يقول سبحانه ـ في اعتراض القوم على شخصه ـ ﴿**قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم**﴾[٩].. وهنا وَجَب التبصّر

جيداً في النخب ومواصفاتها في تصديها لإدارة الثورة.

يختتم السيد القائد هذه الأخطار الداخلية بضرورة التنبه إلى تجنب **الصراعات والخلافات** التي يثيرها الأعداء بين مكونات الثورة.. نظراً لنتائجها الكارثية على الثورة ومستقبلها.. وكأنه يقرأ قوله تعالى ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[10].

في القسم الثاني من الأخطار الخارجية، يحذّر السيد القائد من عملية **مصادرة الثورة** وكتكملة للسطحية أعلاها.. فعند تنحي الرأس بفعل انتهاء دوره أو بفعل تزايد الضغوط عليه.. يلجأ العدو إلى تولية زمام الأمور إلى عناصر ملتزمة أمامه، تكون تجميلاً لما هو قائم فعلاً ! وذلك بغية الحفاظ على المفاصل الأساسية للنظام ليواصل فرض السيطرة على مقدراتنا.. وذلك في عملية نفاق، كان قد حذّر الله رسوله منها عندما خاطبه في سورة المنافقون قائلاً: ﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يشهد إنك لرسوله، والله يعلم إن المنافقين لكاذبون، اتخذوا إيمانهم جُنة فصدوا عن سبيل الله، إنهم ساء ما كانوا يعملون**﴾[11] فهؤلاء سيدّعون أنهم من المؤمنين بالتغيير ! في حين أنهم تربّوا في أحضان الاستبداد والاستكبار لعشرات السنين...

ولكن ماذا لو لم يستطع هؤلاء الأعداء من مصادرة الثورة ؟ وذلك بفعل مقاومة الجماهير لذلك... عمدوا إلى أسلوب أخر لضرب الثورة من الداخل في بنية تكوينها عبر **حرف الثورة عن مسارها**، ويتمثل ذلك في اقتراح نماذج لأنظمة حكم وتقديم دساتير وضعية... تدفع ببلدان الثورة مرة أخرى إلى أحضان القوى الإستكبارية، لتعيدها من جديد إلى التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية... وذلك مصداق لقوله تعالى ﴿**ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله**﴾[12]...

وصولاً إلى اختراق صفوف الثوار لتعويم تيارٍ ثانوي، مادياً وإعلامياً على غيره من التيارات الثورية الأصيلة بغية بذر الشقاق فيما بينها.

يتوّج السيد القائد حديثه عن التحديات والأخطار بأن الأساليب السابقة وإن فشلت في أهدافها، لابد للأعداء أن يضعوا لها بدائل، تقوم على أساس إثارة الفوضى والاغتيالات والحرب الأهلية بين الملل والقوميات والأحزاب والدول المتجاورة.. وصولاً إلى فرض العقوبات الاقتصادية والمالية بغية إثارة القلاقل الداخلية... للوصول إلى بعث اليأس في نفوس الشعوب للتراجع والندم.. حيث تجسدت هذه الصورة قرآنياً في معركة الأحزاب ﴿**وإذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا**﴾[١٣]، ليستشهد سماحته بمعلومات الوثائق المصادرة من وكر التجسس في السفارة الأمريكية في طهران حين اقتحامها من قبل الشباب الثوري في أواخر سبعينيات القرن الماضي، كدليل حسي على هذه الأساليب.

٣ـ المسار الثوري الصحيح:

وجّه السيد القائد في هذه الفقرة من حديثه مجموعة من النصائح والتوجيهات إلى الشعوب الثائرة، واضعاً إياها تحت توصيف «اقتراحات لتفادي الأخطار والآفات»، إلاّ أن المتبصّر بها ملياً، **يجدها خارطة طريق إسلامية ثورية، تضع الشعوب عبرها بذور الثورات وتنمّيها وتقطف ثمارها وحدها دون غيرها**... إضافة إلى ألية للمحافظة على منجزاتها ومدّها بالوقود الدائم، لجعلها متجددة كلما دعت الحاجة...

انطلق سماحته طارحاً رواه لتخطي الأخطار والعقبات - وكما في بداية كل مقطع من حديثه - من «التفسير الثوري للقران الكريم» في دلالة قوية على حضوره في جميع مفاصل ومحطات الثورة...

أ) التوكل وحسن الظن بالله

في هذه النقطة يعود السيد الخامنئي إلى النفس البشرية وتحديداً إلى عمق شخصيتها، فيرى أن اجتياز الصعاب وتخطي المصاعب أمراً ممكناً قابلاً للتحقق، إلاّ أنه يلزمه قليلاً من الصبر والثبات والعلم اليقيني أن الله يريد أن يرى الإخلاص والثقة به من عباده حتى يمدهم بنصره.. وقد استشهد سماحته بحديث مروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حول حتمية انتصار الحق ـ وإن تأخر قليلاً ـ، عندما يقول عليه السلام: «**فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَ رَخَاءٍ وَ لَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَ بَلَاءٍ وَ فِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وَ مَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٍ...**». وذلك مصداق لقوله تعالى ﴿**ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون**﴾[14] وفي قوله تعالى أيضاً ﴿**يا أيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تُفلحون**﴾[15] ﴿**هنالك ابتُلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً**﴾[16].. في دعوات قرآنية صريحة إلى انتظار النصر الحتمي بشرط الثقة بالله وحسن الظن به.. وهذا كله يُعيدنا إلى المربع الثوري الأول في تحمل مسؤولية بناء الشخصية الإسلامية على هذه المفاهيم لكي تجدها حاضرة. صابرة، مطمئنة وواثقة بنصر الله وإن طال انتظاره.

ب) الحضور الميداني الدائم

يوصي السيد القائد دائماً بالعودة مجدداً إلى الساحات وعدم الاسترخاء... مستشهداً بقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ**﴾[17] وجعل الله دائماً محل ثقة وعون.. ﴿**وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾[18]، داعياً إلى عدم الإغترار بالنصر مطلقاً، وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿**إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوّاباً**﴾[19].

إن الحضور الميداني الدائم في الميدان، لهو إشارة قوية لجميع المتربصين شراً

بالثورة وأهلها، قاطعاً الطريق على انتظارهم بخف زخمها وأفول حضورها في النفوس، بل لابد لها أن تبقى كالسيل الجارف لكل مخططاتهم.. وذلك في قوله تعالى ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾[٢٠]، وتلك إشارة ربانية قوية لإبراز القوة وزرع الرعب في قلوب الطغاة والمستكبرين.

ج) تدوين الأصول الثورية وتأصيلها قرآنيا

يشدد السيد القائد على ضرورة صياغة أركان النهضات المعاصرة من: استقلال ـ حرية وعدالة ـ رفض الصهيونية والاستغلال والتمييز العنصري.... والعودة بها إلى جذورها القرآنية... ورفض الوصفات الأجنبية وردها، لعدم حرف شعارات الثورة عن أهدافها الأصلية... ولقد ورد في القرآن الكريم الحديث عن غش الأعداء والمنافقين (وإن يقولوا تسمع لقولهم، كأنهم خشبٌ مسندة، يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فاحذرهم)[٢١].

د) التوافق وعدم التباعد

في هذه المحطة من عمر الثورة، يوصي السيد القائد بتجنب وقوع أطياف الثورة في شرك الإختلافات القومية والمذهبية والحدودية... وغيرها من المخاطر التي تضرب البنيان المرصوص للثورة... فإن الله تعالى يقول ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[٢٢] وشدد على ضرورة الإعتراف بالإختلافات بين المكونات الثورية، لجعلها منطلقاً للتحاور، ووضع الروئ المشتركة فيما بينها... وقد عبّر الله سبحانه وتعالى خير تعبير عن ذلك في الآية الكريمة بقوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾[٢٣].

هـ)إقامة النظام الأصيل

في هذه المرحلة من زمن الثورة، يجب على القوى الثورية أن تبدأ بتشييد أسس

النظام الذي لا يسير في الماركسية المندثرة.. أو في الغربية الليبرالية القائمة على الحروب والخداع ونهب الثروات ـ والذي لن يطول زمن اندثاره بفعل حمله لبذور تفككه في جنباته ـ بل يجب أن يلحق بجميع مقدماته ليكون إسلاميا شعبياً أصيلاً مبتعداً عن التحجر والسطحية والتعصب الجاهل، والذي يسبب التخلف والنفور والإبتعاد عن الأهداف السامية للثورة، مما يُحدث نفور جماهيري خطير، يلحقه فشل أكيد.... إنما يجب أن يرتكز على الإنفتاح على قضايا العصر بروح إسلامية مسؤولة... يقول تعالى ﴿أفمن أُسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٢٤]

و) تحديد الأهداف الإستراتيجية

إن مرحلة إقامة النظام الأصيل، لابد أن تقترن بتحديد الخيارات والأهداف الإستراتيجية والتي تُبعد عن الأجيال الثورية الركود والإسترخاء.. بل تجعلها في حالة مستمرة من العمل في سبيل تحقيق الغايات الكبرى... والتي يأتي على رأس أولوياتها التوجه بأليات محددة نحو **الوحدة الإسلامية** القائمة عل أربعة من الأسس، وهي: الدين – العقلانية – العلم والأخلاق... وهذه كلها في سبيل تركيز المجتمع بشكل متواصل.. وخصوصا أن الله سبحانه وتعالى قد أوصى في كتابه العزيز بالتآزر والتراحم: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾[٢٥] وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا**﴾[٢٦]، ناهيك عن وصية النبي محمد ﷺ عندما أراد تركيز دعائم المجتمع الإسلامي.. عندما قال: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ».. وكأنه يعود مجدداً للمقدمة التي أثارها حول إرتباط الثورات بجذورها التاريخية وأرضيتها الإجتماعية والفكرية... إضافة إلى السعي **لتحرير فلسطين** من المخالب الصهيونية.. كما تحررت

دول القوقاز والبلقان وغرب أسيا.. ولو بعد عشرات من السنوات.

السؤال المطروح: لماذا جعل السيد القائد تحرير فلسطين من الصهاينة، هدفاً إستراتيجياً في المسار الثوري الإسلامي؟

الإجابة ببساطة، لأن فلسطين وقضية تحريرها من الصهاينة هي قطب الرحى في العالم الإسلامي، فهي التي تعيد البوصلة الإسلامية للأجيال العربية والمسلمة إلى إتجاهها الصحيح، كلما حاولت قوى الإستكبار تضييعها... والشواهد التاريخية البعيدة والقريبة على ذلك لا تُحصى منذ زرع الكيان الغاصب في أرض فلسطين.. ولعل أخطر شاهد على ذلك محاولاتهم الحثيثة في إثارة النعرات الطائفية والمذهبية والعرقية وحتى الحزبية الداخلية في مختلف الأقطار العربية والإسلامية.. ضمن مشاريعهم القديمة المتجددة في «الفوضى الخلاّقة» وصولاً إلى «العماه الخلاّق».. ناهيك عن إثارتها الخوف العربي المصطنع من النهضة العلمية للجمهورية الإسلامية، لجعلها قبلة الصراع للعالمين العربي والإسلامي دون الكيان الصهيوني.

ز) صيانة وقود الثورة

تعتبر الأجيال الشابة في البلدان الثائرة وغيرها من البلدان الأخرى، إكسيراً للمرحلة الثورية من بدايات تشكلها إلى تجسّدها واقعاً على الأرض.. وصولاً إلى الحفاظ على ديمومة منجزاتها.. باعتبار الشباب الثائر صمام أمانٍ لها ومشعلاً يُستضاء به ونبراساً يستلهم نهجه الأخرين... من هنا نجد السيد القائد يوصي بتغذية الشباب بتجارب الآباء والأجداد.. وتثقيفهم في أعماق شخصياتهم..

وفي ختام الكلمة أوصى السيد الخامنئي بضرورة إعادة قراءة القرآن الكريم، قراءةً ثورية... وخصوصاً تلك الآيات التي ترسم أهداف وسياسات الثورة، ليؤكد أن لهذه الآيات المباركة مساراً ثورياً يُشترط سلوكه، لينطلق من: التقوى، فرفض

لطاعة الكافرين وصولاً إلى إتباع الوحي (الحق) فالتوكل على الله والاعتماد عليه (الصبر وعدم اليأس من النصر)... وذلك أيضاً تصديقاً لقوله سبحانه: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ [٢٧]، والتي لابد أن تكون نتائج هذه الاستقامة على الأرض هو نجاح للثورة-الصحوة، وثباتها.. تماماً كما هي التجربة التي أطلقها الشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام الخميني الراحل قدس سره والتي يحمل لوائها اليوم خليفته السيد الخامنئي، لأنها ستكون عندها حتما كما قال الله سبحانه ﴿... **كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها**﴾.

خلاصة القول إن ربط السيد القائد للثورات والنهضات الحاصلة في بعض بلدان العالم العربي والإسلامي بالصحوة الإسلامية للشعوب... لهو من منطق القول في وعي الشعوب الإسلامية لجذورها الإسلامية الأصيلة والتي لا يمكن لأية نهضة في أي من هذه البلدان أن ترى النور إذا كانت منسلخة عن ثقافتها حتى لو حكمها السبات ردحاً طويلاً من الزمن.

النقطة الثانية التي ركّز عليها السيد القائد في جميع مفاصل خطابه، هي الدعوة الصريحة لكل فئات المجتمع الإسلامي بنخبه وعلمائه ومثقفيه إلى بعث ما يمكن تسميته بـ«التفسير الثوري للقرآن» ـ وقد بدأت لتوي في هذه العجالة التي كتبت ـ والذي يُستوحى من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في مدحه لعظمة القرآن الكريم وآياته المباركة عندما قال: «إن آيات القرآن تجري مجرى الشمس» في دلالة على حركتها المتجددة على مر العصور.

الهوامش:

(١) إبراهيم: ١٤ ـ ١٥.
(٢) آل عمران: ١١٠.
(٣) الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٤) الحج: ٣٩.
(٥) البقرة: ٢٤٩.
(٦) الطلاق: ٣.
(٧) النور: ٣٩.
(٨) هود: ١١٣.
(٩) البقرة: ٢٤٧.
(١٠) الأنفال: ٤٦.
(١١) المنافقون: ١ ـ ٢.
(١٢) الأنعام: ١٥٣.
(١٣) الأحزاب: ١٠.
(١٤) العنكبوت: ١ ـ٢.
(١٥) آل عمران: ٢٠٠.
(١٦) الأحزاب: ١١.
(١٧) الشرح: ٧.
(١٨) الشرح: ٨.
(١٩) النصر: ١ ـ ٣.
(٢٠) الصف: ٤.
(٢١) المنافقون: ٤.
(٢٢) الأنفال: ٤٦.
(٢٣)الحجرات: ١٣.
(٢٤) التوبة: ١٠٩.
(٢٥) الفتح: ٢٩.
(٢٦) آل عمران: ١٠٣.
(٢٧) الأحقاف: ١٣.

التحوّلاتُ في العالم العربّي
بين مشروعيّ الإسلام السياسيِّ والليبرالي الأمريكيِّ

محمد صادق الهاشمي

المقدِّمة

مراكز الدراسات العالمية وصفت ما يحصل فى العالم العربى بأَنَّهُ (سونامي العرب)، وآخرون وصفوه (زلزال العرب)، نعم انَّها تسميةٌ أتتْ من عمق الأهمية التي تنطوي عليها حركةُ المجتمعات العربية، وثوراتهم التغييرية، والطبيعة التي تحرَّكت بها التظاهراتُ والاهدافُ التي رُسمت، وآليات العمل الثوريِّ.

من هنا وجب أن نقف جاهدين بقوَّة التحليل ودقَّة المعلومة، ومن خلال تتبع مجسَّات المؤثِّرات التي ألقت ظلالها على العقل العربيّ السياسيّ، وانتهت بهذه التحرُّكات كنتيجة عن مؤثِّرات تأريخيّة شهدتها المنطقة، وتفاعلت رويداً رويداً عبر العديد من المواقف والمنعطفات التي شهدتها المنطقة، و التي شخَّصَ الجيلُ العربيّ من خلالها مصالحه بأيِّ اتجاهٍ يجبُ أن تسيرَ، وأيّ منهجٍ يجبُ أن يعملَ به كي يقوده للبناء والخلاص والتغيير.

نحن لانصادر النتيجة البحثية العلمية بأنْ نحكم مسبقاً على المؤثِّرات،

ونجزم باعطاء النتائج، ولكن قد نجدذلك في تضاعيف البحث من خلال الدليل والمؤشّرات، وتتبع نقاط الشبه التي تشكّل قواعد للربط والاستنتاج.

عقدان من الزمن وأكثر والعالمُ العربيّ وأجياله تعيشُ في خضمِّ حركتين تتفاعلان في محيطه الاقليمي، حركةٌ تسيرُ باتجاه الغرب، وأخرى تقفُ بالضدِّ منها، فمن دون أدني شكٍّ وأدني تأمّل أن المواطن العربيّ و من حيث لايشعر وبصورة قهرية يجد نفسه في خضمِّ التجاذبات والتفاعلات والحراك أنَّه متاثرٌ بأحدهما، وحاكم عليها بالسلب أو الايجاب، خصوصاً اذا وجد أن إحدى هاتين الحركتين أضرّتْ بمصالحه الوطنية والمعاشية والاقتصادية والسيادية والقومية وأخرى ناصرته.

لا أدافع هنا عن إحدى الحركتين والاتجاهين لأنَّي يجبُ أن أشخِّص الأمور بروحٍ عادلةٍ علميةٍ بعيدةٍ عن الانتماء و مؤثِّراته، ولا أريد اعطاء نتيجة نهائية، بل غاية ما أبتغيه مجرّد إثاراتٍ تاركاً للباحثين الردَّ والتعديل والتأييد خصوصاً أنَّنا نناقشُ هنا حدثاً بعدُ لم يكتمل، ومن هنا نؤكِّد أنَّنا نتحدثُ بروحٍ استنتاجيةٍ اسشرافيةٍ على ضوءِ المعطياتِ.

من يقف وراء الثورات، ومن يحرِّكُها؟

أجمعتِ الدراساتُ على أن تحرُّكَ الجماهير العربية – الذى بدأ فى تونس، ومن ثمَّ مصر والدول العربية الأخرى – تحرُّكٌ عفويٌّ إثر أسبابٍ عديدةٍ، كلٌّ هذه الاسبابِ ولم يكن واحداً منها التدخَّلُ الدوليُّ، أو الامريكيّ تحديداً، بل أن الشعوب العربية سئمت عمالة الأنظمة العربية ونهبها وسلبها لخيراتها وثرواتها، مضافاً إلى طغيانهم وبطشهم، وكذلك نظام التوريث ممّا أدّى بها إلى أن تتحرّك وتثور، خصوصاً أن العامل الاقتصادى له أثره فى التحريك كمؤثِّرٍ حساسٍ يتصلُ

بحياة الناس اليومية، وحتى نُجملَ الأسبابَ التى كانت هي المحرِّك للشعوب العربية، نلخصُّها في ضمن نقاطٍ، وهي:

أ) الوضع الاقتصاديّ المتدنِّي الذي عليه جلُّ الشعوب العربية، ونهب الثروات فى بلدانهم الغنية بالبترول والمعادن والموارد الأخرى، فانّ صوراً من الجوع والتركيع مرعبةٌ ومُبَالَغٌ فيها يعيشُها المواطنُ العربيُّ، بلغ أعلى مستوى من الفقر والبطالة، وحسب تقريرالأمم المتحدة، فإنّ ٤٣٪ يعيشُ تحت خطِّ الفقر، سواءٌ في ذلكَ البلدانُ العربيةُ النفطيةُ أم غيرُهَا.

ب) ويجدر بنا أنْ ندرك أنَّ الثروات الطائلة التى تحوّلت الى املاكٍ شخصيةٍ لأسرِالحُكام ومقرَّبيهم وذويهم، يدخلُ عاملاً مهمّاً فى تحريك الشعوب، وخصوصاً أنَّ الاستهانة بهذه الشعوب بلغ أعلى مدياته، حيث صارت البلدان العربية سوقاً شخصيةً للإستثمار بيد الحكام، وتحوّلت الشعوبُ الى طبقة من الفقراء ومن الجياع، وشبابٌ لا يجدون قوت يومهم، ويلازمون اليأس والاحباط والهجرة والمحنة وانعدام المستقبل، بعد أن أتمّوا مراحلهم الدراسية، ممّا أفقد العالم العربيّ وأجياله أيّ تطوّر ونموٍّ بسبب عامل الاحباط، وقد أدرك المواطنون العربُ أنَّ هذا لم يكن أمراً عفوياً، بل هو مخططٌ يرتبطُ بمصالح الغرب لتركيعهم.

ج) نظام التوريث، وغياب الحريات والديمقراطية السياسية فى بلدانهم.

د) العمالة لإسرائيل والصهيونية، وشيوع الانظمة العسكرية المستبدة، وتقوية الأنظمة الأمنية بصلاحيات وامتيازات عالية فى الدول العربية، وذلك لحماية أنظمتهم ودكتاتوريتهم واستبدادهم على حساب كبت الحريات، يرافق ذلك أنَّ في السنين الأخيرة صار للإعلام دورٌ بارزٌ في العالم، وذلك لانتشار الفضائيات، ورفع الحظر عنها، ممّا أتاح للمواطن العربى أن يشاهد التجربة الديمقراطية في العالم،وفي

الدول المجاورة له كإيران والعراق، والدول العربية والإسلامية المجاورة ممّا شجّع الشعوب في الدفاع عن مصالحها ومحاولتها لتطبيق التجربة ذاتها.

وانّ سياسة التسلُّح العربيّ التي ذكرت المصادر أنَّها استنزفت ٤٧٪ من اقتصاديات المخزون العربيّ، أمّا نفقات البلدان العربية على أجهزة الأمن لتغييب الشعوب عن أيّ فعلٍ وتفاعلٍ، ولكي لا تساهم في بناء مصيرها الوطني والقومي بلغ ٢٣٪ من اجمالي المخزون العربيّ سجوناً وأجهزةً ومبانيَ وعلاقاتٍ وتسليحٍ، كلُّ هذا يشعر به المواطنُ،ويشعرأنَّهُ ضدَّهُ وليس لصالحه، ويشعر أنّه لحماية الأنظمة والأُسرِ الحاكمة، لا لحماية مصالحه الوطنية والسيادية، وبنفس الوقت نشاهد انتشار الوعي الثوريّ الإسلاميِّ إثر ثورة الإمام الخمينى وفكره الثوريّ، ومواقف الجمهورية الاسلامية لصالح المسلمين العرب فى صراعهم ضدّ إسرائيل، يقابل ذلك أنّ المواطن العربى يجدُ قادته قد ارتمسوا إلى شحمة آذانهم فى الهوان والذلِّ والتخاذل والعمالة والتخلّي عن الثوابت من خلال مؤتمري أوسلو ومدريد

وأنّ سبب انتشار الوعي الإسلاميّ ونموّه كان ردَّةَ فعلٍ، ونتيجةً للاحتلال الأمريكى الى العراق، وكشف الفضائيات التعامل الجرائميّ الصهيونيّ مع الشعب الفلسطينىّ، بعد ما كان تضليلُ الإعلام العالميّ مخيماً على جرائم الإسرائيليين، كلُّ تلكم المعطيات والأحداث والمؤشِّرات ولَّدتْ فى أعماق هذه الشعوب ردّةَ فعلٍ باتجاه المشروع الإسلاميّ الذي طرحه الإمام الخميني، وعززه الامام الخامنئى بمزيد من الوعي والقوّة والنضج، ولا ننسى أن للسيد حسن نصر الله دوراً فى ترجمة الخطاب الثوريّ للإمامين إلى واقع عمليٍّ فى العالم العربيّ، إذ استطاع فى مقاومته أنْ يبني مجدّاً عربيّاً صادقاً وعزةً ألهمت الشعوب العربية حماساً لا مثيل له، وحرَّكت في الفرد العربيّ ثوريته المكبوتة، فصار توَّاقاً لإعادة مجده، وتاريخ ثوراته، لا أقلّ بما يرتبط بحياته الشخصية وحقوقه المعاشية،خاصَّةً وهو يرى حلاوة

الانتصار عند حزب الله وحماس، وهي- الشعوب العربية- تقايس بين منهج الذلِّ والعزِّ الذي تطرحه الجمهورية الاسلامية.

و) انتشار المدِّ الإسلاميّ المعتدل فى المنطقة.

اذن هذه هي بعض وأهمّ الأسباب التى أدّت بالشعوب العربية الى أن تنهض وتثور وتنتفض، والدليل أن الشعارات التى رفعت كانت فى كلّ البلدان العربية تعالج هذه الأمور وتضعها كشروط وأهداف في ثورتها مصرّةًعلى تحقيقها، ولم تتنازلْ عنها، ولم تقبلْ أيَّ علاجٍ ترقيعيٍّ دونها باستبدال حكومة بأخرى وجلاد بآخر لابقاء ذات النسيج.

وأنّنا نجد أنَّ الشعارات والأهداف التى تطرح سواءً أكانت مكتوبةً أم منطوقةً أم من خلال شبكة الانترنبت و(الفيس بوك) كانت تركز على ماذكرناه واحداً واحداً.

أبرز الملاحظات الجوهريه فى الثورات العربية ؟

هناك عدد من الملاحظات المهمة التى تابعتها وسائل الاعلام ومراكز الدراسات، والتى تؤكدُ أنَّ هذه الثورات تأثرت بنسبة عالية بمؤثّرات العقدين وصراع الاقليم بين الحركيتن والاتجاهين وهى:

أ) الصبغة الدينية الاسلامية التى حكمت على التحرّك الشعبيّ فى تظاهراته اذ كانت الصلاة والشعارات الدينية وحضور العلماء واضحاً لا يمكن أن ينكره أحدٌ،وأنَّ ميدان التحريرفي مصر عكس ذلك، وفى تونس كان أشدَّ وضوحاً، وهكذا فى كلِّ البلدان العربية حتى فى ليبيا وفى البحرين، كُلُّ ذلك أكَّدَ أنَّ الثورة يقودُها العلماءُ بوضوحٍ، وهكذا باقى الدول العربية، المهمُّ لا نريد أنْ نقول إنَّها ثورات إسلامية بل نقول: إنَّ للاسلاميين فيها أثراً واضحاً.

ب) أنّ هذه التظاهراتِ شعبيةٌ من حيثُ المبدأُ، فلم تكن حزبيةً ولا عسكريةً ولا حتى مموّلةً من أيِّ جهة، فقد تحرّكتِ الشعوبُ قبل الأحزاب، وتحرّك الفقراء قبل الاغنياءِ والعلماءِ والقادةِ المعروفينِ، ومن المؤكد أنَّ الأحزاب التحقت بها ونظّمتها، وأعطتها قوّة باعتبارها جزءاً من حركة الأمّة، بدرجة مساوقة غير سابقةٍ لها، ولولا تدخّل الاحزاب لترشيدها وتوجيهها لسقطت وفشلت، بعد أن حاولت المخابرات العربية أن تلتفَّ عليها، خصوصاً فى مصر حينما دخل الارهابيون على خيولهم وجمالهم وشتتوا التظاهرة، فى اليوم الثانى كان ميدانُ التحريرفارغاً، ولكنَّ الأحزاب الاسلامية، الاخوان وغيرهم دخلوا بأربعين الف متظاهرٍ الى الميدان، وأقاموا الصلاة فيه، والصلاةُ هنا تعني أنَّ الحركات الإسلاميّة حاضرةً، تراقب وترصد وتقوّي وتمانع أن يلتفَّ على ثورات شعوبها أحدٌ، ومن نفس الميدان دعوا الى التظاهرات المليونية.

ج) يطغى على التظاهرات كلِّها حضورُ العنصر الشبابى.

كما لا ننسى أنّ لعامل الجوع والبطالة والفقر دوراً هامّاً، مضافا الى أنَّ عنصر الشباب اكثر حماساً ووعياً وتقبّلاً الى الاسلام، وهم بلا اشكال الذين تحمّلوا معانات المراحل السابقة و الراهنة بكلِّ معاماتها.

د) تكرار مفردات الثورة الاسلامية فى ايران في الشارع العربيّ خلال ثوراته من تصالح الشعب مع الجيش ورفعه شعارات المصالحة مع الجيش، وشعارات أنّ الجيش جزءٌ من الشعب، وهذه هى أبرزالمبادئ التى أكد عليها الامام الخمينى فى ثورته يوم كان يدعو الشعب أنْ يتصالح مع الجيش بمختلف الشعارات، ممّا جعل الجيش يضع الورد فى فوّهات البنادق، وهذه صورة أعادت للمراقبين والاعلام العالميّ والعربيّ مشاهد ثورة ايران، وهذا ماتحدّث به حتى الاعلام الاسرائيليّ، بل

وكان مؤشّراً مهمّاً فى عمق هذه الثورات، وأنّها تمتدُّ فى وعيها الى ثورة الامام الخمينى بأخلاقياتها ومبادئها ونضجها.

هـ) رفع الشعارات الاسلامية والتنديد بأمريكا والصهيونية والمعاهدات والاحلاف معها، والتنديد بالسكوت العربيّ والعمالة العربية مع اسرائيل، ممّا حدا باسرائيل أن تعتبر ما يحصل استنساخاً للثورة الاسلامية الايرانية، وأنَّه تصديرٌ لها فى زمنٍ متأخِّرٍ (وأنَّها ترددات كانت وصلت متأخّرةً، بسبب كبت الحكام العرب لها)[1]، وكما عبّر بشّارالأسد (من أنّ مايحصل فى العالم العربى جاء بتأثير الثورة الاسلامية فى ايران)[2]، واعتبرها وكيل الخارجية السعودية الأمير تركي بن محمّد(تصديراً للثورة الايرانية)[3]

ماهي الخطّطُ والسناريوهات الامريكية

وقفت أمريكا منبهرةً فى فهم وعلاج هذه الثورات العربية، وحاولت أن لا تصرّح بشئ ريثما تتفهم بعمقٍ ما يجري، فان ثوره تونس استمرت ٢٠ يوماً، والموقف الامريكى غير واضحٍ الا بعد أن زارت هلارى كلنتن الدول الخليجية وحذّرت الحكام العرب من الاستمرار فى سياسة الكبت، وعليهم أن يتوجّهوا أكثر الى شعوبهم وشبابهم، وحذّرتهم من أن يتجاهلوا الحريات فى المنطقة، وتسارعت الأحداثُ أكثر واكثر، ممّا جعل الموقف الامريكى لايمكن أن يكتفى بإشرات من وزيرة الخارجية، حينها أخذ يدخل الرئيسُ الامريكي وطاقمه على الخطّ

وكان السناريو الامريكى الذى تحدثت عنه مؤسسة راند الامريكيه ونقله موقع الدراسات الدولية فى الاهرام، وأشارت اليه عددٌ من الاشارات[4] هو مايلى:

أ) نقل السلطة الى يدٍ ليبرالية آخرى

وتتضمن هذه الخطّة – بخصوص شمال أفريقيا – نقل السلطه من يد الحكام

العرب الذين تحرّكت شعوبهم ضدّهم سريعاً الى يدٍ تأمن عليها أمريكا وإسرائيل بأنْ تكون يداً معروفةً بولائها للغرب ولاسرائيل كما حصل أن نُقلت الحكومةُ فى تونس الى الغنوشي، ثمَّ الى غيره، ولكن كلهم من نفس الجنس والسنخ والاتجاه، وقد كان الامام الخامنئى ملتفتاً جدّاً الى هذا المخطط فى السيناريو الامريكى، لذا حذّر منه فى خطابه الذى وجّهه لتأيد ثورة مصر، وهذا ما يؤكّده تصريحُ أوباما بعد أن استقال مبارك قال(إنّنا نقف الى جانب الشعوب، ولا توجد لدينا رؤية مخالفة لارادة الشعوب، ونأمل أن تجرى انتخاباتٌ حرّةٌ تستوعب الجميع، وقال: إنّ أيّاماً صعبةً أمامنا، وأسئلةً تحتاج الى أجوبةٍ،وأنَّ الشعب المصريّ هو الذى سيقدّم هذه الأجوبة، خصوصاً فيما يتعلّق بالديمقراطية، ومعاهدات واتفاقيات السلام، والاتجاه نحو الحرية ومحاربة التطرّف والعنف والارهاب)[٥].وواضح هنا أنّ أوباما – و من خلال التصريحات والاصطلاحات التى يستخدمها السياسيون والاعلام والدبلوماسيون الامريكان أيضاً – يدعو الى تحوّل من يدِ مبارك الى يدٍ امريكيةٍ أخرى تحترم إسرائيل وتقيم معها السلام بمعزل عن الاسلام السياسيّ.

ب) أن تمنع تكرار هذه الثورات فى دول الخليج النفطى، الذى يعنى لامريكا الكثير، فامريكا والغرب يومياً تحتاج الى ٧٥ مليون برميل نفط كإستهلاك يوميٍّ، وان الخليج يؤمّن لها ما نسبته ٣٤٪ من هذه النسبة[٦]، و لأنّ إنهيار أيّ نظام فى الخليج وخصوصاً النظام السعودى يعنى بلا إشكال مزيد قوّة للجمهورية الاسلامية أكثر من أيّ وقت مضى، لذا قالت إحدى الدراسات[٧]:إنّ انهيارنظام صدام حسين دفع بايران الى أن تكون قوّة اقليمية أكبر من أيّ وقت مضى، وان انهيار مصر بدوره يضاعفُ من قوّتها، ومهما أتى أيّ نظام جديد في العالم العربيّ فان ايران لابدّ أن ترتب أوراقها وعلاقتها من جديد بما يجعلها لاعباً مهمّاً وشريكاً أساسياً له موطئُ قدمٍ، على عكس ما كان مع الحكومات العربية السابقة، ولكي

تبرز ايران كقوّة إقليمية بكامل قوّتها ليس أمامها من حاجزٍ ومانعٍ الا سقوط الحكومة السعودية)، لذا سارع وزير الدفاع الامريكى الى زيارة المنطقة قبل أن يأتيَ درعُ الجزيرة الى البحرين بأيام ورتب معهم اوراق المنطقة[٨].

ج) المرحلة الثالثة فى السيناريو الامريكى وهى تصدير الانقلابات من العالم العربيّ الى الدول والقوى التي تُشكّل خطّ مقاومة لمشروعها، كلّ من ايران وسورية وحزب الله لبنان وآخرين، ونحن نعتقد أن تحرّك سعد الحريرى ضدّ حزب الله بتظاهراته والتحرك الخليجيّ ضدّ معارضة البحرين ومساعى جرت لتحويل التظاهرات في العراق من مسارها المطلبي الى مسارٍ آخر يستهدفُ البنى التحيتة في العملية السياسية، لارجاعها الى مربّع الصفر، لاسقاط بعض القوى السياسية المحسوبة قهراً على ايران، وتحريك ما أمكن من الداخل الايراني آجلاً أو عاجلاً كلُّ ذلك يأتي ضمن هذا المخطط الامريكى[٩]. وهذا ما أكده حامد ربيع فى تقريره عن مفهوم الأمن فى الخليج، تحت عنوان (السياسيات الخارجية ومشكلة الشرق الأوسط) ص ٣٣، وما ذهب اليه الدكتور علي أبو الخير[١٠] قال: وهذا ماشار اليه لترمان مدير برنامج الشرق الأوسط التابع للبنتاكون مانصه(أنّ واشنطن تراقب تأثير ما يحدث فى المنطقة على إيران نفسها)، وفى هذا السياق يأتي تشديد الولايات المتحدة الامريكية، وتصعيد لهجتها تجاه ايران فى تصريحات تطالبها بإحترام الحريات داخل ايران، على أمل أن تؤثّر هذه التطوّرات فى إضعاف النظام الإيرانى)

د) أضاف أحد أكبر رجال وصنّاع السياسية الامريكية- كيسنجر- سيناريو آخر، وهو تفتيت العالمين العربيّ والاسلاميّ، ورأى أنّ العالم مهيئٌ اكثر من أيّ وقت مضى لتطبيق برنامج التفتيت، لان كيسنجر يرى أنّ أحد أسباب الانفجارات هي عوامل عدم التعايش الداخلي بين مكوّنات الدول العربية والاسلامية، ومن خلال محاضراته يشيرُ بقول (ماهو المانع أن تطبق أمريكا مخطط برنارد لويس[١١])[١٢].

هـ) السناريو الرابع أنْ يتمّ منع ايران أن تُسهم في رسم خارطة العالم العربيّ، أو يكون لها موطن قدم في ذلك، وان يمنع هذا المارد أن يخرج من قمقمه، وسنتطرق لهذا في موطن آخر من التقرير.

ماهي الدروس والعبر التي تجلّت؟

قلنا هذه الثورات زلزالُ العرب وقنبلةٌ سوف تضرب في أعماق الوجود السياسيّ العربيّ، فهي لم تأتي من فراغٍ، بل من خلفياتٍ وعُقدٍ تأريخية يعانيها الفردُ العربيّ، فهو اليوم يثور ليغير كُلَّ ما يعتقد أن له ثمة مساس بحياته واستقراره، وأمنه ومعاشه وثوابته، من هنا عكست لنا الثورات العربية عدداً من المعطيات، وأشّرت عدداً من المؤشّرات، وهي على الاجمال:

١ـ انها ثورات على الطغاة لن تقبل بأقلَّ من إزالتهم والغاء آثارهم وبنيانهم الذ ي بنوا، فهم طامحون الى بناء عصر سياسي جديد يتضمّن دستوراً يحفظ لهم حرياتهم ومشاركةًواسعةً لقواهم وجماهيرهم في السلطة، وهي ثورة تؤشّر بكُلِّ قوّة أن زمن الطغاة العرب ولّى الى غير رجعة.

٢ـ انها ثوراتٌ واعية لايمكن سرقتها والإلتفاف عليها، كماتريد أن تفعل أمريكا ما استطاعت الى ذلك سبيلاً، ولايمكن أن تخفض أمريكا وكلّ مخابراتها سقف مطالبها.

٣ـ انّ التغيير الذى حصل أسقط خيار التغيير الامريكى فى العراق من خلال الغزو، وانّ خيار التغيير الشعبى الثورى هو الأصحّ منهجياً، سيما أنّ الثورات استطاعت أن تقدّم دليلاً ملموساً على إسقاط الطغاة، وتحقيق النصر، نعم هذه غُيبت وغابت وعاشت الغيبوبة الثورية، وكنا نعتقد ويعتقد الجميعُ أنها لايمكن أن تتحرّك، ولايوجد فى تاريخها أيُّ ثورة شعبية انقلابية من هذا

النوع،وبهذا العمق، وعلى امتداد تاريخ العالم العربيّ، نعم أثبتت قدرتها ونجاح طريقتها وأثبتت أنّها أقوي من أيّ عقل يريد أن يلتفّ عليها ويصادرها ويحرفها عن مسيرتها،وما كان ذلك ممكناً لولا تاثيرات مهمّة فى العقلية السياسية العربية، قد تكون بنظري هذه ترددات الثوره الخمينية وثورة الشهيدين الصدرين وغيرهم من المخلصين لشعوبهم.

٤ـ فشل ما يقال: إنّ الغر ب قادرٌ على انتاج رؤية سياسية جديدة، وتحريك المنطقة ورسم صورتها وخارطتها كيفما يشاء، بل فشلت أمريكا – كما أشّرته حركة الشارع العربي- وعادت أمريكا بلا اى مشروع، وقد سخرت الانبدندت البريطانية من مقولة وخطاب رئيس حزب العمال تونى بلير (دعونا نعيد تشكيل العالم)[١٣]، وقدعلّقت الصحيفة المذكورة قائلةً (من اننا غير قادرين – اى الغرب- على إعادة تشكيل أيّ شئ من العالم العربيّ والاسلاميّ، ولا حتى فى الجزء القريب منا- يقصدون تونس)[١٤].

٥ـ ان المنطقه سوف تشهد ظهور خارطة سياسية جديدة، وأنّ دول المقاومة ستكون لها الصدارةُ فى قلب هذا العالم، وبحيِّز أكبر من أيّ وقتٍ مضى، وهذا ما حذّرت منه القيادات الامريكية، اذ قالت هلارى كلنتن محذّرة من تأثيرات ايران فى العالم العربىّ وأن تمتدّ يدها لذلك بقولها أمام الكونكرس الامريكى: (إنّ الايرانيين يبذلون كلّ مابوسعهم للتأثير على نتائج الأحداث فى العالم العربى) وقالت: (انه توجد اتصالات لايران مع حزب الله وحماس كى يكونوا وسطاء فى التحرّك العربى المصرى وحتى فى البحرين). وقالت (إن الايرانيين يحاولون التقرّب من اصدقاء جدد ليأثّروا من خلالهم بالعالم العربي). وقالت الأمر يتطلّب جهداً ومزيد جهد من أمريكا). وجاءت تصريحات كلنتن لحثِّ لجنة النفقات المالية الفيدرالية فى مجلس الشيوخ الامريكى ومن خلال جلسات مطوَّلة لإقناعهم بالمصادقة على

ميزانية وزاره الخارجية الامريكية والوكالة الامريكية، (وقد كررت كلنتن عباراتها إنّا فى منافسة مع ايران).

هل بعد هذه التصريحات ثمة شكٌّ في أن الوضع فى العالم العربى يجرى خلاف ما ترغب به امريكا وخلاف توقعاتها، وهذا ما يؤكّده كلامٌ طويل لوزير الدفاع الامريكى الذى هاجم الحكام العرب، واصفاً إيّاهم بأنهم كانو يجهلون رغباتِ شعوبهم، وما يجرى فى بلدانهم، وهاجم مؤوسسات الانظمة العربية لأنّها لاتعلم، وفى غياب تامٍّ عن تحوّلات الشارع العربيّ، ثمَّ قال(إنَّ النهاية بالنسبة لنا ليس بالضروره أن تكون سعيدة، وفى جميع الاحوال... فنحن فى نفق مظلمٍ، ولا أحد يعلم ماذا ستكون العاقبة)[١٥]، ثمَّ قال بنفس المصدر يصف العالم العربى(هذه الصفائح الكارتونيه فى الشرق الأوسط التى ظلّت متجمدة لستين سنة) وقال(إنّ التحدّى الذى يواجه الولايات المتحده هو ادارة التغيير السياسي).

٦- أمّا الموقف الاسرائيلى فقد ظهر مرتبكاً وخائفاً، وتصاعد الخوف والارتباك أبان أحداث مصر، ففى الوقت الذى كانت الحكومة الامريكية ترحّبُ وتتابع وتقترح وتدعو الى انتقال سلميٍّ فى مصر[١٦]،كانت اسرائيل تبدي مخاوف شديدةً، وهذا ما عكسته تصريحات رئيس الوزراء الاسرئيلى بنيامين نتنياهو ممّا أدّى الى أن يطلب منه وزير الدفاع الامريكى خلال زيارته لاسرئيل فى هذه الفتره أن يكون الموقف الاسرائيلى أكثر هدوءاً سواءً فى التعامل فيما يحصل فى العالم العربى أم التعامل مع الفلسطينين؛ لان نتنياهو كان يريد ضرب حماس وشنّ هجوم عليها. قال كيتس: (الاسرائيليون قلقون جدّاً من التغيّرات التى تجرى فى المنطقة، بينما إدارتنا تنظر الى الأمور بشكل مختلف)[١٧]، وقد طالب إيهود باراك وزير الدفاع الاسرلئيلي بمبلغ ٢٠ مليار لتحديث إجهزة الأمن الوقاية من تدعيات ما يحصل، وطالب نتنياهو بمبلغ آخر لتمويل صندوق للديمقراطية في العالم العربيّ.

وهنا نقول فى هذا الصدد إنّ اسرئيل مهما صبرت وخططت هى وامريكا فانها لاتجد بعد اليوم الاستقرار الذى نعمت به خلال تواجد الحكام العرب، وان اسرائيل تنظر الى أن الثورات على الحكام العرب – المقرّبين منها،والمؤمنين بخطّها واستراتيجيتها– هجومٌ على اسرائيل نفسها، وأنّه يعنى أنّ ثمة تحوّلات فى عقلية الشعوب العربية باتجاهٍ مضادٍّ لاسرائيل.

٧ـ أيضا أظهرت الثورات العربية أن خياراً امريكياً برز، وهو تأهيل السعودية كي تقوم بدور شرطي الخليج وحامي المصالح الامريكية، وهذا ما صرّحت به هيلاري كلنتن في كلمةٍ لها خلال افتتاح المنتدى العالمي– الاسلامي في واشنطن قالت: (إنّ أمريكا تعتزم القيام بمسعى جديد لرسم خارطة العالم العربيّ، ولإحلال السلام بين اسرائيل والفلسطينين من خلال المملكة العربية السعودية)[١٨]، من هنا نجد أنَّ السعودية اليوم كلبٌ مسعورٌ لمهاجمةِ كلِّ الدول التى تقف ضدَّ مشروعها الصهيونيّ، وقد انعكس ذلك أن بمهاجمة شعب البحرين، والعمل على تقوية درع الجزيرة.

٨ـ وعلية أن ثمة حرباً باردةً من الآن نشأت بين قطبين اسلاميّ وليبراليّ، وسوف تظهر قطبية لها تراتبية في العلاقات بين هذين القطبين، ولكنّ أمريكا كعادتها، وكما استعاضت بصدام في مواجهه المدِّ الاسلاميّ في المنطقة فانها تستعيض اليوم بالسعودية، كي تكون بديلاً عنها، هي وحركات ليبرالية كي تحلَّ محلّها في ممارسة دور المصدّ بوجه القوى الاسلاميّة، ولكي تنقل أمريكا الخلاف من خلاف بين الاسلام والغرب الليبرالي الى خلاف مذهبيٍّ لايتجاوز المنطقة،وتدفع المنطقة لأجله دماً جديداً نيابةًعن أمريكا، كما أهّلت كذلك أوربا لتقاتل في ليبيا، ومن هنا نرى أن الأمر غير محسومٍ بين القوى، بل الحرب الباردة بين الطرفين ستتخذ أشكالاً عديدة، وبطبيعة الحال يلازم ذلك ظهور نتائج، وتغيير في الخارطه بتبع ذلك، ومن يحسّم الامرلصالحه هو المنتصر ولكن المؤشّرات تدل على أن الرياح لصالح

المشروع الاسلاميّ مهما حاولت امريكا فانها لا تجد بعد اليوم نفسها اللاعب الأوحد في المنطقة، بل ظهر لها منافسٌ شرسٌ اسمه الاسلامُ، وحرية الشعوب وتحررها، وانّ ما لقيته الشعوبُ التي ثارت وهي تحمّلُ أمريكا مسؤولية معاناتها سوف تكون اقربَ- كردّة فعل- الى المشروع الاسلاميّ منه الى الغرب الليبرالي، ولكن هذا يرتبط بقدرة الاسلاميين على أن يكونوا عند حسن ظنِّ شعوبهم، والتكيّف مع المتطلبات السياسية الجديدة واعادة صياغةمشروعهم ووخطابهم بما يلائم المستجدات والله الموفق.

الهوامش:

(١) دي كارديان ١٠ ـ ٢ ـ ٢٠١١.
(٢) الحياة ٢ ـ ٢ ـ ٢٠١١.
(٣) الشرق الأوسط ١٨ ابريل ـ نيسان ٢٠١١.
(٤) جريده الواشنطن بوست ٢٢ ـ ٢ ـ ٢٠١١.
(٥) الشرق الأوسط ٢ ـ ٢ ـ ٢٠١١.
(٦) مؤوسسة راند بتاريخ ١٣ ـ ٢ ـ ٢٠١١ سمير صارم انه النفط ص ٧٧.
(٧) مؤسسة راند بتاريخ ١٣ ـ ٢ ـ ٢٠١١
(٨) ١٥ ـ ٣ ـ ٢٠١١ نقلا عن جريده الشرق الأوسط بتصرّف.
(٩) نقلاً عن التقرير الاعتيادي الاستراتيجي مؤوسسة البيان لندن العدد٧.
(١٠) مركز فارابي مصر في تقريره مصيرالخليج والثورات العربيه الى اين ص ٢٣.
(١١) لويس هذا هو الذي طرح مخططاً لتفتيت العالم العربيّ والاسلاميّ، وهو مستشرق بريطانيّ الأصل يهوديّ الديانة، وانّ كلّ الكتب التي أُلّفت من قبل اليمين المتطرّف التي تدعو الى الهجوم على الاسلام ـ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانقضاء الحرب البادرة، وتمحض أمريكا لادارة العالم كقطب أوحد يمتلك ادراة تراتيبية العالم والقوي ويوزّع الأدوار، وحده يرسم خارطة العالم وفق ارادته متسفيداً من فائض القوّه التي تحققت لديه إثر تفرّده القطبيّ، وحماس اليمين إثر هزيمة الاتحاد السوفياتي ـ كان اليه يعود الفضل، بما فيها مؤلّفات صموئيل هنكتون (صدام الحضارات)، نعم كانت تشير هذه الكتب وتستفيد من اراء لويس، ولويس له علاقات مهمّة مع اليمين الامريكي المحافظ منذ السبعينات وفي ١١ ـ ٢ ـ ٢٠٠٧، ألقى ديك جيني خطاباً كرّم فيه لويس، و هذا الرجل له نظريات تختزنها ذاكرة اليمين المتطرّف الامريكي، وتتحين الفرص لانجازها وتطبيقها،ولكن يحول دون ذلك ظروفٌ ما زالت غير مواتية.
(١٢) قال ذلك خلال محاضرته في جامعه واشنطن التي عقدت ندوة لاكبر خبرا امريكا والمختصين بشوون الشرق الأوسط ٢٢ ـ ٣ ـ ٢٠١١
(١٣) قالها وهو يريد أن يتهيأ لغزو للعراق على أعقاب ما حصل في ١١ سبتمبر ٢٠٠١.
(١٤) تحت عنوان الثورات العربيه تقل مضجع الغرب بتاريخ ١٠ ـ ٣ ـ ٢٠١١.
(١٥) الواشنطن بوست ٣ ـ ٤ ـ ٢٠١١.
(١٦) طبعاً على مقاسات الحكومة الامريكية.
(١٧) صحيفة القدس العربي ٢٠ ـ ٣ ـ ٢٠١١م
(١٨) الشرق الأوسط ١٤ ـ ٤ ـ ٢٠١١.

تأثير فكر الإمام الخميني الثوري على الحالة الثورية في العالم العربي

د. أحمد صبري السيد

مقدمة:

الانتقال الثوري بين الجماهير

لم يكن ما تمكنت الثورتين المصرية والتونسية الأخيرة وما تلاهما من ثورات عربية من إثباته قاصراً على مصداقية القاعدة الأساسية حول الثورة كفعل، والتي تؤكد أن توافر الظروف المادية والمعنوية للانفجار الثوري يؤدي لحتمية انتصاره مهما كان العنف الأمني المستخدم ضد حركة الجماهير والمتسلح بالعديد من أجهزة المراقبة الأكثر تطوراً، أو ربما إعادة إحيائها في مواجهة الرؤى الرأسمالية والتي أدعت أن نهاية التاريخ سوف تتوقف عند نظمها مستبعدة خروج أي ثورات موجهة إليها بالأساس.

إلا أن القاعدة الأكثر أهمية والتي أثبتتها الثورات العربية الأخيرة يرتبط بحركة الانتقال الثوري بين الجماهير التي تتفق في المعاناة من نفس الظروف

السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، وهي الحقيقة التي طالما سعت إعلاميات الحكومات العربية من التنكر لها حتى في الوقت الذي كانت فيه جماهيرها تخرج إلى الشوارع مستخدمة نفس الشعارات ونفس المطالب.

ويتعلق الأمر في هذه القاعدة الثانية بتناقل خبرات العمل على أرض الواقع بين قيادات الثورات الجماهيرية في البلدان المختلفة ومن ثم محاولة إعادة صياغتها بما يتناسب مع خصوصية كل شعب على حده، وكذلك الاستفادة من الطرق التي سبق استخدامها للتعامل السياسي مع المناورات التي تلجأ لها الأنظمة القمعية في محاولتها الالتفاف على مطالبات الجماهير بما لا يؤدي لخسارتها لمواقعها.

إن إنتصار أي ثورة جماهيرية يؤدي بكل تأكيد لدفع تجربتها ونقلها إلى جماهير الدول الأخرى التي تشاركها نفس المعاناة، وتقوم بدورها بإعادة انتاج التجربة وتضيف إليها خبراتها الخاصة قبل أن تتولى تصديرها إلى منطقة ثالثة.

إن التجربتين التونسية والمصرية تشيران بكل وضوح إلى المعنى الجوهري لعبارة الإمام الخميني ﷺ حول تصدير الثورة، والذي فشلت إعلاميات الدول القمعية في العالم العربي في فهمه إلا عبر عقلياتها الأمنية وهو ما أدى بدوره إلى فشلها في التعامل مع حركة الجماهير عندما توفرت القوانين المادية والمعنوية لانفجارها.

لقد كانت تجربة الثورة الإسلامية في إيران ضخمة بالفعل من الناحية الجماهيرية، وربما كانت قوتها الأساسية في أنها قد قامت في مواجهة السلطة والإمبريالية الغربية في الوقت الذي كانت فيه هذه الأخيرة بأوج قوتها وأندفاعها تجاه السيطرة على العالم، الأمر الذي سمح لهذه الثورة بأن تحتفظ بتوهجها وتأثيراتها على الجماهير العربية والإسلامية بشكل عام ووعيهم بقدرتهم على تحقيق الأهداف مهما كانت القدرات الأمنية والعسكرية للأنظمة الاستبدادية.

وبالتالي يبدو من العبث محاولة نفي تأثير الثورة الإسلامية في إيران وتعاليم الإمام الخميني ﷺ على الحالة الثورية في العالم العربي عبر الاحتجاج بالخصوصية القومية والمذهبية لإيران، خاصة أن هذه الخصوصيات لم تمثل عائقا أمام إجماع الشعب الإيراني المتعدد القوميات والمذاهب على الانتماء للثورة ودعمها، ونفس هذه الخصوصية لم تمنع الشعب البحريني ذا الغالبية الشيعية أو الشعب الكردستاني في شمال العراق من التأثر بالشعب المصري السني المذهب والعربي من الناحية القومية، وإن كانت بكل تأكيد تضفي قدر من الخصوصية على بعض تفاصيل التحرك الجماهيري.

إن حالة التوحد في المعاناة الاقتصادية والاجتماعية والقمع السلطوي ما بين الشعوب تمثل الأساس في انتقال روح الثورة بين الشعوب والتي تتجاوز كل عناصر الخصوصيات عند أنفجارها، وإن كان وجود قدر من الاتفاق في هذه الخصوصيات يسمح بتسريع حركة التأثير لا أكثر.

١ ـ أوضاع العالم العربي عند انتصار الثورة الإسلامية

كانت إيران مع بدايات عام ١٩٧٩ حالة استثنائية في الشرق الأوسط، ففي الوقت الذي كان الثوار على وشك تحقيق الانتصار النهائي للثورة الإسلامية، كانت الولايات المتحدة الأمريكية في المقابل تستعد لوضع اللمسات النهائية للترتيبات التي أرادتها في المنطقة الأكثر أهمية بالنسبة لها من الناحية الاقتصادية.

حيث نجحت الدبلوماسية الأمريكية في الإلتفاف على الانتصار المصري في معركة ١٩٧٣ على الكيان الصهيوني، ليتحول بغرابة بالغة إلى انتصار للكيان الصهيوني عبر إخراج مصر القوة العربية الأكبر والأقوى من دائرة الصراع الذي تولت قيادته منذ عام ١٩٤٨، عن طريق معاهدة كامب ديفيد التي وقعها الرئيس

المصري محمد أنور السادات مع رئيس الوزراء الصهيوني مناحم بيجين تحت الرعاية الأمريكية، وبالتالي اكتسب الكيان الصهيوني للمرة الأولى اعترافا بشرعية وجودة على الأراضي الفلسطينية من أكبر القوى المواجهة له، كما اكتسبت المشروعات الأمريكية في المنطقة داعما كبيراً من خلال إنضمام القيادة المصرية بكل ثقلها العربي إلى مشروعها الإمبريالي.

وفي المقابل أدى قبول السادات لصلح منفرد مع الكيان الصهيوني إلى شق الصف العربي الهش بالأساس، وبروز دول الرفض بقيادة النظام البعثي في العراق، ونقل مقر الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس وهي ردود أفعال لم تكن بريئة تماما خاصة من الجانب العراقي[١][٢].

كما تمكنت بناء على هذا التفكك في الجبهة العربية من تحجيم حركة المقاومة الفلسطينية بعد انفجار الحرب الأهلية في لبنان سنة ١٩٧٥، والتي أدت لاحقا لاخراج المقاومين من بيروت وانتقالهم إلى تونس بعد الغزو الصهيوني للبنان في مطلع الثمانينات، وهكذا فقد أصبحت الحدود الصهيونية في كل من الشمال اللبناني والجنوب المصري آمنة تماماً بعد أن كانت قد نجحت في تأمين الحدود مع الأردن عقب أحداث ايلول الأسود عام ١٩٦٩.

وبالتالي فلم يعد هناك الكثير من المهام بالنسبة للأمريكيين لإعلان بسط سيطرتهم المتكاملة على المنطقة ضمن صراعها الضخم ضد الكتلة الشيوعية – أو التي كانت تصف نفسها بهذه الصفة – بقيادة الاتحاد السوفيتي والتي كان من الواضح أنها قد بدات تعاني تحت تأثير الضربات المتوالية من الغرب، خاصة أن الدول التي استمرت ولو ظاهرياً خارج نطاق السيطرة الأمريكية كانت قادرة على قبول عقد صفقات مع الأمريكيين في سبيل الحصول على مكاسب خاصة[٣][٤].

من ناحية أخرى ومع السيطرة الواضحة على الأنظمة السياسية في العالم العربي فقد تم إحداث التحول في النظم الاقتصادية ببلد ضخم كمصر حيث سعى السادات للابتعاد بشكل تدريجي عن الاشتراكية القومية التي تبناها الرئيس جمال عبد الناصر وفتح المجال بشكل غير منضبط للرأسمالية المصرية للسيطرة على الاقتصاد، وهو ما هدد بشكل مباشر المكتسبات التي حققتها الطبقتين المتوسطة والفقيرة في العهد الناصري، وعلى الرغم من هذه الإجراءات الاقتصادية كانت خاصة بمصر دون بقية الدول العربية فإن تردي الوضع الاقتصادي المصري كان من المتوقع أن يؤثر بوضوح على العالم العربي في حال أدى لمردود سياسي عبر التحركات الجماهيرية، وقد تعرض النظام المصري لخطر واضح في عام ١٩٧٧ عندما قامت الجماهير المصرية بانتفاضة الخبز والتي رغم شعاراتها الاقتصادية كانت بالاساس تعبيرا عن غضب الجماهير من تحييد مصر في الصراع مع الكيان الصهيوني ومعاهدة كامب ديفيد، وقد تمكن السادات من تجاوز هذه الأزمة بصعوبة بالغة وبمعاونة الانظمة العربية الخليجية المؤيدة للمشروع الأمريكي.

وبديهي أن تؤدي هذه الأوضاع الجديدة إلى انحسار الشعبية الضخمة لليسار الشيوعي والقومي في الشارع العربي والذي تولى قيادة الحركات الجماهيرية في فترة الخمسينات والستينات، خاصة مع ما أفرزته من أوضاع إجتماعية جديدة سعت لتهميش القاعدة الجماهيرية التي يعتمد عليها بين صفوف العمال والفلاحين، وبرزت في مصر محاولات قام بها الرئيس السادات لاستغلال الحركات السلفية المتمسحة بالدين في مواجهتهم، مستغلا سقوط الحالة الناصرية عقب هزيمة ١٩٦٧ والتي اسقطت معها –رغم سلبياتها– الحالة الثورية بشكل عام[٥].

كما أن الاتحاد السوفيتي الداعم الأساسي للكثير من هذه النظم والحركات لم يبد حرفية دبلوماسية وهو يخسر بسهولة مواطن نفوذه في الشرق الأوسط وبدا غير

قادر على القيام بدعم حقيقي أو على الأقل التشجيع على قيام أي تحركات ثورية في مواجهة الإمبريالية الغربية.

لم تكن الساحة إذن مهيأة بأي حال لنشوب ثورة جماهيرية ضخمة في بلد كإيران، خاصة أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتي تعد الضاغط الأكبر باتجاه الانفجار الثوري أو على الأقل ما يؤدي لدعم هذا الانفجار وإكسابه للجماهيرية الكاسحة لم تتأزم بالشكل الخانق الذي يؤدي لنقطة اللاعودة مع النظام الشاهنشاهي الراسخ في المجتمع الإيراني، كما أن السيطرة السياسية الأمريكية على الساحة والوضع الديني (المذهبي) والقومي (الفارسي) المتفرد لإيران مقارنة بالجوار العربي وحتى الإسلامي[٦]، وسلبية القطب الشيوعي في مواجهة التمدد الرأسمالي الغربي لم يكن ليسمح بمنفذ واحد لانتصار ثورة أو إكسابها أي زخم حقيقي يمكنها من تقويض اركان نظام على غرار نظام الشاه السابق، كما أنه لم يكن ليسمح على الإطلاق بوجود تأثير حقيقي لها في الأوساط المحيطة إذا تمكنت بالفعل من تحقيق الانتصار الجماهيري

٢ ـ دور قيادة الإمام الخميني قدس سره في انتصار الثورة

إن الخلفيات السابقة تشير بوضوح إلى وجود عامل خاص ساهم في الدفع باتجاه الثورة في إيران والذي نشأ بدوره من خلال الخصوصيات المذهبية والدينية في إيران والتي منحت علماء الدين قدرا كبيرا من الاستقلالية عن الجهاز الإداري للدولة، كما أجبرت السلطة على ضرورة النظر بقدر الاحترام لوضع المراجع نشأت بالأساس من هيبتهم الراسخة لدى الجماهير.

كانت تجربة حركة تأميم النفط التي قادها محمد مصدق في خمسينات القرن الماضي ضد الشاه والتي شهدت تحالفا بين قوى سياسية متنوعة ليبرالية، اليسارية

ودينية وتمكن الشاه وجيشه من إسقاطها، تعني بكل وضوح أن القوى السياسية الإيرانية التقليدية قد فشلت تماما بكل فروعها، حتى الديني منها، في حشد الشارع الإيراني ضد الشاه، نظرا لقدرة الأخير استغلال التناقضات بين اتجاهاتها المختلفة، ونجاحه في تفتيتها تماماً، وامتصاص سخونة الشارع في الوقت المناسب[٧][٨].

لقد كانت مبادرة الإمام الخميني ﷺ في تحريكه للشارع الإيراني للمرة الأولى في محرم ١٩٦٣ كرد فعل على بنود الثورة البيضاء – كما أطلق عليها الشاه – إشارة واضحة إلى ما يمتلكه من تأثير تجاه الجماهير وقدرة على تحريك الشارع الإيراني في مواجهة الشاه بكل وضوح الذي فوجيء بمظاهرات تنتقده علناً وللمرة الأولى منذ إسقاطه لمصدق في عام ٥٢، وخلا هذه الفترة كان أقصى ما تمكنت القوى المعارضة من القيام به هو قيادة الجبهة الوطنية لإضرابات مايو ١٩٦١[٩].

بالتأكيد أدرك الشاه أن وجود شخصية كالامام الخميني ﷺ سوف يؤسس لحركة جماهيرية قوية نظراً لارتفاعه فوق تناقضات الحركات السياسية، وعدم انغماسه في الاساليب الانتهازية التي استخدمتها هذه القوى وأدت إلى تفتتها، وصلابته في التشبث بما يعتقده صحيح[١٠][١١]، وبالتالي ففي نوفمبر ١٩٦٤ أتخذ القرار الذي رآه الأفضل بالنسبة له كديكتاتور، وهو ترحيل الإمام الخميني ﷺ إلى تركيا لابعاده عن الساحة في إيران وعدم السماح له بإنزال الفكر السياسي من حالته النخبوية إلى الحالة الجماهيرية التي تؤدي إلى نزول الناس إلى الشارع في مواجهته، والقضاء على كل الآثار التي تركتها حركته في سنة ١٩٦٣[١٢].

كانت ملامسة الامام الخميني ﷺ للواقع ونقده الصريح للأوضاع والقرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للشاه أثر واضح في الدفع بالطبقة الوسطى والمهمشين والطبقات الكادحة إلى الساحة، نتيجة إرتباط هذه الطبقات

القوي بالمرجعية، ولم يكن ما فعله الإمام الخميني ﷺ سوى أنه قدم حقيقة العلاقة بين الدين وواقع المجتمع الذي يتأثر في حركته وتطوراته بالسياسة والاقتصاد إلى الجماهير وبالتالي فقد أخرجه من دائرة الحوزة إلى الدائرة الشعبية الأكبر معتمدا على سيرة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

وبالتالي فرغم استخدام الشاه للاجراءات القمعية فإن حركة الثورة لم تتوقف نظرا لان الذي يمنحها الدفعة الأساسية لم يتوقف كذلك ولم يقبل الحلول الوسطية وواصل الصراع حتى في المنفى وبعد نجاحه في الرحيل من تركيا إلى النجف الاشرف وطوال ١٥ عاماً استمرت الجماهير مرتبطة بهذه الشخصية التي تمكنت من صياغة منهجية للثورة ومواجهة الاستبداد مستمدة من الدين والسيرة المعروفة والمتيقنة للأئمة من أهل البيت عليهم السلام، بحيث أصبح على أتباع أهل البيت عليهم السلام التعامل مع عقيدة الانتظار للامام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بإيجابية فعالة[١٣].

وبقدر ما تكون الدوافع الاقتصادية والاجتماعية ضاغطة للغاية في الدفع باتجاه الثورة الجماهيرية، وتتمكن من خلق قياداتها العملية، فإن الثورة الإسلامية في إيران أثبتت قدرة الدين كذلك على الدفع الجماهيري حتى مع عدم توافر الظروف المهيئة للثورة، عندما تتوافر القيادة القادرة على قراءته بوعي وتتحرك بمنتهى الصرامة تجاه أهداف محددة ودون مساومات وتلاعب بطموحات الجماهير، وهو ما لم يكن مقبولا لدى المثقفين الغربيين وخاصة الماركسيين منهم الذين اعتبروا الايدلوجيات الدينية صالحة للثورة الاجتماعية في العصور الوسطى، والتي تميزت بشكل عام بسيادة الفكر الديني، لكنها غير قادرة على قيادة ثورة تغيير تحررية ضد الرأسمالية في المرحلة الحديثة والتي تتميز بسيادة الأيدلوجيات العلمية[١٤][١٥].

وبالرغم من الاعتراف الماركسي بأن الدين قد يمثل أيدلوجية للعديد من

الحركات الاجتماعية التحررية، إلا أنه تم تصنيفها كحركات تنتمي للبرجوزاية الصغيرة والتي نتيجة لوضعها الطبقي لا يمكنها أن تنجح في صياغة أيدلوجية تحررية جذرية[١٦][١٧].

إن استعراضنا للآراء الماركسية حول قدرة الايدولوجيا الدينية على الثورة يهدف بالاساس إلى إبراز مدى تميز المذهب النابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذه الناحية، كونه الوحيد الذي بناء عليه عقيدة ثورية جذرية أدت لثورة جماهيرية وشعبية حققت انتصاراً ضخماً ومدوياً في الوقت التي كانت فيه الرأسمالية تحقق أنتصارها الأكبر بالانتقال إلى مرحلة التدريجي لمرحلة العولمة الاقتصادية والثقافية.

ورغم أن الحالة الثورية لمذهب أهل البيت عليهم السلام قد نجحت أكثر من مرة في قيادة جموع الفلاحين للتأسيس لدول شيعية سعت للقضاء على الإقطاعين العباسي والمغولي وإقامة ديموقراطيات فلاحية، كالقرامطة والسربداريين والمشعشعين، وحتى جمهورية جيلان في عشرينات القرن الماضي[١٨]، إلا أن معظمها لم يتمكن من الحفاظ على رؤيته الاجتماعية المستمدة من دولة النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، وتطورت في النهاية إلى دول إقطاعية[١٩] وإن كانت بصورة أكثر جاذبية من نظيراتها الأخرى نتيجة صغر حدود دولها وخضوعها لحصار النمط الاقطاعي.

وبالتالي من الممكن تصور حجم الانجاز الذي قدمه الإمام الخميني قدس سره في صياغته للعقيدة الفكرية التي كان لها الفضل الأول في تحريك الثورة الإسلامية، والتأسيس للدولة بصورة تحافظ على استمرارية رؤيتها الفكرية ثابتة وغير قابلة للتحريف.

ومن الضروري هنا الاشارة إلى أنه بالرغم من أن طبيعة المرجعية الدينية عند الشيعة والتي تتميز باستقلالها الاقتصادي عن الدولة منح الامام الخميني قدس سره القدرة

الكاملة على التحرك بشكل أفضل، وحرم الشاه من سلاح أساسي تستغله النظم الديكتاتورية بشكل عام حينما ترغب في الحد من انتشار المنظومة الفكرية أو التأييد لأي ثائر عبر اللجوء للحرمان الاقتصادي لاتباعه، إلا أن هذه الخاصية توفرت سابقاً للكثير من علماء الدين كالميرزا حسن الآشتياني، والسيد أبوالقاسم الكاشاني[٢٠] ومع ذلك لم يتمكنوا من تحقيق انتصارات كاملة على السلطات المعاصرة لهم (القاجارية والبهلوية) نظراً لافتقادهم إلى صياغة رؤية متكاملة لفكرة الدولة، وبالتالي فقد افتقدوا للطموح وانتهت معظم الثورات تحت قيادتهم لمطالبات إصلاحية لم يستفد منها الشعب إلى لفترات محدودة.

لقد كانت القوة التي اعتمدت عليها الثورة الاسلامية في إيران مختلفة تماماً، خلفية دينية مذهبية ثورية بطبيعتها، قيادة واعية وتمتلك طموحاً وأهدافا ورؤية محددة للدولة البديلة، وأخيراً ظروف اقتصادية وإجتماعية سيئة وواقع سياسي ضعيف ومهتريء أدى لدعم الغضب الجماهيري، وهو على العكس تماما من الأسس الأصلية لأي ثورة أخرى والتي تبدأ من السبب الأخير عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتتدرج إلى الدعم الديني كمحتمل وليس كاساس.

٣ـ تأثير الإمام الخميني قدس سره على الحالة الثورية في العالم العربي

لقد شهدت الفترة ما بين ١٩٧٩ حيث تمكنت الثورة من الانتصار وحتى الآن ضخ دماء جديدة في الثورة بالعالم العربي ضد الهيمنة الاستعمارية والتي كانت على وشك السيطرة الكاملة على الأوضاع في الشرق الأوسط بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد مع الكيان الصهيوني من قبل السادات.

ويعترف الكاتب العلماني عادل حموده أن الثورة الإسلامية في إيران قد منحت المعارضة الإسلامية في مصر الكثير من القوة: «وقد بدأ الصدام بين

السادات وهذه الجماعات بعد نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية، وسقوط الشاه، وفراره، وانهيار عرش «الطاووس» الذي كان يجلس عليه أمام كاميرات التليفزيون التي نقلت ما حدث إلى العالم كله.

أنعشت الثورة «الخومينية» الأمل في صدور الجيل الجديد من السلفيين الإسلاميين، وجعلته يتصور أن تكرارها في بلد آخر مسألة في متناول اليد.

مجدوا الثورة.. ورفعوا صورة الخوميني.. وترجموا مقالات رجالها!»[٢١].

والواقع أن الثورة الإسلامية في إيران لم تلهم الإسلاميين فقط، فقد ألهمت كذلك التيارات السياسية اليسارية والقومية التي أثار أعجابها جماهيرية الثورة واهتمام الإمام الخميني ﷺ بالجانب الاجتماعي والفروقات الطبقية، وهو الجانب الذي كان غائبا على الدوام في الخطاب الديني المصري[٢٢][٢٣]، وقد ظهر هذا الاحتفاء اليساري بالثورة الايرانية ومباديء الامام الخميني ﷺ في قصائد الشاعر اليساري أحمد فؤاد نجم والتي انشدها الراحل الشيخ إمام وهي القصائد «الخالق الناطق»، «التضليل»، «الأقوال المأثورة»، «أول الكلام» و«طهران»[٢٤]، والتي سعت لتوضيح الصورة الحقيقية للثورة في مواجهة التضليل الإعلامي الذي مارسه الإعلام الحكومي في مصر ضد الثورة.

لقد أدى نجاح الثورة الإسلامية بجميع التيارات المصرية إلى التوقف ودراسة آلياتها مرة أخرى بعد أن رأت بوضوح ما يمكن أن تحققه الجماهير الصامتة في العالم الشرقي والذي لم يعتد مثل هذا النوع من الثورات المنفصلة عن الجيش، خاصة أن نجاح الثورة جاء في المرحلة التي كانت التيارات السياسية القومية واليسارية قد تلقت فيها ضربات قاسية للغاية.

والواقع أن مصر كانت الدولة المرشحة للتأثر الأكبر بالثورة الإسلامية في

إيران نظرا للظروف المتشابهة بين البلدين من حيث قدرة الحكومة على إماتة صوت التيارات السياسية، إلا أن الفارق الأساسي بين الدولتين أظهره الباحث الأمريكي باري روبن في كتابه «**التطرف الاسلامي في السياسة المصرية**»[٢٥]، فبينما كان الامام الخميني ﷺ يمتلك برنامجا إجتماعيا واضحا يعتمد على تراث واضح من الانحياز للطبقات المستضعفة، لم يكن أحد مشاهير الدعوة الاسلامية كالشيخ عبدالحميد كشك ﷺ يشير من قريب أو بعيد إلى كيفية القضاء على الفساد الذي ينتقده بسخرية لاذعة سوى ضرورة تطبيق الحكم الإسلامي، وحتى في هذه النقطة لم يوضح آليات تحقيق هذه الأمنية، وبالتالي بقيت خطبه في النهاية مشهد حاد ينتهي في المسجد على حد تعبير الكاتب[٢٦].

لكن في كل الأحوال كان مشهد الجماهير الإيرانية الغفيرة في الشوارع مثيرا لإعجاب الجميع، وقد اختزنته الذهنية السياسية المصرية بكافة تنوعاتها ومنح الحركة الجماهيرية المصرية بضع أنفاس قليلة للمواجهة قبل أن يتمكن النظام من قمعها تماما في تسعينات القرن الماضي[٢٧].

في المقابل كان التأثير الأبرز للإمام الخميني ﷺ يبدو أكثر وضوحا في العراق والشام والخليج الفارسي، حيث تواجدت في هذه المناطق الأرضية المؤهلة لتلقيها ونموها في ظروف قد تكون شبيهة، ورغم أن كل من العراق ولبنان على سبيل المثال كانت توجد به حركات إسلامية فاعلة حتى قبل انتصار الثورة الاسلامية في إيران، إلا أنها بكل تأكيد حصلت على دفعة قوية وروح جديدة في مواجهة الاوضاع القائمة بعد الثورة، سواء من الناحية المعنوية لدى الجماهير والقيادات أو من خلال انتقال خبرات العمل والاداء والفكر السياسي إليها، كما تأثرت بكل تأكيد برؤية الامام الخميني الفقهية والسياسية، ففي العراق أيد الشهيد محمد باقر الصدر ﷺ والذي رعى الحركة الاسلامية في العراق فكرة ولاية الفقيه، التي نادى

بها الإمام الخميني ﷺ منذ سنة ١٩٦٩، واستمر تأييده هذا حتى استشهاده سنة ١٩٨٠[٢٨] وبناء على هذه النظرية قامت الجماهير العراقية بانتفاضتي صفر سنة ١٩٧٧، ورجب سنة ١٩٧٩ ضد الديكتاتورية البعثية.

وبرغم من نجاح النظام البعثي في الافلات من كل هذه الازمات السياسية بفعل تأييد الحكومات العربية والأمريكيين لبقاء النظام البعثي في العراق[٢٩]، إلا أن الحالة الثورية استمرت كذلك تحت قيادة الشهيد الصدر الثاني محمد محمد صادق الصدر ﷺ والذي أيد كذلك ولاية الفقيه[٣٠]، كما اعتمدت إلى الانتفاضة الشعبانية سنة ١٩٩١ التي انطلقت، في قطاعات كبيرة منها، تحت زعامته الروحية من البصرة والناصرية على نفس هذه الرؤى المتأثرة بآراء الإمام الخميني ﷺ.

والواقع أن تدخل الحكومات العربية في قضية تحرر العراق هو الذي منع الشعب العراقي من الحصول على ثمرة كفاحه في الانتفاضة الشعبانية وأبقى على التأييد الأوروبي للنظام البعثي، إلا أنه في المقابل فقد ساهم انتشار آراء الامام الخميني ﷺ بين أوساط النشطاء العراقيين في الابقاء على الحالة الثورية بالعراق بعد أن تمكن النظام من القضاء على التيارات الوطنية الأخرى وقام بتشريد كوادرها وعلى رأسهم الحزب الشيوعي العراقي[٣١].

وبالتأكيد كان من الطبيعي أن يمتد هذا التاثر إلى باقي الدول الخليجية وخاصة البحرين التي برزت فيها الحالة التقدمية الاسلامية بشكل فاعل، واعتمدت في معظمها على تأثير الثورة الإسلامية وما حملته من من أفكار الإمام الخميني والتي مثلت الأساس الذي قامت عليه هذه الحالة، خاصة أنها لم تنشأ بالفعل إلا بعد نجاح الثورة الإسلامية [٣٢]، في الوقت الذي كانت فيه الساحة قاصرة سابقا على القوى القومية (ناصرية وبعثية) واليسارية (لينينية، ماوية) خاصة أن هذه

التيارات بدأت نشاطها منذ الستينات وأثناء المواجهة مع الإحتلال الانجليزي[٣٣].

وقد شهد العمل السياسي لهذه الحالة الإسلامية بروز خصوصية ملحوظة في أدائها بصفة عامة من ناحية مرونتها الفكرية الكبيرة وقدرتها على تقبل الآخر والتعامل معه على أساس الأرضية المشتركة وتحجيم عناصر الخلاف، وهو ما أدى في فترات لاحقة إلى وجود تحالف بين القوى الإسلامية التي قامت بتاثير من أفكار الإمام الخميني وبين القوى الوطنية المختلفة معها أيدلوجيا وخاصة اليسارية منها بناء على المشترك الأساسي بين الطرفين وهو المطالبة بالحريات والمواطنة والعدالة الإجتماعية[٣٤]، وهي خصوصية لا أظن أن الساحات السياسية المصرية والعربية قد شهدتها على الإطلاق فيما يتعلق بالتحالف بين قوى إسلامية وقوى يسارية، ففي الوقت الذي تحالف فيه الإخوان المسلمين في مصر مع الليبرالية المصرية الممثلة في الوفد في الثمانينات (انتخابات مجلس الشعب سنة ١٩٨٤)، لم يحدث أن تحالفوا أبداً مع التيار القومي بتنوعاته أو مع أي من فصائل اليسار الماركسي[٣٥].

هذا التوجه المرن تجاه التعامل مع الآخر وأطروحته الفكرية لم يكن خاص بالحركة الاسلامية في البحرين، فقد شهد الحراك الإسلامي في الكويت والذي نشأ بشكل فاعل عقب انتصار الثورة الإسلامية في إيران متأثرا بطروحات الإمام الخميني ﷺ حالة من التواصل مع التيارات القومية العربية واليسارية الماركسية[٣٦][٣٧]، وقد اسفر هذا التواصل عن حركة مسجد شعبان سنة ١٩٧٩ والتي قامت بها مجموعة من الكويتيين الذين شعروا بخطورة استمرار تغييب مجلس الأمة ورأي الشعب، وقد اعتبر بعض المثقفين الكويتيين أن هذا التحرك كان السبب وراء عودة الحياة البرلمانية للكويت مرة أخرى[٣٨][٣٩].

والواقع أن قدرة التجمعات الإسلامية المتأثرة بفكر الإمام الخميني ﷺ على

إيجاد الأرضية المشتركة بينها وبين الآخر الأيدولوجي، بالاضافة لقدرتها على التعايش مع الواقع السياسي والالتزام به هو دليل رسوخ الحالة الوطنية لهذه التجمعات بكل تأكيد.

على أن لبنان وفلسطين كان لهما النصيب الأكبر في التأثر بالرؤية الثورية للإمام الخميني ﷺ ربما لوجودهم على خط الصدام المباشر مع الإمبريالية الغربية والتي كانت تدعم الكيان الصهيوني في محاولاته للقضاء على القوى الرافضة له في كلا البلدين.

كان لانتصار الثورة الإسلامية في إيران صدى كبير في فلسطين، ويذكر الكاتب الصحفي فهمي هويدي أن عقب إعلان إنتصار الثورة إجتاحت المخيمات الفلسطينية في لبنان وسوريا فرحة عارمة مستشعرين أنهم باتو على أبواب النصر، وتوالى إطلاق الرصاص في الهواء تعبيراً عن عودة البسمة إلى الشفاه الفلسطينية[٤٠][٤١].

وبالرغم من أن العلاقات ما بين الثورة الإسلامية في إيران وبين منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تقود الحراك الفلسطيني منفردة في هذه الفترة لم تستمر بشكل جيد إلى النهاية، إلا أن رد الفعل الذي أشار إليه فهمي هويدي يوضح إلى أي حد كانت الجماهير الفلسطينية تعتبر نجاح الثورة في إيران إنتصاراً لقضيتها وهو بالتأكيد ما أدى إلى تلقيها للمباديء الثورية التي أطلقها الإمام الخميني ﷺ، وكان رد فعلها على هذه المباديء سريع للغاية حيث قام الشهيد فتحي عبدالعزيز الشقاقي أثناء وجوده في مصر للدراسة بجامعة الزقازيق بتأليف كتاب «**الخميني.. الحل الإسلامي والبديل**» سنة ١٩٧٩، وقد تحول هذا الكتاب إلى الدستور المعبر عن المنظومة السياسية والأيدلوجية لمنظمة الجهاد الإسلامي في فلسطين[٤٢][٤٣].

في كتابه «**الخميني.. الحل الإسلامي والبديل**» والذي صدر في ١٢٢ صفحة عام ١٩٧٩ يبدي الشهيد فتحي الشقاقي إعجاباً هائلاً بالإمام الخميني ﷺ وقدرته على تحريك الشعب الإيراني في المقدمة «**جاء شتاء ٧٨.. لم يكن بارداً تماماً.. فقد جاء الربيع مبكراً إلى إيران.. إنه ربيع الثورة يتسلل بروعة تاريخية لم تسجل من قبل.. ذكي الخطوات.. يتسم بوعي عصري وجمال عاشق.. إن للعمائم السوداء دور في الربع الأخير من القرن العشرين.. وللطرحات النسائية السوداء دور أيضاً..**

ووقف العالم مشدوهاً وهو يرى السيدة الإيرانية تهبط من جبال قم وشيراز وتبريز إلى شوارع طهران.. رافعة قبضتها في وجه العسكر.... ووقف الإعلام الغربي وتلامذته حائرين متخبطين.. يغمسون أقلامهم في مداد الشيطان ليكتبوا عن آية الله الذي التف حوله ملايين الجماهير العطشى للحرية والعودة إلى الله.... ووقف الكومبيوتر الأمريكي عاجزاً عن فهم علاقة استشهاد الحسين منذ أكثر من ١٣٠٠ عام بسقوط نظام كان يعتبر أكثر النظم العصرية في غرب آسيا»[٤٤].

والواقع أن هذا الإنبهار الواضح بما يحدث في إيران والذي صدر قبل انتصار الثورة بني قاعدته على أساس من التقارب في الفترة الأخيرة (أي السابقة على الثورة) بين الشيعة والسنة كما أشار في ذات المقدمة، في محاولة للتجاوز على ما كان يسعى السلفيون لنشره في هذه الفترة من تشويهات للشيعة عندما شعروا باقتراب الثورة[٤٥].

يشير فتحي الشقاقي في بدايات الكتاب إلى الدافع الذي أدى به لهذا الانفعال بالثورة الإسلامية في إيران، من خلال تأكيده على فشل الطروحات الليبرالية والاشتراكية في الحفاظ على استقلال الأمة العربية، بل أنها أدت لوقوع مئات من الكيلو مترات تحت الإحتلال الصهيوني، مؤكداً أن الإنقلابات العسكرية التي قامت في العالم العربي بمصر وليبيا والسودان وغيرها إنما هي مجرد محاولات لإجهاض رياح التغيير القادمة على هذه المنطقة.

وفي خلال فصله الأول سعى الشقاقي إلى توجيه بعض الردود تجاه الطروحات الليبرالية والماركسية لعل أهمها رده على ما قاله المفكر الماركسي العراقي هادي العلوي في دعواه بأنه لا يوجد تناقض بين الإسلام والاستعمار على أساس أن الإستعمار لا يحارب الأديان لأنها لا تحاربه بدورها، والإسلام كعقيدة لا شأن له بالاستعمار، وبالتالي فالأيدلوجية الثورية تتعارض مع الدين وليس للدين بدوره أن يقدم اي مساهمة في كفاحنا الحالي ضد الاستعمار والامبريالية[٤٦][٤٧]، وهنا تساءل الشقاقي إن كان هادي العلوي قد قرأ تاريخ أمته؟ أم أنه كمثقف ثوري لا يجب عليه النظر إلى الوراء؟ في إشارة واضحة لحقيقة أن علماء الدين كانوا على الدوام ضمن قيادات المواجهة مع الاستعمار.

ويشير الشقاقي في صفحة ٣٠ من كتابه إلى تميز الثورة الإسلامية ومباديء الإمام الخميني ﷺ والمتمثل في القدرة على إيجاد صياغة ثورية للفكر الإسلامي لتحويله من ثرثرة مثقفين إلى مجال لتعبئة الجماهير والتواصل معها وربطها بالحركة للحفاظ على تاريخها وتراثها ومصالحها[٤٨]؛ هذا التميز يقوم – من وجهة نظر الشقاقي – على الحوار الداخلي والنقد الذاتي، وفي هذه الجزئية يرى الشقاقي أن الحركة الإسلامية بصفة عامة لديها حساسية شديدة تجاه النقد، وهو ما تمكن الإمام الخميني ﷺ من تجاوزه بالفعل[٤٩].

وفي خاتمة فصله عن الإمام الخميني يؤكد الشقاقي أن الثورة الإسلامية في إيران هي ثورة إسلامية بمعناها القرآني الرحب: «إنها ليست ثورة طائفة دون طائفة، إن القواسم المشتركة بين جناحي المسلمين السنة والشيعة لتكاد بل هي فعلاً تشكل جسد هذه الثورة بدءا من منطلقاتها وأهدافها ووسائلها وبواعثها.. إن الخلاف المطروح بين أهل السنة والشيعة حول إمامة الأئمة الإثنى عشر وعصمة الأئمة لا يشكل – لا سلباً ولا إيجاباً – أي تأثير في طبيعة الثورة ومسارها»[٥٠].

إن هذه الرؤية التي يقدمها الشهيد فتحي الشقاقي للثورة الإسلامية في إيران تشير إلى أن تأثره بها لم يكن مجرد حالة إنبهارية بحجم الجماهير التي احتشدت في شوارع طهران تأييدا للإمام الخميني، بقدر ما هو تأثر بالمنهج والأسلوب والأفكار، ومحاولة لنقلها إلى الوسط العربي القريب من إيران – وخاصة الفلسطيني – للاستفادة من هذه التجربة، وقد قام الشهيد فتحي الشقاقي بالفعل بمحاولة تطبيق هذه الرؤية التي استخلصها عبر تأسيسه لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، والتي أكد فيها على ضرورة تجاوز الحواجز المذهبية في التواصل الفكري والكفاحي بين طوائف المسلمين بهدف الوصول في النهاية للهدف المشترك وهو تحرير الأرض الفلسطينية من الوجود الصهيوني.

وبالرغم من أن الثورة الإيرانية قد دعمت الكفاح الفلسطيني بشكل عام، بدءاً من منظمة التحرير الفلسطينية، وانتهاء بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة[٥١][٥٢]، إلا أن حركة الجهاد كانت في الأساس المعبر عن المرحلة الفكرية في الكفاح ضد الصهيونية لما بعد الثورة الإسلامية، والتي سعت بالأساس لمنح القضية الفلسطينية بعداً إسلامياً وإنسانياً عاماً بعد أن كانت قاصرة على الأبعاد القومية في المراحل السابقة.

والواقع أن مما تميز به فكر الإمام الخميني ﷺ الثوري، هو قدرته على تجاوز الحالة المذهبية التي كانت طاغية في العالم الإسلامي، والانفتاح على الآخر المسلم دون حدود، وهو ما سمح للوسط السني بالاستفادة من هذا الفكر والتأثر به، وإذا كان من المقبول أن يتم هذا التاثر من الجانب القومي واليساري نظراً للخلفية العلمانية لكلا الفكرين التي لا ترى إشكال بالأساس في الاستفادة من أي طروحات حتى لو كانت دينية، فإن هذه القدرة على تجاوز الحالة المذهبية في الشرق والتي اختزنت قرون من الاضطهاد والنفي المتبادل للآخر لم تكن لتحدث لولا ما

اتسم به هذا الخطاب من شمولية إنسانية وإسلامية أثبتت مصداقيتها بشكل واضح من خلال التجربة العملية.

على الجانب اللبناني والذي ربطته ظروف الجغرافيا تواجد فصائل المقاومة الفلسطينية به بالقضية الفلسطينية وبالمقاومة، لم تكن لبنان بعيدة عن مجال التأثر بالفكر الثوري للإمام الخميني، حيث تواجد مجموعة من علماء الدين الذين تبنو هذا الفكر.

كانت الحالة الإسلامية الثورية قد بدأت من الأساس في الستينيات عبر نشاطات مجموعة من العلماء مثل السيد موسى الصدر الذي أسس حركة المحرومين كحركة إجتماعية وسياسية تكونت للدفاع عن حقوق المناطق المستضعفة في الجنوب والبقاع وأحزمة البؤس حول بيروت والتي تكونت نتيجة الهجرة من الريف إلى ضواحي العاصمة، كما أنشأ حركة أفواج المقاومة اللبنانية (أمل) كجناح عسكري للحركة لمواجهة الاحتلال الصهيوني عام ١٩٧٤[٥٣][٥٤].

كما كانت هناك العديد من النشاطات للسيد محمد حسين فضل الله ﷺ في منطقة النبعة في شرق بيروت، حيث أسس جمعية أسرة التآخي، وكانت له دروس أسبوعية في بعض مناطق بيروت وضواحيها، كما اسس جميعة المبرات الخيرية[٥٥].

ومع قيام الثورة الإسلامية في إيران وجدت الأفكار الثورية للإمام الخميني ﷺ التربة الملائمة للتأثير في الأوضاع خاصة أن أوضاع المقاومة بشقيها الفلسطيني واللبناني في لبنان كانت سيئة للغاية نتيجة ظروف الحرب الأهلية والتي أرادت أمريكا والكيان الصهيوني دفن القضية الفلسطينية عن طريقها[٥٦].

وفي عام ١٩٨٢ وكرد فعل على الاجتياح الصهيوني للبنان قامت المجموعات الإسلامية المتأثرة بالثورة الإسلامية والإمام الخميني بمواجهة القوات

الصهيونية وإعاقة تقدمها في خلدة بالمشاركة مع السوريين والقوى المقاومة الأخرى اللبنانية والفلسطينية[٥٧]، ورغم افتقادها للخبرة والأسلحة والمعدات إلا أنها تمكنت من تحقيق بعض العمليات التي ساهمت – مع عمليات فصائل المقاومة الأخرى – عن طريقها في إجبار القوات الصهيونية على الخروج من بيروت[٥٨]، لتدخل لبنان في أحداث إتفاق ١٧ أيار بين الحكومة اللبنانية والكيان الصهيوني[٥٩][٦٠]، وهو الاتفاق الذي رفضته كل قوى المقاومة وخاصة المتأثرة بالثورة الإسلامية: «**كنا نلاحظ أن اتفاق ١٧ أيار أدخل لبنان في وضع فقد فيه استقلاله، بحيث أصبح الجنوب أرضاً قد تحمل الهوية اللبنانية، ولكنها في المسألة الأمنية والعسكرية والإقتصادية، تعيش واقع الهوية الإسرائيلية**»[٦١].

في هذه المرحلة رأى بعض علماء الدين الذين تأثروا بنهج الإمام الخميني ﷺ تأسيس تشكيل إسلامي يكون مرتبطاً بهذا النهج ومتأثر بتجربته الجديدة مع الحفاظ على الخصوصية اللبنانية، وتمحور هذا المشروع حول ثلاثة أهداف:

١ – الإسلام هو المنهج الكامل الشامل الصالح لحياة أفضل، وهو القاعدة الفكرية والعقائدية والإيمانية والعملية التي يُبنى عليها هذا التشكيل.

٢ – مقاومة الاحتلال الإسرائيلي كخطر على الحاضر والمستقبل، وله أولوية المواجهة، لما له من أثر على لبنان والمنطقة، وهذا يستلزم إيجاد بنية جهادية تُسخَّر لها كل الإمكانات للقيام بهذا الواجب.

٣ – القيادة الشرعية للولي الفقيه كخليفة للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وهو الذي يرسم الخطوط العريضة للعمل في الأمة، وأمره ونهيه نافذان[٦٢].

وقد تلا تحديد هذه الأهداف صياغة ما عرف بوثيقة التسعة والتي ضمت ثلاثة من علماء البقاع وممثلين عن ثلاثة مجموعات إسلامية، وثلاثة من المنتمين

لحركة أمل الإسلامية[٦٣][٦٤]، ويذكر الشيخ نعيم قاسم أن وثيقة التسعة عرضت على الإمام الخميني ﷺ الذي أبدى الموافقة عليها، وبالتالي قررت المجموعات الإسلامية حل تشكيلاتها المستقلة وإنشاء تشكيل واحد سمي لاحقاُ «حزب الله»، وقد دعمت الجمهورية الإسلامية هذا التشكيل الجديد عبر إرسال قوات من الحرس الثوري لتدريب المقاومين في البقاع.

كان تأسيس المقاومة الإسلامية في لبنان على المستوى العسكري والسياسي هو التمثل الأكبر لأفكار الإمام الخميني ﷺ على أرض الواقع، والذي سمح باستمرار المقاومة إنطلاقاً من الأراضي اللبنانية بعد أن كان العدو الصهيوني قد تمكن بالفعل من طرد المقاومة الفلسطينية من لبنان أثر الحرب الأهلية اللبنانية، وبدا أن هذا المشروع قد انتصر بالفعل لولا استمرار المقاومة الإسلامية الممثلة في حزب الله وبروزها في الفترة اللاحقة بالمشاركة مع جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية (جمول) والتي توقف نشاطها في التسعينات نتيجة لبعض التعقيدات السياسية وسقوط الاتحاد السوفيتي في هذه الفترة[٦٥][٦٦]، وقد انضم بعض مقاتليها خاصة من الحزب الشيوعي اللبناني إلى صفوف المقاومة الإسلامية[٦٧]، بينما تمكنت المقاومة الإسلامية من مواصلة نشاطها والذي كلل في النهاية بإنتصار المقاومة وإنسحاب الكيان الصهيوني من جنوب لبنان في مايو ٢٠٠٠، ثم الانتصار مرة أخرى عليه في حرب تموز ٢٠٠٦.

٤ ـ ما بعد التأثير:

يتشكك الكثيرون من المتابعين في وجود تأثير حقيقي للثورة الإسلامية في إيران على الثورات التي قامت في العالم العربي كمصر وتونس واليمن والبحرين، مؤكدين أن هذه الثورات هي بنت بيئتها فقط ولم تتأثر بالثورة الإيرانية والتي تبتعد زمنياً عن هذه الثورات.

مثل هذه الشكوك تسعى للفصل غير المنطقي بين الحالات الثورية في العالم، وهي بالتأكيد قد تصدق في مقولتها أن هذه الثورات بنت بيئتها بالأساس، لكن في المقابل لابد توضيح أن العمل السياسي المعارض من خلال هذه الثورات نشأ بالأساس عبر مثقفين تأثروا في رؤيتهم وكتاباتهم بما حدث في الثورة الإسلامية في إيران، وقد سبق أن أوضحنا أن هذا التاثير لم يكن قاصراً على الإسلاميين فقط ولا حتى على المؤيدين للثورة، فالعمل الثوري يمكن تناقل خبراته حتى عبر المختلفين من الناحية الأيدلوجية.

إن الجماهيرية الكبرى التي حظت بها هذه الثورات إنما كانت عبر إيمان هذه النخب بقدرة الجماهير على التغيير على نفس النسق الذي رأوه في الثورة الإسلامية، كما أن الثوار في مصر على سبيل المثال استخدموا بعض الآليات التي لجأ إليها الإيرانيون كالإنطلاق من المساجد يوم الجمعة، وقيام البعض بإرتداء الأكفان يوم ٨ فبراير بميدان التحرير كدليل على الاستعداد للاستشهاد في سبيل الحرية[٦٨]، ومثل هذه الوسيلة ليست متواجدة في التراث المصري ولم يلجأ إليها المصريون في الانتفاضات الجماهيرية السابقة وخاصة سنة ١٩١٩ أو انتفاضة الخبز في السبعينات، وإنما هي بالتأكيد انتقلت إلى وعيهم وثقافتهم عبر الثورة الإسلامية في إيران والتي استخدمت ومازالت تستخدم هذه الوسيلة[٦٩] نقلاً عن التقاليد والأعراف المتبعة في المواكب الحسينية منذ فترات زمنية طويلة.

وإذا كانت هذه الثورات لم تحمل نفس شعارات الثورة الإسلامية المعادية بوضوح لأمريكا والكيان الصهيوني لظروفها الخاصة، فإنها بالتأكيد اختزنت في وعيها هذا العداء المتجذر للإمبريالية الأمريكية والصهيونية، والتي برزت بوضوح عبر المطالبات بإيقاف مد هذا الكيان بالغاز المصري، ومحاصرة سفارة الكيان الصهيوني يوم ٨ أبريل الماضي، ورغم أن الشعوب العربية بصفة عامة لا تحتاج

لتعلم كراهية الكيان الصهيوني من أي ثورة أخرى، فإن مرور ثلاثين عاماً من الاستسلام الصامت كان كفيلاً على الأقل بإماتة فكرة المواجهة مع هذا الكيان، لو مرت دون انتصارات حقيقية تشير إلى حقيقة ضعفة في المواجهة الحقيقية مع منظومة ثورية غير فاسدة، ولم يتم هذا سوى عبر إنجازات المقاومة في لبنان وفلسطين والتي بدورها تأثرت كثيراً بالثورة الإسلامية كما تابعنا، وربما يكون من الضروري الإشارة إلى أن التحرك الأول والذي يعد الممهد للثورة المصرية كان في ٦ أبريل من العام ٢٠٠٨ خلال الفترة التي شهدت فيها مصر حالة من التفاعل السياسي عقب إنتصار المقاومة الإسلامية في لبنان على الكيان الصهيوني بحيث تحول السيد حسن نصر الله إلى السياسي الأكثر شعبية بين المصريين[٧٠][٧١]، وهو ما أدى لاستفزاز الحكومة المصرية في عهد مبارك وقامت في رد فعلها ببعض التصرفات التي اثارت السخرية[٧٢].

إن ما يجب على الجميع الاعتراف به أن الثورات لا تنشأ دون تأثر بنظيرتها السابقة ولو في الآليات، وربما حتى في المطالبات التي تسعى لتحقيقها، والثورات العربية رغم أن الظروف العالمية كانت مدعمة لنشوبها نتيجة ضعف الرأسمال بصفة عامة بعد الأزمة المالية في ٢٠٠٨، فإنها كحالة أيدلوجية كان من الممكن أن تقتصر على بعض المطالبات الإصلاحية البسيطة دون السعي لإسقاط الأنظمة، خاصة مع الحالة المتردية التي وصلت إليها الشعوب العربية بما جعل الفساد والتغييب الذهني مسألة تقليدية لا تستحق التوقف عندها كثيراً، إلا أن الدفعة التي تلقتها في السبعينات عبر الثورة الإسلامية في إيران، ثم إنتصار المقاومة الإسلامية في لبنان عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٦ كان له دور كبير في الحفاظ على الحالة الثورية وجماهيريتها لدى الشعوب العربية.

في مقاله المنشور بجريدة الوطن والمعنون «**خطبة مصرية في طهران**» حاول الكاتب الإسلامي فهمي هويدي أن ينفي وجود تأثير ما للثورة الإسلامية في إيران على الثورة الثورات العربية بشكل عام والمصرية بشكل خاص محاولاً الإيحاء بأن المتطابقات التي سبق الإشارة إليها هي مجرد متشابهات التي تقل كثيراً عن التمايزات والاختلافات بين الثورتين(٧٣).

الواقع أن الأستاذ فهمي هويدي نسي في غمرة سعيه لإثبات إستقلالية الثورة المصرية، أن الإنتماء الطبقي الحقيقي لقيادات هذه الثورة يتمثل في البرجوازية المتوسطة والصغيرة، وهذه الطبقة غير قادرة بالأساس على قيادة ثورة مظفرة حتى النهاية مع السلطة الحاكمة في بلد كمصر نظراً لتذبذب وضعها الطبقي من حيث إنتمائها للبرجوازية من ناحية ومعاناتها من الاستغلال الإمبريالي من ناحية أخرى، وطوال تاريخها لم تتمكن بالأساس من استلام ثمار إنتفاضاتها حتى لو كانت بشكل عسكري كثورة ١٩٥٢، إذ سرعان ما انقلب أنور السادات ثم مبارك على كل منجزات هذه الثورة دافعاً بالاقتصاد والسياسة المصريين إلى التبعية(٧٤)، وبالتالي فقد كانت بالأساس تحتاج إلى النموذج الثوري الذي يجعلها على قناعة بقدرة الجماهير على إسقاط الأنظمة نهائياً.

كما تناسى هويدي بينما يعدد أوجه الشبه والاختلاف بين الثورتين، أن المتشابهات والتي تمثلت في الجماهيرية، وتغيير النظم وقلب سياساتها، والفوضى التي شاعت بعد سقوط الحاكم وأخلت بنظام العمل في كافة أجهزة الدولة، والتأثير الاستراتيجي للثورتين على المستوى الإقليمي، هي في مجملها تنتمي للأسس العقائدية للثورة المصرية بصفة خاصة والعربية بصفة عامة، في حين أن التمايزات التي أستعرضها هويدي كالقاعدة الدينية للثورة الإسلامية مقابل القاعدة

الوطنية للثورة المصرية، والقيادة والإيدلوجية الواضحتين للثورة الإيرانية مقابل الغموض القيادي والإيدولوجي للثورة المصرية، وحضور السياسات الخارجية في شعارات الثورة الإيرانية، مقابل هامشيتها في شعارات الثورة المصرية، وموقف الجيش الإيراني المختلف عن موقف نظيره المصري أثناء الأحداث، هي في الواقع من التفاصيل التي ترتبط بالواقع الذي تعيشه الثورة والذي يجبرها على تحديد أولويات وآليات تحرك مختلفة[٧٥].

لقد كان المتابعين الصهاينة أكثر من فطن لحالات التأثر بالثورة الإيرانية أثناء الأحداث في مصر، حيث أبدى رئيس الوزراء الصهيوني تخوفاته من استنبات التجربة الثورية الإيرانية في مصر خلال كلمة ألقاها أمام الكنيست الصهيوني يوم الثاني من فبراير بعد تأكده من فشل مبارك في إحتواء الأزمة[٧٦]، بعدها قام السفير الصهيوني السابق في مصر إيلي شاكيد بتأكيد مخاوف رئيس وزراء كيانه، ومعبراً عن رغبته في أن تستمر مصر معتدلة كي تتمكن من مواجهة إيران الشيعية.

الواقع أن التحذيرات الصهيونية لا تنطلق من مخاوف دعائية بقدر ما هي نتيجة وعيهم بأن التشابه الكبير بين الثورتين يحمل كذلك تشابهاً في المواقف التي سيتخذها الثوار المصريين من كيانهم.

على أنه من الضروري القول بأن ما اعتبره الكاتب فهمي هويدي إختلافات ليس صحيحاً تماماً، فالقاعدة الوطنية المزعومة للثورة المصرية لم تنفي إرتكان الثوار المصريين على الدين حتى مع إختلاف الأيدلوجيات، كما أن القاعدة الدينية التي قامت عليها الثورة الإيرانية لم تنف كذلك تأييد المخالفين لها للثورة، حتى على مستوى الخلاف المذهبي، حيث شاركت الجماهير السنية في الثورة تحت قيادة الإمام الخميني كغيرها من الإيرانيين كما يشير فهمي هويدي ذاته في كتابه «**إيران من الداخل**»[٧٧].

خاتمة:

ما أنجزته تعاليم الإمام الخميني في العالم العربي

في كتابه عن حزب الله في لبنان عقب انتصاره على الكيان الصهيوني في ٢٠٠٦ قال المثقف الماركسي البريطاني كريس هارمن حول تجربة المقاومة الفلسطينية نقلاً عن مقال كتبه طالب فلسطيني إسمه ابراهيم علي في مجلة «**إنترناشيونال سوشياليزم**» في أوائل عام ١٩٦٩: «**إن حرب يونيو، التي فضحت وجود حالة مؤكدة من الفساد والإفلاس لهذه الأنظمة، أجبرت الفلسطينيين على إعادة تقييم موقفهم تجاه تلك الدول.. وقد عبر ذلك عن نفسه من خلال الدعم الشعبي الجارف لمنظمات حرب العصابات، التي تعمل باستقلال عن الحكومات العربية**»[٧٨].

كانت الهزيمة العربية في هذه الحرب إيذاناً بنهاية مرحلة المواجهة التي ترعاها أنظمة سياسية لم تأت من خلال ثورة الجماهير، ومع أن إنتصار الجيش المصري في أكتوبر ١٩٧٣ كان رائعاً للغاية إلا أن السادات قام بإستغلاله لإتمام عملية الفصل بين المقاومة والحكومات العربية التي كانت في الواقع تسعى لاستغلال المقاومة في صراعاتها أكثر من تقديم الدعم لها، بما كاد أن يؤدي إلى موتها تدريجياً بعد أن أصبحت عبئاً على هذه الحكومات[٧٩].

إن الإنجاز الأساسي الذي قامت به الثورة الإسلامية في إيران وتعاليم الإمام الخميني ﷺ هو قيامها بالتأسيس للتجربة الجديدة للمقاومة والتي تقوم على النضال من اسفل[٨٠] عبر الانطلاق من خلال قناعات القواعد الجماهيرية، وهي الميزة الأساسية للثورة الإيرانية، والتي نقلتها كذلك كفكرة وآلية عمل لدى الحركات التي تاثرت بها، وبالتالي فإن هذا التميز هو ما يفسر قدرة هذه الحركات الثورية على تحقيق نجاحات كبيرة سواء من الناحية الميدانية أو الجماهيرية.

لقد كانت الثورة الإسلامية في إيران فعلاً استثنائياً في منطقة الشرق الأوسط، لم يكن متوقعاً على الإطلاق في هذه الفترة، ولا كانت الأوضاع في هذه الفترة من الممكن أن تؤدي إليه، وبالتالي ترك أثره على كافة الحركات السياسية في العالم العربي بحيث لا يمكن الادعاء بأن هناك حركة سياسية لم تتأثر بشكل أو بآخر بهذا الدوي الذي أحدثته الثورة وتعاليم الإمام الخميني الذي بدا زعيماً مثيراً للدهشة وعلى غير العادة في هذه المناطق التي اعتادت طوال فترات الخمسينات والستينات على الزعماء العسكريين وإنقلاباتهم التي تسمى لاحقاً في إعلامياتهم بالثورات.

وبقدر ما كانت غرابة الحالة الجديدة على الشرق، كان التاثر أيضاً ضخماً رغم كل المحاولات التي بذلتها القوى الدولية لامتصاص وهجها الثوري عبر إغراقها في حرب مفروضة مع النظام العراقي، إلا أن هذا الوهج الثوري استمر وتمكن من الحفاظ على حالة النهوض بكل المنطقة التي إرتكنت على قوة دفع هذه التجربة بكل ثقلها بعد أن انسحب اليسار في التسعينات من المواجهة المسلحة عقب تفكك الاتحاد السوفيتي ولجوء بعض الدول كالصين للسياسات البراجماتية إلى درجة الاعتراف بالكيان الصهيوني سنة ١٩٩١ بهدف الحصول على تقنيات عسكرية غربية وأمريكية عن طريقه، بالاضافة للتكنولوجيا الغربية المتطورة والتي لا تستطيع الحصول عليها من الغرب[٨١].

ومن الغريب أنه في الوقت الذي أصبحت فيه الولايات المتحدة قطباً أوحد في العالم، بحيث تصور الكثيرين أن القضية الفلسطينية قد انتهت تماماً خاصة عقب قبول قيادة منظمة التحرير سنة ١٩٩١ التفاوض واضطرارها للفرح بالعظمة التي ألقيت لها عبر تأسيس جزر منعزلة في الضفة الغربية وغزة، فإن هذا الوهج الثوري لأفكار الإمام الخميني الثورية كان يدفع لتحقيق أحد أهم الإنتصارات القاسية على الكيان الصهيوني تحقق بشكل مدوي في مايو ٢٠٠٠ لتتحقق فيما بعد سلسلة من

الانتصارات الميدانية والسياسية أدت في النهاية إلى وضع متأزم بالنسبة لهذا الكيان أصبح فيه يعيد وضع علامات الاستفهام مرة أخرى حول إن كان سوف يكون قادراً على البقاء في المستقبل، بعد أن كان هذا التساؤل قد أنتحى تماماً.

يبقى في النهاية الإشارة إلى أن انتصار الثورتين المصرية والتونسية، واشتعال الوهج الثوري في المنطقة ككل إنما يعد تتويجاً لدعوة الإمام الخميني ﷺ لكل الشعوب المستضعفة بضرورة الثورة على كل النظم الحاكمة الرجعية والتابعة للإمبريالية الأمريكية، وهو رغم تأخره كثيراً إلا أنه أتى في اللحظات التي توفرت فيها قوانينه المادية، وهو في الواقع مجرد بداية لانتصار أكبر سوف تكون هذه الشعوب قادرة على تحقيقه بعد زوال الحاجز الذي كان يفصل بينها وبين تلقيها بشكل سليم لرؤية الإمام الخميني ﷺ الثورية عبر استفادتها من هذه الرؤية في تطوير حركتها الثورية لتحقيق الاستقلال الكامل في قرارها السياسي والاقتصادي.

الهوامش:

(١) أحمد أبو مطر. **من ملف صدام حسين السياسي وعلاقته ببعض الأطراف الفلسطينية**. موقع زيتونه **www.zeitoonah.com** بتاريخ (٢٠١١/٣/٢٢)، حردان التكريتي. المذكرات. موقع عراق الأحرار ***www.iraqalahrar.com*** بتاريخ (٢٠١١/٣/٢٢).

(٢) جدير بالذكر أن التأييد الظاهري للنظام البعثي في العراق لم يمنعه من القيام بحركات إغتيال للعديد من النشطاء الفلسطينيين منهم نعيم خضر في بروكسل و وائل زعتر في روما وزهير محسن في فرنسا وعصام السرطاوي في لشبونة، وهو ما يشير إلى أن النظام العراقي لم يكن يسعى بالأساس لخدمة القضية الفلسطينية بقدر ما كان يسعى لاستغلالها لتحقيق طموحات إقليمية خاصة، وقد اعترف حردان التكريتي أحد اقطاب البعث أن حزبه كانت لديه خطط خاصة لانتزاع قيادة العالم العربي من القاهرة، كما كانت لديه إتصالات مسبقة بالبريطانيين والكيان الصهيوني.

(٣) إبراهيم زيدان. **مساومة الكويتيين لصالح من؟**. موقع زيتونه ***www.zeitoonah.com*** بتاريخ (٢٠١١/٣/٢٢).

(٤) في محاورة بين القاضي رائد جوحي وصدام حسين حول شنه الحرب ضد إيران أجابه بأن هذا السؤال يجيب عنه الرئيس الأمريكي بوش الأب والذي كان نائباً للرئيس الأمريكي رونالد ريجان.

(٥) عادل حمودة. **الهجرة إلى العنف.** طبعة دار سينا للنشر. القاهرة ١٩٨٧. ص ٦٠ ـ ٦٣.

(٦) تتميز إيران من الناحية المذهبية بغلبة المذهب الشيعي الاثنى عشري بين شعبها والذي تصل نسبته إلى ٩٢ % في بعض التقديرات، على عكس الجوار الإسلامي والعربي الذي يغلب عليه المذهب السني باستثناء دول العراق وآذربيجان والبحرين، كما تتميز بانتشار اللغة الفارسية بين ابنائها، مع وجود لغات أخرى كالتركية الآذرية والبختيارية، وهذه التميزات ربما تضعف من احتمالات التواصل والدعم الديني أو القومي مع الخارج.

(٧) إبراهيم الدسوقي شتا. **الثورة الإيرانية (الجذور ـ الأيدلوجية).** طبعة دار الوطن العربي. بيروت ١٩٧٩. ص ٩٦ ـ ٧٢.

(٨) شهدت حركة تأميم النفط تحالفاً بين رئيس الوزراء محمد مصدق وآية الله العظمى الكاشاني، كما انضم إلى هذا التحالف كذلك حزب توده الشيوعي، إلا أن الخلافات التي دبت بين هذه التيارات المختلفة وتخلي حزب توده عن دعم مصدق بسبب الخلافات الأيدلوجية بين الطرفين أدى إلى تمكن الشاه من إطلاق الجيش على المؤيدين لتأميم النفط وتمكن في النهاية من القضاء عليهم تماماً.

(٩) **م. س.** ص ٧٧، ٧٨.

(١٠) فهمي هويدي. **إيران من الداخل.** طبعة الأهرام. الطبعة ٤. القاهرة ١٩٩١. ص ٥٠.

(١١) قضى الإمام الخميني ﷺ شهرين في السجن قبل أن يوضع في الإقامة الجبرية في أحد أحياء طهران وأفرج عنه في ٥ أبريل سنة ١٩٦٤.

(١٢) فهمي هويدي. **م. س.** ص ٥٢.

(١٣) **م. س.** ص ٣٩ ـ ٤٥.

(١٤) مايكل لوفي. **الماركسية والدين.** ترجمة بشير السباعي. مقال بموقع ***www.assuaal.net*** بتاريخ (٢٠١١/٤/٤)، فرديريك انجلز. **ثورة الفلاحين في ألمانيا.** ط دار دمشق. القاهرة (بدون ذكر سنة الطبع). ص ٤٦ ـ ٥٣، ١٥٨، ١٥٩.

(١٥) في الخلاف بين قدرة الايدولوجيا الدينية المرتبطة بالاقطاع على الثورة، وبين الايدولوجيا العلمية يقارن فردريك أنجلز في كتاب ثورة الفلاحين في ألمانيا بين الثورتين الألمانيتين سنة ١٥٢٥ والتي اعتمدت على منظومة دينية معادية للبروتستانتية الرسمية، وبين ثورة ١٨٤٨ ـ ١٨٥٠ التي قامت بدعم من البرجوازية: «**من استفاد من ثورة ١٥٢٥؟ الأمراء، ومن استفاد من ثورة ١٨٤٨؟ كبار الأمراء ملكا النمسا وبروسيا، ووراء الأمراء في عام ١٥٢٥ وقف صغار سكان المدن الذين كان الامراء قد ربطوهم بعجلتهم بواسطة الضرائب، ووراء الملوك في عام ١٨٥٠ ـ وراء النماس وبروسيا ـ يقف البرجوازي الكبير الحديث الذي كان يسرع في اخضاعهم لسيطرته عن طريق الدين القومي، وخلف البرجوازي الكبير تقف البروليتاريا.**

لقد كانت ثورة ١٥٢٥ مسألة ألمانية داخلية، وكان الانجليز والفرنسيون والبوهيميون والمجريون قد انتهوا من حروب الفلاحين لديهم عندما بدأ الألمان حربهم. ومادامت ألمانيا منقسمة فستظل

أوروبا منقسمة. ولم تكن ثورة ١٨٤٨ مسألة ألمانية داخلية. بل كانت مرحلة في حركة أوروبية عظيمة. وامتد أثر القوى الدافعة لها ـ خلال فترة قيامها ـ إلى آفاق أبعد من الحدود الضيقة لبلد واحد... وهذا هو السبب في أن ثورة ١٨٤٨ ـ ١٨٥٠ لا يمكن أن تنتهي إلى ما انتهت إليه ثورة ١٥٢٥»، وبصفة عامة فإن أنجلز ـ بحسب مايكل لوفي ـ يرى أن الدين يتعرض لتحولات في العصور التاريخية المختلفة: فهي تبدو في البداية بوصفها ديانة للعبيد، ثم بوصفها أيديولوجية ملائمة للهيراركية الإقطاعية وأخيرا بوصفها أيديولوجية تتميز بالتكيف مع المجتمع البرجوازي.

(١٦) **الدين والاشتراكية والثورة**. الشرارة. مقال بموقع ***www.e-socialists.net*** بتاريخ (٤/٤/٢٠١١)، غياث نعيسه. **الموقف الماركسي من الظاهرة الدينية**. مقال بموقع ***www.e-socialists.net*** بتاريخ (٤/٤/٢٠١١).

(١٧) إنتقد الكاتب غياث نعيسة طريقة تعامل الماركسيين مع قضية الوعي الديني واصفا إياها بالأتوماتيكية دون أي وعي بطروحاتها، ورغم أن غياث نعيسة لم يختلف كثيرا في رؤيته للدين عن من يسعون لحصر التحركات الدينية في إطار البرجوازية الصغيرة فإن مقاله دعا لاتخاذ مواقف أكثر إيجابية من الدين.

(١٨) إبراهيم الدسوقي شتا. **م. س**. ص ٥٤ ـ ٥٦.

(١٩) بتروشوفسكي. **الاسلام في إيران**. ترجمة وتعليق / السباعي محمد السباعي. القاهرة ١٩٩٩. ص ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٤٩ ـ ٣٥٥، ٣٥٨.

(٢٠) فهمي هويدي. **م. س**. ص ٦٤، ٦٥.

(٢١) عادل حموده. **م. س**. ص ١٦١، ١٦٢.

(٢٢) **م. س**. ص ١٦٣.

(٢٣) عقب الكاتب العلماني عادل حمودة على نصوص نقلها من مؤلفات علي شريعتي: «**ولابد من الاشارة إلى الرؤية الاجتماعية للدين التي يتمتع بها د. علي شريعتي. ولابد أن نعترف أن هذه الرؤية غائبة عن أعين هذه الجماعات. لذلك.. فأغلب الظن أنها روجت لها من باب الدعاية والإعجاب بالثورة الإيرانية.. ليس أكثر**».

(٢٤) أحمد فؤاد نجم. **الأعمال الشعرية الكاملة**. طبعة دار ميريت. ط ١ القاهرة ٢٠٠٥. ص ١٩٦ ـ ٢٠٠، ٢٠٧ ـ ٢١٠، ٢١١ ـ ٢١٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠.

(٢٥) عبد الله كمال. **البحث عن الخوميني في حدائق القبة**. عرض لكتاب «التطرف الإسلامي في السياسة المصرية» للباحث باري روبن. مجلة روزاليوسف. عدد ٣٣٦٥. ٧ ديسمبر ١٩٩٢.

(٢٦) إنتهى الكاتب إلى نتيجة أساسية وهي أنه لا يمكن وجود الخوميني في مصر طالما أن دعاة التطرف هم من أمثال الشيخ كشك ﷺ، وطالما ان رجال الازهر يرون الحل في زيادة المرتبات.

(٢٧) شهدت مصر في الثمانينات صدامات كبيرة في الحكومة والعمال المصريين كانت أضخمها في إضرابات قطاع النسيج في كفر الدوار والمحلة والاسكندرية عام ١٩٨٤ وإضرابات عمال السكة الحديد والحديد والصلب وقد قابلها النظام بمنتهى العنف ووصل الامر باطلاق الرصاص الحي على العمال المضربين، بينما لم تشهد التسعينات سوى إضراب عمال كفر الدوار سنة

١٩٩٤ والذي تعامل النظام معه بمنتهى العنف كذلك، ويرجع المحللون اليساريون هذا الهدوء في الحركة العمالية إلى سياسات التكييف الهيكلي التي سعت لخصخصة الشركات وخروج العمال على المعاش المبكر، وبالتالي فقد تأثر الحراك السياسي عموما في هذه الفترة.

(٢٨) نبيل الكرخي. **خطأ المنهج وقرائن سوء النية في مؤلفات عادل رؤوف.** مقال بموقع الباحث الشخصي ***www.nabilalkarkhy.net*** بتاريخ (١٢/٤/٢٠١١).

(٢٩) صباح محسن كاظم. **الانتفاضة الشعبانية، من أجهضها، أمريكا أم دول الجوار؟.** مقال بموقع الحوار المتمدن. عدد ٢٠٣١ بتاريخ (١٢/٤/٢٠١١).

(٣٠) حامد محمود. **ثقافة التيار الصدري بين المرجعية والعشائرية.** مقال بموقع إسلام أونلاين. بتاريخ (١٢/٤/٢٠١١).

(٣١) شوكت خازندار. **صدام حسين وناظم كزار والذكريات الأليمة.** مقال بموقع الحوار المتمدن. عدد ١٦٣٦ بتاريخ (١٥/٤/٢٠١١).

(٣٢) ميرزا الخويلدي. **البحرين.. تاريخ من التحولات السياسية وأزمتها الراهنة هي الأخطر.** تقرير بموقع صحيفة الشرق الأوسط ***www.aawsat.com*** بتاريخ (١٥/٤/٢٠١١)، فهمي هويدي. م. س. ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٣٣) **م. س.** تقرير بموقع صحيفة الشرق الأوسط ***www.aawsat.com*** بتاريخ (١٥/٤/٢٠١١).

(٣٤) **م. س.** تقرير بموقع صحيفة الشرق الأوسط ***www.aawsat.com*** بتاريخ (١٥/٤/٢٠١١).

(٣٥) عبده زينه. **تقارب بين الوفد والإخوان في مصر.** تقرير بموقع الشرق الأوسط ***www.aawsat.com.*** عدد ٩٣٤٥ صدر ٢٩ يونيو ٢٠٠٤. بتاريخ (١٧/٤/٢٠١١).

(٣٦) قراءة لكتاب د فلاح عبدالله المديرس (بدون ذكر الكاتب). **الحركة الشيعية في الكويت.** مقال بموقع فيصل نور ***www.fnoor.com*** بتاريخ (١٧/٤/٢٠١١).

(٣٧) أشار كاتب المقال حول كتاب د. فلاح المديرس إلى أن أحد كبار رموز اليسار في الكويت وهو أحمد الخطيب كان من الخطباء الدائمين في مسجد شعبان وهو أحد أهم مساجد الشيعة وقد نشأت بالمسجد حركة إسلامية تبنت مباديء الإمام الخميني ﷺ.

(٣٨) سامي ناصر خليفة. **الخطيب.. ومسجد شعبان.** مقال بموقع الرأي ميديا ***www.alraimedia.com*** بتاريخ (١٧/٤/٢٠١١).

(٣٩) ذكر الكاتب أن الحكومة الكويتية قامت بقمع التحرك مستخدمة العنف، كما قامت بسحب جنسية السيد المهري وطرده وعائلته بالكامل خارج الكويت، ولم تعد إليه الجنسية مرة أخرى إلا بعد انتهاء حرب الخليج الثانية وطرد الاحتلال الصدامي من الكويت.

(٤٠) فهمي هويدي. **م. س.** ص ٣٨٥.

(٤١) ذكر الكاتب فهمي هويدي أن ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية كان الزعيم العربي الأول الذي زار طهران عقب نجاح الثورة الإسلامية، ولاقى هناك إستقبالاً حافلاً من الإمام الخميني وقيادة الثورة ومن الشعب الإيراني، كما نقل عبارة هاني الحسن في أصفهان حينما قال: «إن القرآن دستورنا والحسين هو المثل الأعلى للشباب الفلسطيني، والخميني هو زعيمنا وقائدنا» م. س. ص ٣٨٧، ٣٩٠.

(٤٢) محمد رحيم عيوضي. **معالم الثورة الإسلامية: تحليل وتقييم**. موقع البينة ***www.albainah.net*** بتاريخ (٢٠١١/٤/٢٢).

(٤٣) لابد من الإشارة إلى أن موقع البينة في الأساس معادي للتشيع، إلا أن الكاتب في هذا المقال كان يقوم بالنقل السلبي لفقرات من مصادر تحدثت عن الثورة الإسلامية في إيران وعلاقتها بالحركات السياسية الناشئة بعدها بتأثير من الثورة الإسلامية.

(٤٤) الشهيد فتحي عبدالعزيز الشقاقي. **الخميني.. الحل الإسلامي والبديل**. طبعة دار المختار الإسلامي. القاهرة ١٩٧٩. ص ٦٥.

(٤٥) م. س. ص ٥، فهمي هويدي. م. س. ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(٤٦) م. س. ص ٢٧.

(٤٧) ما قاله الباحث هادي العلوي يعد غريباً للغاية خاصة أن المواجهات مع الاستعمار في بدايات هذا القرن كانت تحت رعاية علماء الدين الشيعة بالأساس في العراق وإيران، بالإضافة لغيرها من الدول العربية، ومقولته التي نقلها الشهيد الشقاقي في حال صحتها تواجه إشكالا كبيراً في حال تم وضعها تحت قواعد المادية التاريخية، فإذا اعتبرنا أن المؤسسات الدينية هي المعبرة عن الدين فإن هذه المؤسسات بالتأكيد تعبر في جوهرها عن مصالح طبقية بالتأكدي ستكون مصطدمة بالمحتل الدخيل، ولكن إذا اعتبرنا الدين عقيدة بعيداً عن المؤسسات، فأعتقد أن هناك ما يكفي من النصوص الدينية التي تحرض المسلمين لمواجهة أي اعتداء عليهم، وبالتالي لا أدري كيف تحدث هادي العلوي بهذا الشكل.

(٤٨) **م. س.** ص ٣٠.

(٤٩) **م. س.** ص ٣٠، ٣١.

(٥٠) **م. س.** ص ٤٨، ٤٩.

(٥١) **واشنطن تدرج كتائب حزب الله في العراق ومستشارا بـ«فيلق القدس» الإيراني في قائمة الإرهاب**. تقرير أخباري بموقع صحيفة الشرق الأوسط ***www.aawsat.com***. عدد ١١١٧٩ صادر في ٤ يوليو ٢٠٠٩. بتاريخ (٢٠١١/٤/٢٦)، **تعزيز العلاقات بين ايران والدول العربية والاسلامية هو شان يهم الامة ويخدم قضاياها**. تقرير إخباري بموقع رحماء ***www.rohama.org*** بتاريخ (٢٠١١/٤/٢٦).

(٥٢) جدير بالذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية أعتبرت الجهاد الإسلامي وحماس والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من المنظمات الإرهابية نظراً لعلاقتها بإيران، وقد صرح القيادي قال في حركة الجبهة الشعبية لؤي القريوتي: «**ان الدور الايراني مرحب به في عالمنا العربي، لان اهدافه واضحة ونبيلة وهي رفع الظلم والاضطهاد عن شعوب المنطقة، ورفع الهيمنة الاميركية والسيطرة على ثروات شعوب المنطقة**».

(٥٣) نعيم قاسم. **حزب الله (المنهج.. التجربة.. المستقبل)**. الفصل الأول الرؤية والأهداف، فقرة: ظروف التأسيس. موقع الشيخ نعيم قاسم ***www.naimkassem.net*** بتاريخ (٢٠١١/٤/٢٦).

(٥٤) لم يتمكن السيد موسى الصدر إكمال مشروعه الثوري حيث قام النظام الليبي بخطفه في سنة ١٩٧٨ على أثر زيارة قام بها إلى ليبيا، ومازال مصيره مجهولاً حتى الآن.

(٥٥) م. س. الفصل الأول الرؤية والأهداف، فقرة: ظروف التأسيس. موقع الشيخ نعيم قاسم ***www.naimkassem.net*** بتاريخ (٢٠١١/٤/٢٦).

(٥٦) علي حسن سرور. **العلامة فضل الله والتحدي الممنوع**. طبعة دار الملاك. بيروت ١٩٩٢. ص٧٢.

(٥٧) الشيخ نعيم قاسم. م. س. الفصل الأول الرؤية والأهداف، فقرة: ظروف التأسيس. موقع الشيخ نعيم قاسم ***www.naimkassem.net*** بتاريخ (٢٠١١/٥/١).

(٥٨) علي حسن سرور. م. س. ص ٧٧.

(٥٩) **ذكرى إتفاق ١٧ أيار ١٩٨٣**. تقرير إخباري بموقع إنباء ***www.inbaa.com*** بتاريخ (٢٠١١/٤/٢٩).

(٦٠) نص الاتفاق على انهاء حالة الحرب بين لبنان و « إسرائيل »، وعلى التعهد بانسحاب القوات «الإسرائيلية» من لبنان خلال ٨ ـ ١٢ أسبوعاً من سريان الاتفاق، وإنشاء منطقة أمنية تنفّذ فيها ترتيبات أمنية متفق عليها، وتأليف لجنة اتصال مشتركة لبنانية ـ «إسرائيلية» ـ أميركية للإشراف على تنفيذ الاتفاق، وتنبثق منها لجنة الترتيبات الأمنية، ولجان فرعية، وإنشاء مكاتب اتصال في البلدين، والتفاوض لعقد اتفاقات تجارية، وامتناع كل فريق عن أي شكل من أشكال الدعاوى المعادية للفريق الآخر، والغاء المعاهدات والقوانين والأنظمة التي تعتبر متعارضة مع هذا الاتفاق.

(٦١) علي حسن سرور. م. س. ص ٨٢.

(٦٢) الشيخ نعيم قاسم. م. س. الفصل الأول الرؤية والأهداف، فقرة: ظروف التأسيس. موقع الشيخ نعيم قاسم ***www.naimkassem.net*** بتاريخ (٢٠١١/٥/١).

(٦٣) م. س. الفصل الأول الرؤية والأهداف، فقرة: ظروف التأسيس. موقع الشيخ نعيم قاسم ***www.naimkassem.net*** بتاريخ (٢٠١١/٥/١).

(٦٤) انشقت «حركة أمل» الإسلامية برئاسة نائب الرئيس السيد حسين الموسوي، عن حركة أمل التي يرأسها الأستاذ نبيه بري، بعد اختلاف على الموقف السياسي من تطورات ما بعد الاجتياح. جاء ذلك اثر تشكيل هيئة الانقاذ التي ضمت إلى الأستاذ نبيه بري عن حركة أمل، قائد القوات اللبنانية بشير الجميل، ورئيس الحركة الوطنية وليد جنبلاط، ورئيس الحكومة شفيق الوزان، والتي عقدت أول اجتماع لها برئاسة رئيس الجمهورية الياس سركيس في ٢٠ حزيران ١٩٨٢ بعد ١٤ يوماً على الاجتياح الإسرائيلي للبنان.وذلك اعتراضا من المنشقين على مشاركة حركة أمل بشخص رئيسها في هيئة الإنقاذ.

(٦٥) **اليسار اللبناني**. موسوعة ويكيبيديا. موقع ويكيبيديا ***http://ar.wikipedia.org*** (٢٠١١/٥/١).

(٦٦) تحمل جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية الحكومة السورية في عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد مسئولية القضاء على مشروعها لمقاومة الكيان الصهيوني في الجنوب وتوقفه نهائياً عام ١٩٩٠ لصالح المقاومة الإسلامية نتيجة خلافات لبعض قياداتها مع القيادة السورية، دون الإشارة إلى حقيقة أن القيادة السورية لم تكن لتتخذ هذه الخطوة إلا نتيجة مباشرة لتخلي الاتحاد السوفيتي عن دعم هذا المشروع، كما أنها اصطدمت كذلك بحزب الله في البداية، وقد نقل الباحث اليساري الإنجليزي

كريس هارمن عن الشيخ نعيم قاسم أن القوات السورية قتلت ٢٧ عنصراً من حزب الله سنة ١٩٨٧ عندما دخلت لبنان لايقاف الحرب الأهلية. (كريس هارمن. حزب الله وحرب إسرائيل الخاسرة. موقع مركز الدراسات الإشتراكية بالقاهرة ***www.e-socialists.org*** (١/٥/٢٠١١). ص ٨).

(٦٧) كريس هارمن. م. س. موقع مركز الدراسات الإشتراكية بالقاهرة ***www.e-socialists.org*** (١/٥/٢٠١١). ص ٧.

(٦٨) **محتجون يرتدون أكفانهم.. ومشاهير ينضمون للمظاهرات.** تقرير إخباري بموقع جريدة الوطن ***www.al-watan.com***. عدد **العدد ٥٦٣٧ ٢٠١١/٠٢/٠٨. بتاريخ (١/٥/٢٠١١).**

(٦٩) فهمي هويدي. م. س. ص ٢٦٧.

(٧٠) عمرو الباز. **حسن نصرالله هو الأكثر شعبية بين المصريين.** موقع أهل القرآن ***www.ahl-alquran.com*** نشر بتاريخ ١٦ أكتوبر ٢٠٠٦. بتاريخ (١/٥/٢٠١١).

(٧١) كانت هذه هي نتائج استطلاع الرأي الذي أجراه مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية في الفترة من ٣ أغسطس حتى ٢٠ أغسطس ٢٠٠٦، وشملت العينة المجرى الاستطلاع عليها ١٧٠٠ فردا يمثلون فئات مختلفة من الشعب والتي تبدأ أعمارهم من ١٨ سنة فأكثر.. وشملت العينة خمسة عشر محافظة، منها القاهرة والجيزة والإسكندرية وأسوان، والدقهلية والشرقية وأسيوط وسوهاج، ومطروح وسيناء، وكانت نتيجتها حصول السيد حسن نصر الله على المركز الأول بنسبة ٨٢% تلاه الرئيس الإيراني أحمدي نجاد برصيد ٧١%، ثم القيادي الفلسطيني خالد مشعل ٦٠%، وجاء الداعية يوسف القرضاوي في المركز العاشر برصيد ٢٨%.

(٧٢) إعتاد المصريون إطلاق إسم الشخصيات الشهيرة وخاصة المحبوبة على الأنواع الفخمة من البلح عند إقتراب شهر رمضان، وفي ٢٠٠٦ أطلق المصريون اسم السيد حسن نصرالله على أفضل هذه الأنواع والذي وصل سعره إلى ٢٥ جنيهاً للكيلو، فما كان من الحكومة المصرية سوى السعي لمنعه من الأسواق في رمضان التالي وهو ما اثار سخرية الكثيرين.

(٧٣) فهمي هويدي. **خطبة مصرية في طهران.** موقع صحيفة الوطن ***http://alwatan.kuwait.tt***. نشر بتاريخ ٢٤ مايو ٢٠١١. بتاريخ (١٣/٦/٢٠١١).

(٧٤) مجدي عبدالهادي وآخرون. التاريخ ـ الثورة ـ التأويل. دار عرب للنشر. ط ١ المنصورة ٢٠١١ ص ٤٤، ٦٠ ـ ٦٢.

(٧٥) م. س. موقع موقع صحيفة الوطن ***http://alwatan.kuwait.tt***. نشر بتاريخ ٢٤ مايو ٢٠١١. بتاريخ (١٣/٦/٢٠١١).

(٧٦) محمود معاذ عجور. **الموقف الإسرائيلي من ثورة ٢٥ يناير.** موقع الأهرام الرقمي ***http://digital.ahram.org.eg***. عدد أبريل ٢٠١١. بتاريخ (١٣/٦/٢٠١١).

(٧٧) فهمي هويدي. **إيران من الداخل.** م. س. ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٧٨) كريس هارمن. م. س. ص ٨.

(٧٩) علي حسن سرور. م. س. ص ٧٨.

(٨٠) كريس هارمن. م. س. ص ٥.

(٨١) **عناوين في العلاقات الصينية الاسرائيلية.** تقرير إخباري على موقع المركز العربي للمعلومات بالصين ***www.arabsino.com*** نشر بتاريخ ١٥/٥/٢٠٠٨. بتاريخ (١/٥/٢٠١١).

الصحوة الإسلامية المعاصرة الدوافع والتحديات

أ.م.د. عزيز جبر شيال

عقد في طهران المؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية من ١٧/ ١٨ أيلول ٢٠١١ بحضور عدد كبير من مفكري ومثقفي وسياسيي الأمة الإسلامية، إذ توفرت فرصة كبيرة لطرح هموم الأمة ومشاكلها وتسليط الضوء على الصحوة الإسلامية من مختلف جوانبها ولاسيما ما اصطلح على تسميته بثورات الربيع العربي. وقد أتضح من خلال سير المؤتمر والمداخلات والكلمات والمناقشات التي حصلت في المؤتمر أن هناك تحديات جدية تعترض الصحوة الإسلامية وتصاعدها، وإحتلالها الموقع الذي تستحقه في حياة الأمة بعد أن أثبتت الوقائع والأحداث عقم وفشل التيارات الفكرية الماركسية والقومية والليبرالية وعدم قدرتها على قيادة الحياة بالاتجاهات التي ترضي الله تعالى وتحقق طموحات الإنسان خليفته في الأرض كما وصفه سبحانه وتعالى.

ويذكر لنا العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله رضوان الله تعالى عليه: « بأن الحديث لا يزال عن الصحوة الإسلامية، يأخذ مجاله الكبير في حركة

الفكر المعاصر على مستوى النظرية والتطبيق، ليطرح تساؤلات كثيرة حول القضايا العامة التي أثارتها هذه الصحوة في عالم الإنسان، من حيث العناوين التي طرحتها في الساحة، ومن حيث المشاكل التي أثارتها، أو التحديات التي واجهتها، أو النتائج التي وصلت إليها فهل استطاعت الصحوة أن تنقل الإنسان إلى عالم جديد تختلف معطياته الفكرية والسياسية والاقتصادية عن المرحلة التي سبقتها فتتبلور له قضاياه في مسألة الحرية أو العدالة، وتمنحه الأصالة في حركته نحو التوازن في حركة وجوده، وهل تمكنت من إثارة مسألة الظلم المنتشر في الأرض لتتحدث عن كيفية مواجهته وتحريك قضية العبودية لتثير الفكر عن نوعية السيطرة عليها،وعن مسألة الجهل وطبيعة حلها وموضوع التخلف، لتبحث عن إمكانات الخروج منه.. وهل كانت في مستوى التحديات التي يفرضها الفكر الآخر أو الواقع المضاد..؟؟ وهل وصلت إلى بعض النتائج الحاسمة في حركة الأهداف؟ وهل استطاعت أن تكون البديل عن الواقع المسيطر على العالم؟ »[1]

تعد الصحوة الإسلامية المعاصرة من الظواهر المهمة في العالم الإسلامي، وقد بدأت منذ أوائل القرن الميلادي الماضي وتطورت في السنوات اللاحقة إلى أن أصبحت اليوم من أهل القضايا خصوصاً بعد أن تبلورت في مشروع كامل لإدارة الحياة تتبناه قاعدة الجماهيرية واسعة حققت تنفيذه في مناطق وتسعى إلى تحقيقه في مناطق أخرى، وتحمل هذه الصحوة السمات والخصائص الآتية [2]

١ـ توجه عملها نحو تعبئة طاقات الأمة.

٢ـ السعي لتقديم النموذج الإسلامي القادر على إدارة الحياة.

٣ـ مقاومة القوى المضادة للإسلام فكرياً وعملياً.

٤ـ إستعادة عزة المسلمين وكرامتهم.

٥ـ راب الصدع والتخلص من التشوهات التي أصابت مسيرة المسلمين والدعوة إلى تجاوز الخلافات المذهبية والإقليمية والعنصرية.

٦ـ الإعتماد على كل الإجتهادات الفقهية القائمة على أساس القرآن والسنة، وعلى وجه الخصوص في الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الدولية والنظام القضائي ونظام الحكم.

ولما هذه الصفات من تأثير مباشر في الأوضاع السياسية والاقتصادية العالمية، لاسيما وأن الشعوب التي تكتنفها الصحوة الإسلامية فقد حباها الله سبحانه وتعالى بثروات إستراتيجية ومواقع هامة، لذا توجهت القوى المهيمنة على النظام الدولي إلى إشاعة حالة من الإحباط عبر هدم الصحوة من داخلها، وخلق حالة من اليأس في الأمة من الأمل الإسلامي والعودة الإسلامية، بإستثمار مواقع الضعف الموجودة والمفتعلة في العالم الإسلامي، وقد وضعوا الخطط الدقيقة على هذا الأساس، فالوضع الإسلامي كان يعيش حالةً من الركود في حركتيه، فقد كان الفكر غارقاً في الكثير من الهوامش والتفاصيل التي تأكل حيويته لن المسألة التي تم التصدي لها كانت تتحرك في ذهنية التراث لا في ذهنية الحركة. وكانت مسألة مواجهته لمشاكل الحياة على مستوى الواقع غارقةً في الضباب الذهني الذي فرضته الأفكار الجدلية التي لا تنفتح على آفاق النور في موقع، غلا لتحاصرها الظلمة في موقعٍ آخر، ويمكن تلمس الاتجاهات الآتية في معالجة هذا الأمر.[٣]

١ـ طرح فرق الإسلام في دائرة العباديات والأخلاقيات العامة والتشريعات الفردية بعيداً عن مسائل الحياة العامة في نطاق المسؤوليات السياسية والجهادية.

٢ـ وطرح فريق آخر تجميد الإسلام في حركتيه ـ مع اعترافه بشموليته ـ انتظاراً لآخر الزمان، لأن الظروف الحاضرة تمنع شرعيته.

٣ـ بينما يرى فريق ثالث أن مسألة الحديث عن الإسلام الشمولي قد تجاوزها الزمن، لأن المراحل الزمنية التي قطعها الإنسان ربطته بأوضاع جديدة لم يواجهها الإسلام في مرحلة نشوئه وحركته السابقة، ما يفرض عليه أن يتخلى عن دوره للأفكار الجديدة التي تتسع لمشاكل الإنسان الجديدة، ليكون الإسلام مصدر إلهام في أفكاره وقيمه العامة، بدلاً من أن يكون مصدراً للعقيدة بتفاصيلها، أو للشريعة بشموليتها.

٤ـ ويقف إلى جانب ذلك فكر إسلامي يعمل على الهروب من الغيب. ما أمكنه ذلك، ليتحرك في نطاق التوفيق بين ما هو الفكر الإسلامي وبين ما هو الفكر الغربي الذي فرض نفسه على الواقع السياسي في موازين القوة والضعف، لتكون المسألة المطروحة هي أن الإسلام يتفق مع المعطيات الحديثة للكفر الإنساني، وللتقدم العلمي، ما يجعل ذلك هو الميزان للقيمة في نظر الإنسان المسلم. وهذا هو الاتجاه الذي قد لا يعوز أصحابه الإخلاص للإسلام، ولكنه يخضع للذهنية التي عاشت الانبهار بالحضارة الغربية، فأرادت للإسلام أن يأخذ بأسبابها في مجال التفسير للقرآن، والتوجيه للشريعة.

٥ـ وقد انطلق ـ مع هذا التفكير التوفيقي ـ فكر حركي على أنقاض الكفر المتخلف الذي يبعد الإسلام عن الحياة وفي مواجهة الصدمة الكبيرة التي انسحب فيها الإسلام من مواقع الحكم والتشريع من خلال الهجمة الشرسة على الإسلام في قواعده السياسية التي قادها الاستكبار العالمي الغربي القائم على الكفر والانحراف، لتقود المسلمين إلى الفكر المتحرك في النطاق الوطني أو القومي، بعيداً عن النطاق الإسلامي.

وقد كان من بين قادة الصحوة زعماء وقادة على مختلف الصعد، أكملوا ما ذهب غليه أسلافهم بروحية جهادية عظيمة، وإذا ما أشرنا إلى بعض الأسماء الكريمة فهذا لا يعني عدم أهمية وأهلية الآخرين من رموز الصحة الإسلامية في

بلورة مفهومها وأطرها النظرية والعملية، فقد بدا المسلمون الواعون يخططون لحركة الإسلامية المجال لنشاط إسلامي سياسي وفكري في مختلف بلدان العالم الإسلامي، حتى تحولت الحركة إلى حركات متعددة تختلف في التفاصيل الذهنية أو المفردات التشريعية، أو في النظرة السياسية.

ولكن ذلك كله لم يستطع أن يحرك الواقع الإسلامي الخاضع للسيطرة الاستكبارية، ليأخذ بأسباب الحرية والاستقلال على أساس القاعدة الإسلامية الفكرية السياسية.. بل كان الأمر في ذلك مشدوداً إلى الأفكار الجديدة المطروحة في دائرة التفكير الغربي على مستوى الحركة السياسية. فكنا نرى ثورة قومية هنا وحركة وطنية هناك، وحديثاً عن معارضة ماركسية في مجال آخر، أما الحركة الإسلامية، فإنها تعيش في نطاق الصراع الثقافي، أكثر مما تعيش في ساحة الصراع السياسي، وإذا استطاعت أن تصل إلى بعض مواقع القوة، كان الإعلام الخاضع للغرب يعمل على أن يبعدها عن الواجهة، كما أن أجهزته المخابراتية كانت تعمل على إثارة الفوضى في داخل هذه المواقع لتضعفه من الداخل، وتبعده عن التأثر الحاسم.

وفي هذا الجو القلق الذي كان مفروضاً، أصيبت الحركة الإسلامية ببعض الانكماش، فيما هي المسألة الثورية، وببعض الضعف، فيما هي المسألة السياسية، بحيث أصبحت تمثل الدوائر المحدودة المحاصرة من قبل أجهزة الحكم العميل للغرب فيها، ومن قبل الذهنيات المتغربة التي درست في معاهد الغرب فيما ركزته من المفاهيم التي تفصل بين الدين والدولة، وتنعى على الإسلام تدخله في السياسة، ومن قبل العقليات المتخلفة المتحجرة التي تحصر الإسلام في دائرة العبادة وتبعده عن دائرة الحياة العامة.

وفي خصم التصدي برزت شخصيتان كبيرتان كان لهما الأثر الواضح في

الصحوة الإسلامية، وهما الإمامان روح الله الخميني ومحمد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليهما، إذ مثلا عملاقاً المواجهة الحضارية للهجمات الاستعمارية التي واجهت الأمة الإسلامية وتحدت حضارتها، فقد كانا عملاقي الفكر العميق المربي والهادي للجماهير، وعملاقي الجهادي المر ضد قوى الظلام، وكانا الحب الطاهر كل ما ينتسب للإسلام، والانتظار العامل لتحقيق حكمه في الأرض. لقد انصرف هذان القائدان الكبيران إلى تثبيت دعائم الصحوة الإسلامية المعاصرة من خلال التنظير المتصف بالشمولية والكلية في النظرة، فلم ينظرا إلى أية قضية أو مسألة وفي أي حق غلا في إطارها العام ومن خلال متابعة جذورها وصلاتها والمؤثرات الفاعلة في صياغة الموقف حولها، وربطها بالمسيرة الإنسانية كلها. وتتصف بالعمق، والموسوعية، والبعد الإجتماعي، وتربية العديد من العلماء الواعين والمثقفين الذين انبروا ليبثوا أنوار التربية الإسلامية في جسم الأمة، فضلاً على الحب الإلهي والتفاني في الإسلام. وقد أثرا بما يملكانه من صفات شخصية في أعداد كبيرة من الناس، فقد امتلكا الشجاعة الفائقة في ميدان مواجهة الاستبداد والطاغوت [٤] وتحملا بسبب ذلك الأذى الكبير والذي وصل إلى حد الاعتقال والنفي والقتل بالنسبة للشهيد محمد باقر الصدر. وكانا مثالاً للتسامح وصفاء النفس، والتواضع الفريد، ونكران الذات ومحاسبة النفس ونقدها، واحترام الآخرين، والعطف والرأفة، والزهد والقناعة، والصبر والحلم، والجد في طلب العلم ونشره، والانقطاع في العبادة، والتضحية بالنفس، كل ذلك أهلهما ليكونا في طليعة قادة الصحوة الإسلامية. ويمكن أن نحدد بعض الملامح أو المعالم الرئيسية لمدرستهما بما يأتي: [٥]

١ـ المنهجية القائمة على النزعة المنطقية والوجدانية.

٢ـ النزعة التجديدية والإبداعية.

٣ـ النزعة الشمولية والمسوعية.

٤ـ الدقة والعمق والنضج.

٥ـ النزعة التأسيسية والمستقبلية والواقعية.

٦ـ النزعة الهجومية في نسف أسس الحضارة المادية.

٧ـ الحركية والحيوية المتسمة بالفاعلية والهيمنة والتأثير المستمر

٨ـ النزعة الإنسانية والعالمية والمعاصرة في قوة وسلامة الطرح.

لقد تحققت بفضل هذان القائدان للصحوة الإسلامية ما تحتاجه من قدرات ذاتية تتمثل في قوة القيادة الشخصية والموضوعية، ومهدت الطريق نحو نمو قيادات أخرى كان لها بعض النصيب في الصحوة الإسلامية، وعلى الأخص بعد اشتداد المواجهة مع قوى الاستعمار وأذنابه لاسيما بعد إعدام الشهيد محمد باقر الصدر واستمرار الحرب العراقية ـ الإيرانية وهي الحرب التي تقف وراءها قوى الاستكبار العالمية وأذنابها الذين ارتعدت فرائصهم بانتصار الثورة الإسلامية وتأسيس جمهوريتها في إيران، ولما وضعت الحرب وأذنابها الذين ارتعدت فرائصهم بانتصار الثورة الإسلامية وتأسيس جمهوريتها في إيران، ولما وضعت الحرب أوزارها، وأنتقل الإمام الخميني إلى الرفيق الأعلى، توهم البعض وأوهموا بأن الصحوة الإسلامية ستتوقف عند هذا الحد، لكن إرادة الله كانت هي الأقوى إذ سرعان ما برز قائد لا يقل شأناً في الحفاظ على ثورة الإمام الخميني والمبادئ العالمية فيها وهو الإمام الخامنئي وأننا ومن خلال متابعتنا لمفردات خطابه نلحظ انه استطاع أن يكون القائد المعاصر للصحوة الإسلامية الراهنة بحق ما راح معسكر الطاغوت يتفكك وينهار بسبب رعونة أذنابه واشتداد سواعد أنصار الصحوة وقادتها، وعلى وجه الخصوص في الجمهورية الإسلامية وتمكن أبناء محمد باقر الصدر وكل شهداء

الصحوة الإسلامية في العراق من النجاح في تولي زمام الحكم والسير نحو بناء أنموذجهم الإسلامي المعاصر في الحكم، وتنامي المعارضة الشعبية في البلدان الإسلامية لاسيما العربية منها ونجاحها في إسقاط أكبر الموالين للمشروع الاستعماري الصهيوني في المنطقة مثل أنظمة زين العابدين بن علي في تونس، ومحمد حسني مبارك في مصر، ومعمر القذافي في ليبيا، وترنح النظامين اليمني والبحريني تحت وطأة المظاهرات الشعبية السلمية والتي مل ينفع في قمعها غزو القوات السعودية للبحرين ولا مشروع الإنقاذ الخليجي المدعوم غربياً في اليمن واهتزاز الطغاة في كل مكان، إن هذه الانتصارات حفزت كل مكامن الحقد الغربي الصهيوني فتحركت لتضرب أسس الصحوة مرة أخرى من خلال تنويع أشكال وأبعاد التصدي فكرياً وعملياً، وكنتيجة لذلك تعرضت الصحوة الإسلامية إلى العديد من المشاكل أهمها. (٦)

١ـ مشكلة الأصالة والمعاصرة، فالأصالة تفرض عمقاً اجتهادياً في مصادر الشريعة، والمعاصرة تفرض تفهماً واسعاً لآخر ما أنتجه الفكر البشري من معطيات في إدارة دفة المجتمع.

٢ـ التركة الثقيلة لعصور ما قبل الصحوة بكل ما فيها ن اختلافات ونزعات طائفية وقومية وإقليمية تركت آثارها ورواسبها في الأفكار والنفوس.

٣ـ سهولة اغتيال وتسقيط رموز الصحة وقادتها من قبل الأنظمة الاستبدادية عبر إحاطتهم بتهم وافتراءات تؤثر في تنامي دورها الفاعل في الأمة.

٤ـ استخدام الأعداء لتهمتي الإرهاب والتعصب أو التشدد لإلصاقها بدعاة الصحوة بعد أن قدم تنظيم القاعدة الصورة المشوهة للإسلام ولقياداته.

ويمر العالم الإسلامي على مفترق طرق متطلعاً إلى بناء نهضة على أسس

سليمة، ويبحث عن الطرق التي تدفع بعملية تقدمه، إذ يرى مشدوداً إلى إسلامه، متشبثاً بشخصيته وذاتيته من جهة، ويرى نفسه للعض تصوره[٧] بين حضارتين: حضارة غربية تريد أن تفرض نفوذها وسيطرتها الشاملة في العالم الإسلامي، تريد أن تقطع علاقتها مع كل أصيل فإن الحضارة الإسلامية لا تقبل أن تنصاع لهذه القطيعة لأنها تنشد الكمال والتقدم والاستفادة من التطور العلمي، وتريد أن تبقى مرتبطة كل الارتباط بمفاهيمها في حلبة الصراع فالمفكرون المسلمون الواعون لمسؤولياتهم يدركون الأخطار التي تهدد مصير أمتهم الإسلامية ومصير حضارتهم وقيمهم إن هم انساقوا وراء هذه التيارات الدخيلة عليهم، لذا تركزت دعوات المصلحين إلى الأخذ بأسباب النهوض الحقيقية والاستفادة مما أعطته وتعطيه الحضارة الغربية من ابتكارات وتقدم في ميدان العلم والتكنولوجيا وما إلى ذلك، ولكنهم في الوقت نفسه لا يقبلون أن يتنكروا لذاتيتهم وشخصيتهم وحقيقتهم، عن حقائق دينهم والاستمداد منها والاستمرار في الارتباط بها مثل ما هم مطالبون بالتفتح للاستفادة من النظريات العلمية وتتجاوزه الحياة، ولا يليق به أن يبقى في مؤخرة الركب الحضاري. كما أن على المفكين المسلمين أن يعملوا جاهدين على إجراء تغيير جذري لحياة المجتمع الإسلامي بحيث تتجه الحياة الإجتماعية اتجاهاً إسلامياً صحيحاً متوازناً، فالتغيير المطلوب لحياة مجتمعنا لا يتنكر للتقدم العلمي والتكنولوجي كما لا يتنكر للحقائق التي تزيدنا ارتباطاً بالإسلام وتعاليمه.[٨] ويمثل المشروع الغربي في ظل النظام الدولي الجديد أحد أخطر التحديات للعالم الإسلامي منطلقاً من نزوع الإنسان الغربي للهيمنة والتفوق وإلغاء الآخر ومتكئاً على ما يملكه الغرب من مؤسسات إعلام ذات إمكانيات هائلة ومراكز بحوث متطورة وقوى مادية جبارة وذلك لبسط نفوذه وتحقيق مصالحه في مناطق ترفض التبعية، وكذلك يخشى الغرب من الإسلام الذي يدعو إلى الاستقلال السياسي والحضاري

والاقتصادي. ويمكن إن ندرج من مصادر الخوف الغربي من الإسلام ما يأتي: [٩]

١ ـ عقدة التاريخ الكامنة في الوعي الأوروبي الذي كتبت مفرداته ثقافة نافرة من الإسلام وأهله منذ الحروب الصليبية.

٢ ـ الجهل المطبق بحقائق الإسلام وتعاليمه السمحاء النيرة والمتزامن مع التعصب الديني الذي تنتهجه بعض الدوائر الكنسية.

٣ ـ البحث عن عدو آخر يستثير العزائم والهمم ضده بعد سقوط الاتحاد السوفيتي فكان الترويج للخطر الإسلامي.

٤ ـ الممارسات الخاطئة لبعض المسلمين بحيث لم يعد الغربيون قادرين على التمييز بين الإسلام والممارسات غير المسؤولة التي يقترفها السلمون.

٥ ـ الطبيعة الاستعلائية والاستبدادية للمشروع الحضاري الغربي والنظرة الفوقية للإنسان الأبيض، الذي يرى في نفسه الأفضل والأرقى والترويج لفكرة عدم قدرة المسلمين على تقديم النموذج عملي مقنع على صعيد الصناعة والزراعة والإنتاج والتكنولوجيا.

٦ ـ إسهام بعض الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي في تغذية الغرب بأسباب الخوف من الإسلام، وبذل الجهود في إقناع المسؤولين الغربيين بخطورة الحالة الإسلامية المتنامية وما تمثله تلك الحالة من تهديد جدي لمصالح الغرب ولاستقرار البلدان التي تتنامى فيها الصحوة الإسلامية وبذلك يضمنوا سكوت الآخرين عن انتهاكات حقوق الإنسان في بلدانهم من جهة وديمومة حكمهم من جهة ثانية.

٧ ـ استغاثات المثقفين العلمانيين في البلاد الإسلامية عبر وسائل الإعلام

بالغرب للتدخل في إيقاف الزحف الإسلامي دفاعاً عن الحضارة الغربية المهددة.

وفضلاً عن ما تم ذكره أن قوى الاستكبار العالمي من أن يفلت زمام إعادة بناء المجتمعات الإسلامية وفقاً لما تراه، وبما يؤمن ديمومة مصالحها المشروعة من جانب وغير المشروعة في جانبها الأكبر، لقد قرأ قادة الاستكبار العالمي أن مشروع الصحوة الإسلامية المعاصر تؤسس لنظام اجتماعي من خلال المبادئ التي تتحكم ـ قرآنياً ـ في المجتمع الإسلامي، وتنتظمها العلاقات فيما بين عناصر المجتمع الإنساني والإسلامي، لذلك ناصبوا الصحوة ورموزها وقادتها العداء، ويمكن الإشارة إلى هذه المبادئ بما يأتي: [١٠]

١ـ مبدأ حكومة القيم الرباني (فالمجتمع الإسلامي مجتمع قيمي خاضع لقيم الرسالة)

٢ـ مبدأ الخلافة الإلهية للإنسان والولاية الربانية التي تمثل هذه القيم.

٣ـ مبدأ الكرامة الإنسانية (مبدأ العزة).

٤ـ مبدأ العدالة الاجتماعية.

٥ـ مبدأ الحرية المحدودة بالقيم والمبادئ الرسالية.

٦ـ مبدأ الضمان الاجتماعي .

٧ـ مبدأ التكافل العام.

٨ـ مبدأ التوازن الاجتماعي.

٩ـ مبدأ تكافؤ التكاليف والإمكانات.

١٠ـ مبدأ تكافؤ السعي والحصول على الكمال.

١١ـ مبدأ تكافؤ الحاجة والاستحقاق.

١٢ـ مبدأ الكفاءة في ميدان البذل والعطاء.

١٣ـ مبدأ تحشيد طاقات التنمية.

١٤ـ مبدأ الاستقلال وعدم التبعية.

١٥ـ مبدأ عبثية فصل الدين عن السياسة.

١٦ـ مبدأ التسامح ونبذ التعصب بكل أنواعه ورفض جميع مسوغاته.

لقد أفرزت كل هذه المخاوف إشكاليات عديدة في العالم الإسلامي كان النظام العالمي الجديد مظلة لها ورأس الحربة فيها الولايات المتحدة الأمريكية وأهمها: (١١)

١ ـ محاولة فرض منظومة من القيم الرأسمالية الليبرالية تمثلت باقتصاد السوق ومقولات حقوق الإنسان، والتعددية السياسية، وعدها المعايير الأساسية للصلاح والرشاد، مستغلين فساد الأنظمة السياسية واستبدادها، وعدم قدرتها على الإنجاز، ودعاواها الزائفة في أنها صاحبة الرؤيا المعاصرة في التحديث.

٢ ـ السعي لنزع سلاح العالم الإسلامي، وتعزيز القدرات التسليحية لأعداء المسلمين، ودعمهم سياسياً وإعلامياً واقتصادياً.

٣ ـ تغذية الصراعات الداخلية وإطالة أمدها واستعداد الأنظمة ضد شعوبها، وتأجيج نار الحروب بين البلدان الإسلامية وتحريض بعض الأنظمة ذات النزعة العدوانية ضد جيرانها.

٤ ـ استثمار هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على المنظمة الدولية وقراراتها بحيث صار من السهل جر الأمم المتحدة باتجاه قناعاتها المنطلقة أساساً من المصالح

الاستعمارية والشعور بالاستعلاء.

ويتضح أن الواقع السياسي الذي افرزه النظام العالمي الجديد ميز بين خطين مختلفين ومتقاطعين في عموم الساحة الإسلامية هما:

١ـ تطبيق مشروع مصالحة داخلية ينتهي بقيام وحدة إسلامية شعبية تتسلح معه الجماهير بالوعي لا لكي تحمي نفسها فحسب وإنما لكل تنقل معسكر الضعف والرعب إلى الطرف الآخر.

٢ ـ قيام الأنظمة السياسية والإسلامية والعلماء والحركات السياسية الإسلامية والحوزات العلمية والمنظمات والهيئات الشعبية وكل الجماهير الإسلامية بتبني خيار الأمة في الاستقلال والبناء واستشراف المستقبل المستند إلى قيم الأمة الإسلامية ومبادئها ومنظومتها الاجتماعية والأخلاقية، وإيجاد رقابة شعبية تمارسها الأمة بكل فئاتها إزاء الأنظمة وتدعوها لانتهاج سياسة تتلاءم مع إرادة الأمة بكل ما يعني ذلك من تغيير في طريقة التعامل مع الجماهير واستبدال معادلة إرغام الشعوب على تبني سياسات الأنظمة بمعادلة جديدة قائمة على تقييد الأنظمة ومتبنياتها بتحويل مقولة (جئنا لنبقى) التي تطرحها أغلب الأنظمة إلى شعار (جئنا لنخدم) أو (نبقى بقدر ما نخدم).

إن وحدة الجماهير الإسلامية من شأنها إن تتمخض بالإضافة إلى ما تقدم عن نتائج أساسية مهمة نذكر أهمها: [١٢]

١ـ إنقاذ الأمة من مخاطر الانزلاق في المشارق المذلة التي يراد لها أن تمرر عليها رغم إرادتها، ومن ثمن تفادي النتائج المترتبة على تلك المشاريع التي تستهدف حقوق الأمة ومصالحها وكرامتها، ولو كان للوحدة الإسلامية وجود لما قدر لمهزلة غزة ـ أريحا أن تمثل على الأرض الفلسطينية لتصادر حقوق شعب وإرادة أمة، ولما كان

بإمكان الأنظمة العربية إن تتقاطر على مدريد أو واشنطن لتوقيع معاهدة سلام مذهل مع الكيان الصهيوني، أنست لخطورتها مأساة كامب ديفيد وغطت على سوءة السادات، إن الوحدة الإسلامية الشعبية بمثابة قوة ردع تحول دون تداعي الأنظمة وسقوطها في وهدة التساوم والاستسلام ولذلك، ونظراً لعدم وجود قوة الردع هذه فقد تسابقت الأنظمة وتبارت للحاق بركب الهزيمة والهوان دون أدنى مراعاة لمشاعر الجماهير وأحاسيسها، وراحت تفتح مكاتب تجارية وقنصلية للصهاينة في بلاد المسلمين وتقديم (مبادرات) التطبيع مع كيانهم الغاصب من أجل كسب رضا قوى الاستكبار العالمي، مضحية بمشاعر وتطلعات في انتزاع الحقوق المغتصبة.

٢ ـ تقليص نسبة التفاوت الاقتصادي والثقافي بين شعوب العالم الإسلامي كنتيجة طبيعية للإحساس بالمسؤولية التضامنية بين أبناء الأمة الواحدة، وبما يقضي على الواقع الطبقي المفروض على شعوبنا التي يرفل بعضها في النعيم فيا يتضور البعض جوعاً ويعض وجوده الحرمان المميت.

٣ ـ إيجاد حالة من التكامل على مختلف الأصعدة الزراعية والصناعية والاقتصادية لسد حاجات الأمة وتوطيد مبدأ الاكتفاء الذاتي من خلال سوق إسلامية مشتركة ورأسمال مشترك يجنب الأمة شراك الاحتكارات الدولية، وابتزاز القوى الكبرى التي تحولت رغيف الخبز إلى مادة استراتيجية في مجال الابتزاز والقهر السياسي وفرض الشروط على الشعوب.

٤ ـ ولادة مؤسسات ثقافية تستجيب لحاجات ومتطلباتها وتحصنها من عواصف الغزو الثقافي والاختراق الحضاري شريطة إن تدار تلك المؤسسات من قبل حملة الهم وأصحاب الوجدان الحر، وليس من قبل موظفين حكوميين يرتزقون في تلك المؤسسات ويلتزمون بالخط الذي ترسمه الحكومات وفقاً لمصالحها وأهوائها ورؤاها.

٥ ـ وأخيراً وليس آخراً تنقية الأجواء مما يعكرها من تعصب سواء أكان قومياً أم مذهبياً أم إقليمياً والانطلاق من فهم للمبادئ التي تصلح بالأساس أن تكون قواسم مشتركة للفهم والعمل، ومن ثم الارتفاع إلى مستوى التحدي وإلى مستوى الأحداث والطموح، وترجمة ذلك من خلال انبثاق أمانة عمل تتفرع عنها لجان عمل تجعل الأهداف العليا والقواسم المشتركة والتفاهم والإيجابية خطوط حمراء لا يمكن بحال من الأحوال تجاوزها أو التخلي عنها مهما كانت الضرورة والتنوعات وبالشكل الذي يوسع الأفق ليستوعب كل الرؤى والألوان المختلفة فيضمها في طيف إسلامي متجانس يجعل مرضاة الله ومصلحة الإسلام والأمة الإسلامية فوق كل حساب ويتعامل مع الواقع بروح مسؤولة وبرؤية موضوعية شاملة تحتضن كل ما لا يتنافى وروح الشريعة ومكونات الشخصية الحضارية والثقافية للأمة، ومسؤولية كهذه تحتاج إلى طول نفس وبرنامج عمل تتعاضد على تحقيق مفرداته وتنفيذ بنوده أجيال من المخلصين لأنه ليس فورة انفعال ولا ردة فعل وإنما هو مشروع يستدعي توظيف كل القوى والخيرات والإمكانات وتوفير كل شروط النجاح والديمومة والبقاء.

الهوامش:

(١) آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله. الصحوة الإسلامية إشكالات ومواقف وتطلعات، مجلة المنطلق العدد الرابع والخمسون، شوال ١٤٠٩هـ ـ أيار ١٩٨٩م

(٢) للمزيد من التفصيلات أنظر المصدر نفسه

(٣) قارن مع كتاب الشهيد مطهري الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري دراسة وتحليل والمنشور على الموقع *www.al-kawthar.com/maktaba*، وفتحي يكن. العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري.

(٤) آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، الصحوة والحركة الإسلامية وأعراضها السلبية ص٧٦-٨٦.

(٥) د. عبد الله حاجي الصادقي، فلسفة النظام السياسي في الإسلام، ترجمة ومراجعة مركز الهدف للدراسات، تعريب السيد حسن علي مطر الهاشمي، منشورات رشيد ٢٠١٠، ص١٣٩-٢٢٨؛ ومنذر الحكيم، مجتمعنا في فكر وتراث الشهيد محمد باقر الصدر،مركز الدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٩ ص١٧ وما بعدها

(٦) الإمام السيد علي الخامنئي، حاكمية الإسلام بين النظرية والتطبيق، الجزء الأول جوهر النظام ومبانيه تهذيب وتعليق السيد علي عاشور، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت ٢٠٠٦؛ ومحمد عبد الكريم حسن العتوم، الأنموذج الإسلامي للتربية السياسية المعاصرة، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران ٢٠١٠، ص٨٩ ـ ١٣٥

(٧) فتحي يكن ـ المصدر السابق وكتاب التربية الإسلامية، وبخصوص تحديات ما بعد الإطاحة بالأنظمة الفاسدة،أنظر: *Joost Hiltermann، نائب مدير برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجموعة الأزمات الدولية* الشرق الاوسط ١١ اكتوبر٢٠١١، وسلسلة مقالات محمد سيف الدولة بعنوان السياسات الأمريكية لاحتواء الثورة المصرية على الموقع *Seif_eldawla@hotmail.com*، و سمير كرم، الخطر الغربي على الثورة المصرية العدد ١١٩٠٨في ٢٠١١/٨/١٠ وعمرو عبد العاطي : تحولات النظام الدولي ومستقبل الهيمنة الأمريكية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٣٨ يناير ٢٠١١

(٨) آية الله محمد حسين فضل الله ـ المصدر السابق

(٩) الإمام الخامنئي، الغزو الثقافي المقدمات والخلفيات التأريخية، مؤسسة دار الولاية،بيروت ١٩٩٩ص١٦١-٢٤٩

(١٠) آية الله الشيخ محمد علي التسخيري،حول الصحوة الإسلامية، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران ٢٠١١، ص١٦٣-١٩١

(١١)الإمام الخامنئي، حاكمية الإسلام، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص١١ ـ ١٧٨

(١٢) الإمام الخامنئي، الغزو الثقافي، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٥ ـ ٢٤٩

(١٣) للمزيد من التفصيلات أنظر:الشيخ محمد علي التسخيري، حول الصحوة الإسلامية، مصدر سبق ذكره؛ والدكتور علي أكبر ولايتي، الصحوة الإسلامية، من إصدارات سكرتارية المؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية المنعقد في طهران من١٧- ١٨أيلول ٢٠١١.

الصحوة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي

نزيهة صالح

المقدمة

بعد سقوط الإتحاد السوفياتي، الذي كان يُلقب بالحتمية التي لا تسقط، ركزت المحاولات الفكرية لتحويل الليبرالية إلى أيديولوجيا بهدف استمرار الفكر الليبرالي خوفا من سقوطه كما حصل للمنظومة الإشتراكية. فبحث الفكر الرأسمالي عن حتمية تحافظ على وجوده فوجد العولمة، ولم تكن هذه المحاولات من إبداعات الرأسماليين، بل هم استنبطوها من فكرة الدين، والدين الإسلامي بالتحديد، بعد أن لمسوا كيف أن هذا الدين استمر رغم كل الظروف التاريخية الضاغطة. ولمسوا بالإثبات التاريخي كيف أن الإسلام هو الإيديولوجيا التي تتجدد في كل عصر، ويصبح شأنه أكبر مع كل تجديد، ولمسوا أيضا أن هذا الدين ليس لزمان ومكان محددين بل هو لكل زمان ومكان، لذلك كان ينتشر في العالم كأسرع عقيدة تنتشر في كافة أنحاء المعمورة، فهو ينمو بمعدل ٢.٩ بالمئة سنويا[1]. لهذا يخشى الغرب الإسلام ويخشى أن يكون الإسلام هو البديل الأيديولوجي لليبرالية. وباسم الواقعية ينظّر صناع القرار الليبراليون للعالم كله لركوب قطار العولمة كتابع وليس

كمشارك. وهذا بالفعل ما أصاب العالم من تبعية، بما فيها العالم الإسلامي الذي ضيّع حكامه التماثيل المصنوعة من الغرب هويته.

إلا أن الإسلام بما أنه نظام حي مستمر، وبمشيئة إلهية ذو ميزة عالمية، يخاطب كل تفاصيل الحياة، يقف الآن في وجه الإيديولوجيا الغربية ليصوب المسار التاريخي البشري، ويصحح أخطاء من لم يفقهوا التجارب والعبر التاريخية القديمة والمعاصرة. حتى أن المجتمعات في الغرب بدأت تدرك التجارب، وهي تعاني اليوم من العولمة لذلك نرى أن هناك دعوة في الغرب إلى إصلاح النظام المالي الدولي، وطرح بديل يجمع بين الإشتراكية والرأسمالية في محاولة لإنقاذ الرأسمالية من نفسها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إفلاس النظام الرأسمالي، مما يعني أن الإسلام هو النموذج الحتمي المتبقي للبشرية. إلا أن هذا النموذج الحتمي الذي يتعرض للهيمنة والسيطرة الغربية لا بد من آليات لتحريكه وتنشيطه، فما الذي يحركه؟ هل الصحوة الإسلامية التي نشهدها الآن هي المحرك الصائب؟

الصحوة الإسلامية التي نشهدها في العالم الإسلامي ليست وليدة ساعتها، ومن خلال بعض الإستقراء التاريخي المعاصر، يمكن أن نرصد لحظات بدء تحريكها إلى حين ولادتها، ونرى بذلك أنها قد بدأت تتفاعل لدى الشعوب الإسلامية في بداية الثمانينات من القرن العشرين عندما ظهر من يذكّر المسلمين بالعودة إلى الإسلام وإلى تعاليمه، وهو الإمام الخميني (قدس)، الذي أعاد إثباب نظرية الإسلام على أنها هي الأسلم في التطبيق السياسي والإقتصادي والثقافي والإجتماعي. وهنا أصبح الإسلام يشكل تهديدا للرأسمالية بعد سقوط الإتحاد السوفياتي. فصنعت من الإسلام عدوا ووضعته في خانة التخلف والوقوف في وجه الحضارة والتقدم. ونجحت في تسريب هذه الأفكار في البلاد الإسلامية، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة والحجاب وربطه بالتحضر[٢]، وخاصة وأن الحكام ينفذون أوامر الولايات المتحدة الأميركية التي هي

رأس الرأسمالية والإمبريالية. فدخلت العولمة سريعا مع الهجمة العسكرية على بلاد المسلمين من خلال الحملة الدعاية العالمية عن ما يسمونه «الإرهاب الإسلامي»، وأن الولايات المتحدة هي التي ستنشر الديمقراطية في العالم في عولمة مخادعة. بينما كان شعار الإمام الخميني: «لا شرقية ولا غربية، جمهورية إسلامية» و «يا مستضعفي العالم اتحدوا». وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاما على إنتصار الثورة الإسلامية في إيران، ظهرت الصحوة التي تنبأ بها الإمام الخميني، بعد أن لمست الشعوب الإسلامية الفرق الشاسع في التطبيقات، بعلمها أن الإسلام جاء للعالم في عملية تفاعل فكري حر واختياري بين الحضارات المتعددة، فيقوم الإنسان بالإختيار «لا إكراه في الدين»[٣] والدين هنا ينسحب على كل التفاصيل أي لا إكراه في الإقتصاد والسياسة والثقافة. وكانت إيران والسيد القائد الخامنئي حضنا لهذه الصحوة تأكيدا على الإيمان بالوعد الإلهي بنصرة الإسلام.

الصحوة الإسلامية كما يراها السيد القائد الخامنئي:

لا شك أن التجاذبات التي تلحق بالصحوة الإسلامية حول تبني المدارس الفكرية المختلفة منها الإسلام ومنها الليبرالية تلحق الأذى بالصحوة، وهذا ما تعمل عليه الولايات المتحدة الأميركية، من أجل إبعاد الصحوة الإسلامية عن الطريق الصحيح من أجل وضع اليد عليها والتحكم بها، كي لا تكون الخسارة فادحة بحق نظامها الرأسمالي بعد أن تم ربط البلاد الإسلامية بالمراكز الرأسمالية عبر الإستعمار الواضح قديما، والإستعمار المقنع حديثا. ونهب خيرات الأمة الإسلامية ومن ثم إظهار التكنولوجيا الحديثة في الإعلام الغربي على أنها مسألة تقدم وتخلف. وتحكّم الرأسمالية بآليات الحكم من خلال فرض نخب حاكمة على الشعب في محاولة لكي وعي الشعوب وإبعادها عن الإختيار الذي هو من أخلاقيات الإسلام ومخالف لعولمة الإمبريالية.

إنطلاقا مما تقدم كان لابد من راع لهذه الصحوة، كي لا تقع في براثن المتربصين بها، ولأن الجمهورية الإسلامية في إيران أضحت هي الأنموذج الذي يقتدى به، كانت رعاية السيد القائد الخامنئي للمؤتمر الأول للصحوة الذي عُقد في طهران في السابع عشر والثامن عشر من شهر سبتمبر ايلول ٢٠١١، وأوضح سماحة القائد في مقدمة خطابه في إفتتاحية المؤتمر »إن ما جمعنا هنا هو الصحوة الإسلامية، أعني حالة النهوض و الوعي في الأمة الإسلامية التي أدت إلى تحوّل كبير بين شعوب المنطقة» هذا التحول الكبير الذي اشار إليه السيد القائد كان فعل قوة في الحضور المؤلف من أكثر من ألف مفكر إسلامي من ثمانين دولة حول العالم. للتمهيد لتبادل وجهات النظر بين مفكري العالم الإسلامي حول الصحوة الإسلامية، والعمل على تشكيل أمانة عامة لمتابعة قرارات المؤتمر وإستمرار مثل هذه الملتقيات والمشاورات بمختلف أنواعها، ومناقشة أهداف وتداعيات الصحوة الإسلامية ومستقبلها، وترسيخ أسسها ومفاهيمها ودور الإشخاص المؤثرين فيها، وكذلك دراسة المخاطر التي تهددها، من خلال محاولات الغرب منع إنتشارها، كما يبدو من تحركات أميركا وحلف شمال الأطلسي (الناتو) وتركيز مساعي الغرب في الدول الإسلامية للتأثير على العالم الإسلامي والنيل من صحوته[٤].

يعتبر السيد القائد من خلال خطبه أن «التطورات الاجتماعية الكبرى تستند دائماً الى خلفية تاريخية و حضارية، وهي حصيلة تراكم معرفي و تجارب طويلة، وفي الأعوام المائة و الخمسين الماضية كان حضور الشخصيات الفكرية والجهادية الكبيرة والفاعلة الإسلامية في مصر و العراق و إيران و الهند و البلدان الأخرى الآسيوية و الأفريقية مقدمة تمهيدية لهذا الوضع الحالي في دنيا الإسلام»[٥].

في كلام السيد القائد الهدف واضح وهو الإسلام، الإسلام الذي يركز على البعد الإنساني في حركة الكون ككل. وكما يدور الحجاج القادمون من كل أنحاء

العالم في الكعبة أثناء طواف الحج في حركة واحدة تمثل حركة الإنسان نحو الله بما فيه منفعة للعالمين. وثقة السيد القائد بالشعوب المسلمة كانت واضحة من خلال خطبه وكلماته ليس فقط خلال المؤتمر، بل كان كلما سنحت الفرصة كان يُظهر إعجابه بالشعوب الإسلامية التي تتحرك لتنفض عنها غبار الإستتباع للغرب المتمثل بالحكام الجائرين. كما أن خطابه الوجداني كان واضحا في مؤتمر الصحوة عندما تكلم عن مصر العزيزة، وعن ثقته بشعب مصر الصابر على الظلم بقوله انه كان يراهم في لسان حال أبي الفراس الحمداني بقوله:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى عليك نهي ولا أمر

ولكن بعد ثورة الشعب المصري، فهم ما كان الشعب المصري عليه وخاطبه على لسان أبي فراس الحمداني ايضا مجيبا على الأبيات الأولى بالأبيات المكملة التالية:

بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يُذاع له سر

ويصف ما جرى في مصر بالمهم للغاية على صعيد تطورات المنطقة، بقوله أن القاعدة الصهيوأميركية القوية في مصر قد انهارت الان، ولذلك فان أميركا وبعض الدول التابعة لها تركز مساعيها لتغيير المسار الحالي نحو اتجاهات اخرى[٦].

ثقة السيد القائد بالشعوب الإسلامية وبنجاحها في صحوتها واضحة من خلال خطبه وتصريحاته في كل مناسبة، ويمكن أن نفندها كما يصفها هو كالتالي:

١ـ ثقته بالحضور الواقعي والشمولي للشعوب في ميدان العمل وساحات النضال والجهاد

٢ـ قدرة الشعوب على إحياء وتجديد العزة والكرامة الوطنية التي انتُهكت على يد الهيمنة الدكتاتورية للحكام الفاسدين و السلطة السياسية لأمريكا والغرب

٣ـ العمق العقائدي والعاطفي للشعوب المتمثلة بالإسلام

٤ـ قدرة الشعوب الإسلامية على الصمود أمام النفوذ والهيمنة الغربية التي أساءت لهذه الشعوب لعقود من الزمن

٥ـ عدم تهاون الشعوب الإسلامية مع الإحتلال الصهيوني رغم تهاون حكامهم، بل بقيت قضية القدس في قلب الأمة الإسلامية، إضافة إلى عدم التطبيع مع إسرائيل من قبل الشعب حتى في الدول التي تربطها علاقة مع إسرائيل، ومقاومة المحتل بوسائل وطرق متعددة

٦ـ ثقته بأن الشعوب الإسلامية تنهج نهج القرآن، وتدرك النصرة الإلهية، «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». وما حصل من صحوات هو من حتمية الوعود الإلهية في القرآن الكريم. والشعوب التي نزلت إلى ساحة نصرة دين الله من خلال شعار الله أكبر وصلاة الجمعة والجماعة، هي لتنشد نصرة أمة دين الله على الأرض[٧].

التحديات التي تواجه الصحوة

في موازاة الثقة التي يبديها السيد القائد تجاه الصحوة الإسلامية، هناك تحديات تواجه هذه الصحوة، وأبرز هذه التحديات هي قدرة الصحوات على معالجة المشكلات الآنية التي تقف في وجهها. وكما كانت الثورة الإسلامية في إيران مؤثرة في الصحوات الحالية، فكذلك ستكون هذه الصحوات دليلا على تطبيق تعاليم الإسلام في العالم ككل.

تعاني الصحوة الإسلامية الآن من تدخل الغرب في مصيرها، فالغرب يدرك أن الدين لدى هذه الشعوب هو الحاجز الكبير الذي يقف في وجهه، وها هي

الشعوب الإسلامية نهضت وحققت حلم الأجيال السابقة واللاحقة. كما أن الصحوة الإسلامية تواجه تحدي آخر وهو في وضع إستراتيجيات تربوية وإعلامية لنهضة الأمة الإسلامية من أجل تحقيق عدالة الإسلام وتحقيق السيادة الفكرية للشعوب الإسلامية من خلال الإجتماع على ثقافة إسلامية موحدة تواجه النظام الثقافي الآحادي الجانب الذي فرضه الغرب مهيمنا على ثقافات العالم الإسلامي من خلاله. لذا يرى السيد القائد أن الغرب سيحاول أن يلتف على الصحوات الإسلامية ليمنعها من تحقيق ثقافة خاصة بالعالم الإسلامي تكون أنموذجا عالميا يُحتذى به. كما ويسعى الغرب دائما لتعميق الإستتباع الثقافي والحضاري بشكل عام، وإلغاء الهوية والعمل على التفرقة والتشتيت الثقافي، وبالتالي إيصال الشعوب إلى لا إنتماء عدا الإنتماء إليه[٨]. ويثق السيد القائد بالممانعة الثقافية لدى الشعوب الإسلامية التي ستكون عبر مقاومة السيطرة الثقافية الغربية عن طريق استعمال الأدوات عينها، من خلال إمكانية الإستفادة من نظريات علم الإجتماع الثقافي التي تؤكد على أن فعل العدوان الثقافي غالبا ما يستنهض نقيضه، وهذا نوع من أنواع الممانعة الثقافية[٩]. مع الإستفادة من التقنية العصرية لأنها ملك عالمي[١٠]. فالمعركة مع الغرب وأدواته معركة شاملة ولا يمكن لنا أن نحصرها فقط في الجانب الثقافي[١١]، لأنه على الرغم من وجود الصحوة الإسلامية التي نعيش بركاتها فإنها تواجه إمتحانا ليس سهلا في مدى إستعدادها الإلتزام التام بمنهج الإسلام، ولا زلت بحاجة إلى تأكيد شخصيتها في مواجهة التحديات الجادة، كي لا يكون هناك وضوح في الرؤية، وتثبيتا للمفاهيم، لحمايتها مما يُزرع حولها من أفكار وما يفترى عليها من تجنيات. وعلى المسلمين كافة العمل على تنقية المفاهيم للنهوض بالأمة وعدم الوقوع في الضبابية. أما التقوقع والخوف على المصير فهي أمور لا تتفق مع رسالة الإسلام[١٢].

كنا مستعمرين من قبل الغرب، ولا زال الإستعمار يطمع ببلادنا، ولهذا

يدرك مخاطر الصحوة الإسلامية على مشروعه، مما جعله يكثف الدراسات الإستراتيجية، ويرسم الخطط لوقف هذه الصحوات ويشوهها. وابراز الأفكار النافرة مثل الإستقلالية والنهضوية على شاكلة الأنموذج الغربي عبر بعض المثقفين، الذين ينقلون أفكار المشاريع الغربية من الثقافة الغربية، من أجل تطبيقها في بلادنا دون الأخذ بعين الإعتبار إختلاف البيئة والعادات والعقلية وإمكانية التطبيق. وهناك بعض علماء الإجتماع يدعون إلى دراسة علم إجتماع المجتمعات التي تحصل فيه الصحوات[١٣]، كفرع جديد يدخل في مجال علم الإجتماع.

وفيما يتعلق بالتحدي الذي تواجهه الصحوات الإسلامية من خلال التدخل المباشر غير الثقافي، يرى السيد القائد في ليبيا خير دليل على ما يحصل من تدخل لقوى الناتو المقلق حيال الأوضاع في ليبيا، ويؤكد أن السياسات الغربية في ليبيا ماكرة وتحاول استغلال انتفاضة الشعب الليبي للهيمنة على الموارد النفطية في هذا البلد، وتثبيت وجوده في ليبيا كنقطة انطلاق له في منطقة شمال أفريقيا ككماشة يضم فيها أيضا مصر وتونس[١٤]. ولإبقاء ليبيا كبلد ضعيف لا حول له ولا قوة له، فليبيا بلد مهم ينعم بمصادر نفطية هائلة، كما أنه قريب من أوروبا ولذلك يريد الغرب إضعاف هذا البلد من خلال إثارة الحرب الأهلية لكي يتمكن من الهيمنة عليه في المستقبل بشكل مباشر أو غير مباشر، كما أن ما يجري في ليبيا مماثل للوضع في اليمن. أما فيما يتعلق بالبحرين فلا يفوت السيد القائد مناسبة إلا ويذكر بمظلومية أهل البحرين ومنعهم من تحقيق صحوتهم، وما يحصل هناك هو خير دليل على تحكم الغرب بالحكام، ومحاولاته منع الشعوب الإسلامية من تحقيق صحوتهم التي توصلهم إلى حكم صائب وسليم يعيش فيه الإنسان بكرامة.

الكلام عن الصحوة الإسلامية في نظر السيد القائد هو ليس كلام عن مفهوم لا يقبل التأويل أو التفسير، بل هو حديث عن واقع ملأ الدنيا وشغل الناس، وفجّر

الثورات الكبرى وأسقط عناصر خطرة في جبهة الأعداء و أخرجهم من الساحة. و مع ذلك ينصح بالحذر لأن الساحة لا تزال هشّة و تحتاج إلى بلورة الأهداف النهائية من اجل الوصول إلى تحقيقها[١٥]. وفي هذا ينصح السيد القائد الصحوات بالبعد عن المخاطر التي قد تؤثر في نجاحها ومنها:

١ـ الإبتعاد عن الغرور والشعور بأن سقوط الحاكم العميل و الفاسد والديكتاتوري هو نهاية الطريق. وعدم الارتخاء والغرق في نشوة النصر[١٦]

٢ـ عدم الوقوع في فخ تسليم مسؤولية الحكم لمن لديهم التزامات مع أميركا والغرب، لأن الغرب يسعى بعد سقوط أصنامه التابعة له إلى أن يحافظ على أصل النظام والإمساك بمفاصل القوة في النظام، بأن يضع رأساً آخرعلى جسم النظام، وبذلك يواصل فرض سيطرته. فإذا استطاع الاستكبار العالمي وزعماء الهيمنة والصهيونية العالمية بما فى ذلك النظام الأمريكي المستكبر الظالم ركوب هذه الأمواج وإدارة المشهد فلا مراء أن العالم الإسلامي سيبقى يعاني لعشرات من الأعوام المقبلة من مشكلات كبيرة[١٧].

٣ـ الإبتعاد عن النماذج العلمانية والليبرالية الغربية، أو القومية المتطرفة، أو الإتجاهات اليسارية والماركسية في تشكيل الحكومات الجديدة[١٨]

٤ـ إعادة قراءة أصول ومبادئ الثورة بشكل مستمر، وتنقيح الشعارات والطروحات لتتوافق في التطبيق مع أصول الإسلام و محكماته، وتدوين هذه المبادئ وعدم السماح للغرب بالتدخل في وضع السياسات لأن الإنحراف في الثورات يبدأ من الإنحراف في الشعارات والأهداف[١٩].

٥ـ الإبتعاد عن التمييز القومي والعنصري و المذهبي، ورفض الصهيونية رفضاً صريحاً[٢٠]

٦ـ مواجهة التكفيريين، وإناطة هذا الواجب المهم لرجال الدين المسؤولين عن التبليغ الدينى، فيكون أفضل أسلوب للتبليغ هو معرفة المتلقي وإعداد الأفكار و الأشياء التي يحتاجها التبليغ و بلغة العصر[٢١]

مستقبل الشعوب الإسلامية:

الصحوة الإسلامية هي مشروع نهضوي حضاري يرتكز على الإسلام في دائرة الواقعية العالمية. وعندما كان الحكم للإسلام وإنتشر في بلاد غير المسلمين لم يرغم الأقليات غير المسلمة على ترك خصوصيتها الثقافية، بما فيها إحتفاظها بدينها ومعتقدها كما حصل مع النصارى واليهود الذين احتفظوا بهويتهم الثقافية المستقلة رغم مرور زمن طويل وهم يعيشون في بلاد المسلمين وتحت حكم الدولة المسلمة قديما وحديثا. بينما المسلمون في بلاد الغرب يتعرضون للكثير من الضغوط لتغيير هويتهم. ضغوطات علنية وواضحة كما نراها في منع النساء من إرتداء الحجاب واللباس الإسلامي. وأكثر الدول التي تدعي الديمقراطية والعلمانية وتدور في فلك إمبرالية الرأسمالية وعولمتها نراها أشد ضغطا على المسلمين لديها في محاولة لإلغاء ثقافته وخصوصية المسلمين، وفرض لون واحد على كافة البشرية، حتى داخل المجتمعات المختلطة.

يخاطب السيد القائد شعوب الصحوة ويدعوهم إلى اعتماد الإسلام كإيديولوجيا منظمة ومتماسكة، تمثل العدل السياسي والإجتماعي في شريعته ومبادئه. فالإسلام يتمتع بجاذبية عالمية بحيث يمكن أن يصل إلى كافة الجنس البشري، وهذا ما يشكل خطورة على الغرب ومدارسه الفكرية المادية. من هنا كان على الغرب أن يبتدع أفكارا لاستهداف الإسلام وصحوته وشل حركته ومحاصرته باسم الأصولية والأرهاب، واعتبر الإسلام انه هو العدو الحضاري للغرب.

ويفخر السيد القائد بأن المنطقة تشهد صحوة إسلامية نتيجة عظمة تواجد الجماهير في الساحات، ويعرب السيد الخامنئي في كل مناسبة عن ارتياحه لانتشار الشعارات والمطالب الاسلامية بين مختلف الشعوب الاسلامية معتبرا إياه باعثا لنشاط الامة وحيويتها. ويحمد الله تعالى لانه بفضله وبفضل ما أنعم علينا من ميزات المعارف القرآنية، نجد واينما ذهبنا في هذه الأيام أن الشعارات الاسلامية والقرآنية أكثر نفوذا وتأثيرا في الشعوب، على الرغم من الإختراق الثقافي الذي يسعى إليه الغرب دائما[٢٢]. ويعود بالتاريخ إلى ثلاثة عقود ماضية حيث أثبت الشعب الإيراني عظمته وإقتداره وتمكنه من إيجاد تحول في مسار تاريخ المنطقة والعالم، ويرى أن شعوب المنطقة نزلت إلى الساحة ومن خلال حضورها القوي والفعال الذي فكك العقد المستعصية. فمن كان يتصور ان عملاء أميركا والصهيونية في المنطقة سوف يتساقطون واحدا تلو الآخر. ويرى أيضا أن تطورات المنطقة هي بداية لطريق طويل داعيا الشعوب في مصر وليبيا وتونس واليمن وسائر الشعوب الى التحلي بالوعي ازاء ركوب الموجة واستغلال الظروف من قبل قوى الهيمنة[٢٣].

إن ما شغل بال الغرب وجعله يخاف الإسلام أكثر من أي ثقافة أخرى على الرغم من وجود أديان، هو أن الإسلام دين متطور عصري ولكل زمان ومكان. فالإسلام يستفيد من التطور العلمي ويستخدمه، وقد كان واضحا كيف أن الإسلام قد إنسجم مع ثورة الإتصالات التي ساهمت في نشر الإسلام في العالم. ولأن الغرب يعلن أن الإسلام هو دين التخلف لا يناسبه أن يرى الإسلام يركب طور التطور العلمي والتكنولوجي. كما ويؤكد السيد القائد في عرضه للتطور العلمي في الجمهورية الإسلامية في إيران، حيث هي الأنموذج الإسلامي في التطور العلمي والمتقدم في كافة الميادين. رغم أن الغرب يتهم إيران بالتخلف الإسلامي ولكنها صدمته وأثبتت له بأن الإسلام يحث على العلم، ووصول إيران إلى صف الدول

المتقدمة، ودعوتها العالم كله للحاق بها ومشاركتها بما توصلت إليه من علم يعارضه الغرب، لأنه يخاف من وصول الإسلام إلى نادي التطور العلمي والتكنولوجيِ. ويركز السيد الخامنئي على دور الشعب وخاصة دور الشباب في مجال التقدم العلمي و التقني فى البلاد[٢٤]، مما ساهم في تقدم إيران رغم الهجمة الغربية والحصار المفروض عليها، وها هي تدخل اليوم النادي العلمي وحتى النووي الممنوع عن دول العالم الثالث بما فيها الدول العربية التي يتمتع معظمها بالثراء. طرح السيد القائد لهذه المسألة هو كي تكون إيران أنموذجا للصحوات. وتحريك الأمة الإسلامية لإستعادة الثقة بالنفس، وأنها يمكن لها أن تنجح بإمكانياتها الذاتية. ومن خلال استشرافه المستقبل للصحوات الإسلامية يعتبر أن عصر النهضة الإسلامية قد بدأ وأن أمواج النزوع إلى الإسلام فى العالم يعود إلى ثلاثة أطوار:

١ـ الموجة الأولى للنزوع نحو الإسلام إنطلقت تزامناً مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران

٢ـ تكونت الموجة الثانية بعد انهيار النظام الماركسي

٣ـ التحركات الشعبية الأخيرة فى المنطقة و يأس الشعوب الغربية من النظام الرأسمالى هي بمثابة الموجة الثالثة[٢٥]

يعتبر السيد القائد ان الصحوة الاسلامية المنتشرة حاليا في المنطقة والازمة الاقتصادية الغربية التي يعاني منها الغرب الى جانب تنامي التيارات المتشددة في الغرب، هي أحداث غير مسبوقة منذ انتصار الثورة الاسلامية في إيران لغاية الآن، وهو حدث عظيم يؤكد عليه في كل مناسبة، ويؤكد أن أبعاد ما جرى في مصر وتونس وما يجري في اليمن لا يمكن التكهن بها، وأن تداعياتها ستتوضح في المستقبل. ويرى أن وضع مبارك في قفص الإتهام ومحاكمته له دلالاته الكبيرة[٢٦]،

وقد فاجأت امريكا واوروبا والصهاينة. لذا فجميع مساعي القوى الاستكبارية تتمركز حاليا على احتواء تطورات المنطقة. إلا أنه يثق بالصحوة الاسلامية التي لازالت تواصل تقدمها ولن تعود الى الوراء. فهذه الحركة برأيه ستكون لصالح شعوب المنطقة. ولكن عليهم التحلي بالوعي والحذر من غدر العدو المتربص بهم لحرف الصحوة عن المسار الصحيح[٢٧].

الصدى العالمي للصحوة الإسلامية

كما كان للصحوة الإسلامية شعاراتها التي ترددت بالسلوك الذي تبناه الشباب في الحضور القوي في الشارع، وكان أهمها شعار: « الشعب يريد إسقاط النظام» فإن الشعوب غير الإسلامية التي تعاني من جشع الإمبريالية والشركات الكبرى المتحكمة بالإقتصاد العالمي قد استقت من الصحوة الإسلامية أفكار للإعتراض على سياسات تفقير ٩٩٪ من الشعب وإنحصار الثروة ب١٪ من الأغنياء، وصنعت شعارها الخاص «إحتلوا وول ستريت» فتشهد أميركا في هذه الأيام احتجاجات لافتة يقمعها البوليس بشدة ويعتقل المشاركين فيها. وهنا يلفت السيد القائد كيف أن هذه الشعوب قد تحركت بوحي من تحرك الصحوة في المنطقة الإسلامية، ويعتبر أن التطورات الأخيرة فى المنطقة و نهضة «وال ستريت» فى أمريكا أنها التجلي الأصلي للتحركات الأخيرة فى مصر و تونس و ليبيا و البحرين و اليمن و سائر المناطق وهي هزيمة سياسات أمريكا، وهي قضية مهمة رغم محاولة الأميركيين التقليل من شأنها من خلال صمت وسائل الإعلام وأدعياء حرية التعبير عن الرأي في أميركا من إعلاميين وساسيين حول نهضة (وول ستريت) المعارضة، وتعاملوا معها بشدة وأفصحوا عن الوجه الحقيقي لحرية التعبير عن الرأي، وحماية حقوق الإنسان، وحماية حرية التجمعات في نظام الرأسمالية والليبرالية الديمقراطية[٢٨].

الخاتمة:

يكرر السيد القائد في خطبه دائما أن ما يبذله الأميركيين من جهود للسيطرة على تطورات المنطقة الإسلامية سيبوء بالفشل لأن شعوب المنطقة استيقظت ولن تجدي السياسات الإستكبارية شيئا. وأن خشية امريكا والصهاينة من تحول النظام الاسلامي الى انموذج يحتذى به من قبل شعوب المنطقة كما يظهره الصهاينة وامريكا في دعاياتهم ووسائل اعلامهم في انكار هذا الموضوع والتوجهات الاسلامية لشعوب المنطقة، فانهم لا يستطيعون تغيير الحقائق الراهنة والحقيقية. واللافت في هذه التطورات هو حضور الجماهير الشعبية بتوجهاتها التوحيدية والالهية بالمعنى الحقيقي للكلمة، وان مرحلة جديدة بدات في المنطقة والعالم. ويعتبر السيد القائد الخامنئي أن واجب الأمة الإسلامية و خصوصاً النخبة السياسية و الثقافية فى العالم الإسلامي الحفاظ على الإنجاز، واليوم هو بوم الامتحان الكبير للبلدان و الشعوب الإسلامية فالشعوب المسلمة تعرفت على قدراتها المذهلة وفاعليتها. والانتفاضات الشعبية في المنطقة هي بداية تطور أساسي في الدول الاسلامية والمنطقة، على أمل تتشكيل ائتلاف اسلامي قوي في المستقبل القريب[٢٩]. لأن الثورات في المنطقة تتسم بطابع الإسلامية والشعبية ومناهضتها لاميركا والصهيونية، هذه السمات واضحة في كافة الثورات لاسيما الثورة اللامعة للشعب المصري، وعليهم التحلي باليقظة حيال تحركات الغرب. والإنتباه إلى أن المساعدات الامريكية هي احدى الطرق للهيمنة على الشعوب وشعوب المنطقة لاسيما الشعب المصري بتراثه الاسلامي الثقافي الثري، فنبغي أن يتحلي بالدقة لكي لا يعود العدو الذي خرج من الباب الى البيت من النافذة[٣٠]. بعد ان تفاجأ ويحاول إحتواء تطورات المنطقة ولكن الصحوة بنظر السيد القائد في نهاية الطريق ستكون لصالح الشعوب لن تعود إلى الوراء على الرغم من تربص العدو بها[٣١].

تأثير الصحوة الإسلامية العالمي بدأ يظهر، وقد لمح السيد القائد إلى ذلك عندما قال أن الموجة التالية للصحوة التي بدأت في المنطقة ستكون في دول خارج نطاق المنطقة، وهذا الحدث سيتحقق[٣٢]. وفي هذا كان لا بد من أن يقدم السيد القائد نصيحة حتى للأميركيين أنفسهم وينصحهم بقوله: طريق الخلاص لاميركا من هذه المستنقعات مثل مستنقع افغانستان ليس في الأساليب المادية والنظرة الإستعلائية والروح العدوانية، بل ان طريق الخلاص هو اعتماد أسلوب الجمهورية الاسلامية الايرانية المتمثل بالمنطق والعقلانية والمعنوية[٣٣]. عزلة أميركا الحالية واحياء الصحوة الاسلامية المفعمة بالأمل بين شعوب المنطقة من المؤشرات الأخرى لتحقيق الوعد الالهي. ومع فشل المحاولات الحثيثة لنظام الهيمنة فان الاسلام والقران تحولا اليوم الى نهج لدى شباب وشعوب المنطقة، هذه هي الحقيقة التي بدأها الشعب الإيراني ورفع رايتها الخفاقة عام ١٩٧٩.

كما وأن تواجد الاساطيل الامريكية والاوروبين في المنطقة أصبح غير مرغوب فيه بفضل الصحوة، ان فترة فرض القوى الاستكبارية لارادتها على الشعوب بالقوة ولت إلى غير رجعة، وحتى لو كانت بعض دول المنطقة ترغب بتبعية القوى الاستكبارية، فان شعوب المنطقة باتت واعية ويقظة وبدات تدرك بان التواجد العسكري الاجنبي في المنطقة هو سبب غياب الامن والإستقرار[٣٤]. ويؤكد السيد القائد الخامنئي ان قضايا التطلع للعدالة والحرية والكمال كامنة في فطرة الانسان، وان هذه القضايا الهية وفطرية ولذلك لا ولن تصيبها الشيخوخة والفتور، ولذلك فان المجتمع الذي يتحرك باتجاه هذه الاهداف السامية سيُبقي على حيوتها فلا يصيبها الشلل و الاندثار[٣٥].

ولا ينسى السيد القائد أن يهنئ الأمة الإسلامية بصحوتها، ويدعهم للمحافظة الدائمة على هذا الإنجاز. «نهضتم بعمل كبير ومصيري، لذلك لا بّد أن

تتحملوا من أجله أيضاً متاعب كبيرة، أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَ رَخَاءٍ وَ لَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الامَمِ إِلا بَعْدَ أَزْلٍ وَ بَلاءٍ وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَر» فحافظوا على نهضتكم ولا تنسو أهم مطالب الشعوب الثائرة والمتحررة في أن يكون لها الحضور الدائم وأن يكون لأصواتها الدور الحاسم في إدارة البلا، ولا تنسوا التوجه الإسلامي الصحيح المنفتح وغيرالمختلط بالتحجّر والقشور والتعصب الجاهل والمتطرف»[٣٦].

الهوامش:

(١) ***Sato Tsugitaka, Muslim Societies, Routledge, UK,*** ٢٠٠٤

(٢) عبد الهادي محمد، حسين، «العولمة النيوليبرالية وخيارات المستقبل» الأندلوسية، ط١، جدة ٢٠٠٤

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٤) على أكبر ولايتي ، مستشار قائد الثورة الإسلامية في إيران والأمين العام للمؤتمر ، في مؤتمر صحفي للإعلان عن المؤتمر

(٥) مؤتمر الصحوة بتاريخ ١٧-٩-٢٠١٢

(٦) في استقبال الرئيس السوداني بتاريخ ٢٦-٦-٢٠١١

(٧) لقاء المشاركين في المسابقة الـ٢٨ الدولية للقرآن الكريم في ايران

(٨) الجابري، محمد عابد، ندوة «العرب والعولمة» مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧

(٩) بلقزيز، عبد الإله، ندوة «العرب والعولمة» م.س

(١٠) لدجاني،أحمد صدقي، «الثقافة العربية والإسلامية وتحديات العولمة» مجلة الكلمة، ص ١٤٣العدد١٨، بيروت ١٩٩٨

(١١) شفيق، منير، «عالمية الثقافة الإسلامية أمام تحديات العولمة» مجلة الكلمة ص ١٠٥، العدد ١٩، بيروت ١٩٩٨.

(١٢) الزين، عاطف، «عالمية الإسلام ومادية العولمة» الشركة العالمية للكتاب، ط١، بيروت ٢٠٠١

(١٣) قبانجي، جاك، «العلم الإجتماعي والحراك الثوري العربي الراهن» مجلة الطريق، عدد صيف ٢٠١١، ص٦١

(١٤) في استقبال رؤساء السلطات الثلاث، بتاريخ ٨-٨-٢٠١١

(١٥) مؤتمر الصحوة، م. س

(١٦) مؤتمر الصحوة، م. س
(١٧) في إستقبال المهنئين في عيد الفطر بتاريخ ٣١-٨-٢٠١١
(١٨) مؤتمر الصحوة، م. س
(١٩) مؤتمر الصحوة، م. س
(٢٠) مؤتمر الصحوة ، م. س
(٢١) في لقائه علماء الدين في مدينة كرمانشاه بتاريخ ١٣-١٠-٢٠١١
(٢٢) أمسية قرآنية بتاريخ ٢-٨-٢٠١١
(٢٣) خطبة عيد الفطر، بتارخ ٣١-٨-٢٠١١
(٢٤) خطابه في زيارة كرمانشاه بتاريخ ١٢-١٠-٢٠١١
(٢٥) مع علماء الدين في كرمانشاه، م. س
(٢٦) مع رؤساء السلطات الثلاث، م. س
(٢٧) في استقبال حشد من محافظة فارس بتاريخ ٢٣-٤-٢٠١١
(٢٨) مدينة كرمانشاه، م. س
(٢٩) مع الرئيس السوداني، م. س
(٣٠) في ذكرى وفاة الإمام الخميني بتاريخ ٤-٦-٢٠١١
(٣١) في محافظة فارس، م. س
(٣٢) في لقاء مع رئيس الحرس الثوري وأركان الدولة بتاريخ ٤-٧-٢٠١١
(٣٣) خطابه في عرض عسكري في مدينة كرمانشاه في شهر ١٠-٢٠١١
(٣٤) في استعراض القوات المسلحة في بندر عباس بتاريخ ٢٣-٧-٢٠١١
(٣٥) في لقاء مع الأساتذة والجامعيين في محافظة كرمانشاه بتاريخ ١٦-١٠-٢٠١١
(٣٦) مؤتمر الصحوة، م. س

المستضعفون في عالم المستكبرين في فكر الإمام الخميني

د. زينب شفيق

المستضعفون يستخلفون الأرض

عرف التاريخ البشري طوال مراحله الظلم الذي يفرضه الطغاة والمستبدون تحت شعارات العدل الذي لم يتحقق، وهو الظلم الكامن في ظلام النفس البشرية والتي كان الله تعالى يرسل الأنبياء والمرسلين من أجل نشر نور العدل، وكبح جماح الظلم والفساد والإفساد، فالمستضعفون هم الذين تضيق عليهم الأرض بما رحبت، فلا يجدون حولاً يتسلحون به سوى الاعتصام بالله ورجاء عونه، أو الهجرة عن الأهل والديار خوفاً من سطوة المستكبرين ومن عدوانهم وهمجيتهم، هؤلاء الناس الذين حُرموا من العيش بسلام وأُخرجوا من ديارهم بغير حق وأوذوا في سبيل الله واضطهدوا على امتداد هذه المعمورة، هؤلاء سوف يمن الله عليهم ليس فقط باستعادة حقوقهم وتوفير الأمن لهم وكفّ أيدي المستكبرين عنهم، بل أيضاً بجعلهم أئمة على الناس والوارثين لهذه الأرض والحكام عليها، وذلك بعد ان يقضى على الاستكبار وينبلج فجر عيد المستضعفين الذي قال عنه الامام الخميني: «إن عيد الشعب المستضعف هو ذلك اليوم الذي يكون فيه المستكبرون قد دُفنوا في الأرض»، وهذه الحقيقة، أي حقيقة انتصار المستضعفين، تثبت أن الله تعالى لا يرضى الاستكبار، وهو يحمّل المستكبرين مسؤولية الحؤول دون وصول الكثيرين

من أهل الأرض الى الحق، فهم بذلك كالشياطين من جند إبليس الذين يصدون عن سبيل الله، ما يعني أن مآلهم يجب ان يكون مماثلاً لمآل إبليس، فكما طرد الله إبليس من رحمته وساحة قدسه ومحل كرامته، كذلك سوف يطرد الله المستكبرين من المحل الذي تسلطوا فيه على الناس وأسسوا فيه زعاماتهم وأقاموا فيه أمجادهم بغير حق، وعلى حساب المستضعفين والمحرومين، وسوف يذل هؤلاء المتجبرين ويمنّ على المستضعفين في ذلك اليوم الذي يخرج فيه إمام المستضعفين من الأولين والآخرين ليزيل الفساد الذي تراكم بفعل شرور المستكبرين، ويرفع الحرمان عن أهل الأرض ويقيم العدالة الإلهية وقيم الاسلام على امتداد هذه الأرض ولو كره المشركون، ولو كره الكافرون من أئمة الفساد والاستكبار والاستبداد في العالم، هذا من جهة الوعد الإلهي، وكذلك من جهة الانسان، فإن فطرته التي جُبل عليها تمقت الاستكبار والمستكبرين، وإن أظهر الناس رغماً عنهم احتراماً للمستكبرين، فإن حقيقة ما تكنه نفوسهم هو المقت والنفور من الاستعلاء والاستكبار، وعندما تنجلي الحقيقة عن تمظهرات الأنفس البشرية الحقانية فإن ما ينفع الناس سوف يمكب في الأرض، وما يضرهم ويضيرهم سوف يُمحق من الوجود.

وبناءً على هذه المعادلة، أي ثبوت ما يتماهى مع حقانية الانسان وفطرته وزوال ما يخالفها ويتنافى معها، فإن الأمم الطاغية والمستكبرة سواء كانت تمثل الاحتلال او الطغيان او العدوان، سوف تتهاوى ويُدحر الاحتلال ويسقط الطغيان ويزول العدوان بشكل نهائي عندما تخرج مؤشرات الخامس عشر من شعبان الى الظهور والعيان، ويبدو جلياً البعد الذي يربط بين هذه المناسبة والمستضعفين، وهو البعد الذي يوصل بين إمام المستضعفين وهذه الفئة المقهورة التي سوف يحقق لها إمامها المولود في الخامس عشر من شعبان العزة والسؤدد بعد زمن طويل من القهر والحرمان. فالسلام على المولود في النصف من شعبان، يوم ولد ويوم غاب ويوم

يخرج ويوم يُستشهد ويوم يُبعث حياً.

وفي هذه الدراسة نكتب عن رؤية الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه إلى الاستكبار والاستضعاف ورؤية للعالم المعاصر والمجتمع الدولي، وذلك في ثلاثة محاور كما يلي:

المحور الأول
رؤية الإمام الخميني إلى صراع الاستكبار والاستضعاف

شكّلت الثورة الإسلاميةُ في إيرانَ منعطفاً بارزاً في التاريخِ المعاصر، كما شكّلت شخصيةُ الإمامِ الخميني نموذجاً فريداً للمصلحِ أو الثائرِ، نظراً للصفاتِ الجليلةِ التي اتسمت به شخصيتـهُ،[1] إنْ على المستوى الشخصيِّ أو القيادي، إذ تعتبر الثورة الإسلامية امتداداً واستمراراً لنهضة الأنبياء عليهم السلام الذين عملوا على خطين متكاملين لإصلاح المسيرة الإنسانية وهما: خط إرساء مبادئ التوحيد، وخط إحلال العدالة الاجتماعية بالتحرر من نير الظالمين، قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾[2]

فيقول الإمام الخميني: إن مبدأ التوحيد يعلمنا أنه يجب على الإنسان أن يخضع للذات الإلهية الحقة فقط وأن لا يطيع أي إنسان إلا أن تكون طاعته طاعة الخالق، فمن هذا المنطلق الرسالي انبرى الإمام الراحل في مقارعة النظام الشاهنشاهي الذي عمل على تغريب المجتمع الإيراني، وحاول طمس هويته الإسلامية، ورهن مقدرات البلاد الاقتصادية للمستعمر، وربط قراراته السياسية والمصيرية بفلك السياسة الأميركية، ثم اعاد الامام الخميني وأعاد الإنسان المسلم إلى إسلامه الحضاري مجتمع مستكبر وآخر مستضعف، وتزخر خطب الإمام الخميني وكتاباته وأقواله بالكلمات والعبارات القرآنية التي دبت فيها الحياة مجدداً في هذا العصر فقد كان همـُّه إخراج القرآن الكريم من طقوس الجنائز والأموات، لينبعث من جديد في الحياة اليومية على كافة المستويات، واللافت في خطاباته كلمات لم تكن مألوفة من قبل في قاموس

السياسيين الإسلاميين، مثل: الشيطان الأكبر، والطواغيت، والاستكبار، والاستضعاف، إلى غيرها من الكلمات التي شكّلت كل منها موقفاً بحد ذاته، والبحث هنا عن الاستكبار والاستضعاف والصراع بينهما، أو الأصح بين المستكبرين والمستضعفين والصراع بينهما، وبحسب رأي الإمام فإن للاستكبار صورا ودرجات تتمظهر بحسب موقع المستكبر في الخريطة العالمية والمحلية، وكذلك الحال بالنسبة إلى المستضعفين ومكامن ضعفهم وقوتهم أشكال الصراع بين الفئتين: إن الصراع بين المستكبرين والمستضعفين صراع دائم بدوام الحياة، قال الإمام الخميني: «كان المستضعفون طوال التاريخ إلى جانب الأنبياء وأوقفوا المستكبرين عند حدهم»، ورأى إن الاستكبار في العصر الحديث يتمثل بأميركا بشكل أساسي، والاتحاد السوفيتي قبل سقوطه، والأيادي العميلة المحلية لكليهما فنبّه في خطبه وبياناته أن أميركا هي العدو الأول للشعوب المستضعفة فسماها الشيطان الأكبر، منطلقاً في هذا لا من عقدة نفسية اتجاه أميركا، بل من السياسة السلطوية الأميركية تجاه الدول المستضعفة، ولا سيما الدول الإسلامية، تلك السياسة التي خلّفت مآسٍ ومشاكل متفاقمة، أدخلت الشعوب المستضعفة ودولها في دوامة العجز الاقتصادي والمشاكل الاجتماعية والهزات السياسية التي لا تنتهي فصولها، ولذلك قال رحمه الله: «أميركا هي العدو الأول للشعوب المستضعفة»، وذلك بسبب سياستها، فكان ينبّه دوماً لمخططات الاستكبار في الاستيلاء على مقدرات الدول والشعوب المستضعفة، ويحثهم على مقارعة الاستكبار بما أمكن من الوسائل، وعلى التحرر من تبعات الصلة به، ومن هيمنته على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ومن جملة ما قاله الإمام في هذا الصدد: « أوصي الشعوب الشريفة المظلومة والشعب الإيراني العزيز أن لا يحيدوا عن الطريق المستقيم الذي لا يرتبط بالغرب الكافر الظالم ولا بالشرق الملحد، وأن يظلوا على الصراط المستقيم بثبات وعزم، وأن لا يدعوا الأيادي

الخبيثة لعملاء القوى الكبرى في الخارج أو الداخل الذين هم أسوأ من الأجانب تزعزع إيمانهم وإرادتهم الصلبة» وإذا تمظهر الاستكبار جلياً على مستوى السياسة والاقتصاد، فإن الإمام أولى المستوى الثقافي من الاستكبار اهتماماً كبيراً لمحاربته، ذلك لأن الغزو الثقافي، ولا سيما عبر وسائل الإعلام، يعمل على تدمير بنية المجتمع الثقافية، وما يستتبع ذلك من إتباع تقاليد الغربيين وعاداتهم في المأكل والمشرب والملبس وأساليب الحياة كافة، إذ يتوهم المتغرّبون أن الأخذ بتكنولوجيا الغرب يلزم محاكاة العادات الاجتماعية المتبعة عندهم ويمتد الاستكبار ليشمل بعض مناهج وطرق التفكير عند عدد من علماء الغرب، فوجود روح الاستكبار أو روح العنصرية في بعض جوانب الثقافة الغربية بارزة للعيان، فهي موجودة في أفكار كثير من علمائهم أمثال نيتشه وهيجل وكانت وفرويد وزيغفريد وأرنست أرنان الذي يقول: إن الغربي بطبيعته رب عمل والشرقي عامل وقد وعى الإمام الخميني أهمية الثقافة في بناء المجتمعات أو في هدمها، فقال: مما لاشك فيه أن ثقافة أي مجتمع تعد أهم وأعظم عنصر يؤثر بشكل أساسي في كيان ذلك المجتمع، وأساساً فإن ثقافة أي مجتمع إنما تشكل هوية ووجود ذلك المجتمع، وإن الانحراف الثقافي يؤدي إلى خواء ذلك المجتمع وشعوره بالفراغ، على الرغم من أنه قد يكون قوياً ومقتدراً في المجال الاقتصادي والسياسي والصناعي والعسكري، والاستكبار العالمي يتمثل اليوم بالغرب كقوة سياسية واقتصادية تعمل على نهب ثرواتنا وممتلكاتنا واراضينا المحتلة، في ظل شعارات براقة وجوفاء بلا روح مُمِدّة للحياة كالديمقراطية وحقوق الانسان ومحاربة الشر واستتباب الامن وانقاذ الشعوب وفتح ابواب الحرية و... واكبر دليل على عدم تطابق الشعارات ومعانيها الحقيقية مايحصل في بلداننا الاسلامية الاصيلة من نهب وقتل وهدم للبيوت واهانة المقدسات، وتعذيب السجناء في السجون بأشبع انواع التعذيب الجسدي والنفسي، وسكوت العالم الغربي دولا وشعوبا بل

ومساندتهم للمعتدي احيانا، وتعتبر كل هذه التحديات حقا مشروعا في طريق توعية الشعوب المستضعفة وارجاع حقوقها المستلبة، وكل من يطالب بوقف العمليات الاجرامية، فهو بعيد عن معرفة هذه الشعارات ومعانيها الحقيقية، وترتكب هذه الجنايات في البلدان الاسلامية على مسمع ومرأى كل الدول الغربية، وعلى رأسها اميركا، التي تدعم وتباشر بكل مايحصل في بعض البلاد الاسلامية، فاذا كان الامام قد ركز على الاستكبار العالمي المتمثل بالغرب. فإنه لم يغفل عن المستكبرين في الشرق وداخل الدول المستضعفة ذاتها، وربما بين أفرادها.

والمستضعفون كما رأينا، هم الشعوب والجماعات والأمم والدول والأفراد الذين، هم عرضة لأطماع المستكبرين، وهذا يعني أنه قد صنّف العالم إلى عالم مستكبر وآخر مستضعف، دون خصوصية الجغرافيا والحضارة، مع تأكيده على أن أميركا تمثل الاستكبار العالمي، وذلك للجرائم الظاهرة والخفية التي تقترفها بحق الشعوب المستضعفة.

صراع المستكبرين والمستضعفين لا صراع الحضارات، وهنا يبرز السؤال التالي: هل هذا يعني أن قدر الغرب والشرق هو قدر الصراع والتصادم، وبالتالي تأكيد نظرية هانتنغتون حول صراع الحضارات أم أن الصراع هو صراع بين قوى ظالمة وأخرى مظلومة؟

في الواقع إن مروّجي فكرة صراع الحضارات أو تصادمها ينطلقون من فكرة استكبارية، لا ترى إلا التقاتل والتصادم بين الحضارات المتمايزة، وتكون بالتالي الغلبة للأقوياء، وينفون إمكانية وجود أي حوار بين الحضارات أو الديانات والمذاهب الاسلامية، مع وجود المشتركات في الجانب الاعتقادي والاخلاقي التربوي، والتطابق الكثير في الجانب الفقهي بين المذاهب الاسلامية الاساسية، وإذا

كان الإمام يؤكد على أن الصراع مستمر بين المستكبرين والمستضعفين، فلا يعني هذا عدم قبول الآخر المختلف ومحاورته والاعتراف به، فمجابهة المستكبر الذي يصر على التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى، وعلى نهب خيراتها وثرواتها بالطرق المباشرة أو الملتوية شئ، ومحاورة من يعترف بكيان الأمم والشعوب واستقلال بلادهم شئ آخر، ومما قاله الإمام في هذا المجال: « إننا لا نعادي أي شعب، لقد جاء الإسلام لجميع الملل إننا أصدقاء مع من يتعامل معنا إنسانياً، وقال أيضاً: إننا نحب الإنسان، وكان نبينا العظيم يحب الإنسان أيضاً، وتحمّل من أجل البشر المشاق والصعوبات، وإننا نتبعه في ذلك، ونقيم علاقات حسنة مع جميع فئات البشر، ومع كل المستضعفين في العالم، بشرط أن تكون هناك علاقات متبادلة واحترام متقابل»، ثم يتابع ويقول: إننا نريد السلم، نريد العيش في ظل السلم مع جميع الناس في العالم، نريد أن نكون مسالمين مع جميع الناس، نريد العيش وسط شعوب العالم، لكنهم (المستكبرين) لا يسمحون لنا به، ومن خلال أقواله، حدد أساس التعامل مع الآخر، وهو الاحترام والتعامل الإنساني بالمثل، دون طغيان أو استكبار، وحتى الذين خالفوا الإسلام فكراً وعقيدة فإن الإمام سمح لهم ببيان أفكارهم ومعتقداتهم شرط عدم الإخلال بالأمن والتعامل مع أعداء الجمهورية الاسلامية الايرانية، إذاً ليس محل مقارنة بين صراع المستكبرين والمستضعفين وبين صراع الحضارات التي يروج لها بعض علماء الغرب، فالمستضعفون حقوقهم مغتصبة، وإرادتهم مسلوبة وثرواتهم منهوبة ودولهم غارقة في الديْن والعجز الاقتصادي، لذلك فإن الصراع سيبقى قائم بينهم وبين المستكبرين، حتى ولو لم يتجلّ هذا الصراع على شكل ثورات، أما الحضارات والاديان والمذاهب الاسلامية فلا بد لها من الحوار والتلاقي والتفاعل، خدمة للبشرية في طريق تكاملها الإنساني، وأما أفول بعض الحضارات القديمة أو

انقراضها فله أسبابه ليس مقام بحثها هنا، وفي حوارنا مع الآخر يؤكد الإمام على وجوب استقلاليتنا، حتى على المستوى الفكري، وإلا تحوّل الحوار إلى آراء تـُفرض بالقوة وإلى استضعافنا، فكان يحث على التخلص من التبعية للغرب بما فيها التبعية الفكرية، ومما قاله في هذا المجال: « ما لم نتخلص من التغرّب ونبدل منهجنا في التفكير ولم نعلم قيمة أنفسنا، فلن نستطيع أن نكون مستقلين» وقال أيضاً: «إن هذه التبعية الفكرية للغرب هي سبب أكثر المصائب التي لحقت بالشعوب وبشعبنا أيضاً» ذلك لأن التبعية الفكرية تستتبع التبعية الاقتصادية والسياسية؛ والمستلب فكرياً لا يرى ما حوله إلا من خلال النظارات الغربية، فيصعب عليه عندئذ معرفة العدو من الصديق، والمستكبر من المستضعف، لا بل قد يروج لمخططات عدوه من غير قصد الخيانة، وقد أمل الإمام الخميني أن تصبح إيران والدول المستضعفة مكتفية ذاتياً على كل المستويات، لا من أجل قطع الحوار مع الغرب، بل من أجل قطع التبعية له، وإذا كان لا بد من الحاجة إلى صناعات الغرب فلتكن من الدول التي تكن الاحترام لنا، فيقول الإمام: إن احتياجنا بعد كل هذا التخلف المصطنع إلى الصناعات الكبيرة للدول الأجنبية هو حقيقة لا يمكن إنكارها، بيد أن هذا لا يعني أننا يجب أن نرتبط في العلوم المتطورة بأحد القطبين: أميركا والاتحاد السوفيتي سابقاً، إلا أن يأتي يوم إن شاء الله تعالى تقرّ فيه هاتان القوتان باشتباههما، ويسلكان طريق الإنسانية وحب الإنسان واحترام حقوق الآخرين، أو أن يقوم مستضعفو العالم والشعوب اليقظة والمسلمون بإيقاف هؤلاء عند حدهم.

هذا غيض من فيض من أقوال الإمام الخميني الراحل ومواقفه من التحديات الكبرى، التي عصفت بالعالم الاسلامي مجتمعاً ودولاً، وإن أفكاره وآراءه ما زالت تشكل منارة لجميع الشعوب المستضعفة، وقد تحققت أقواله عندما انطلقت الثورات في ربوع العالم العربي لكسر المستكبرين المحليين، وخلافاً لما

يصوره إعلام الدول المستكبرة عن أن نهج الإمام الخميني آيل للسقوط والاندثار، وكما يقول الإمام الخامنئي حفظه الله: «إن فكرة انتهاء عصر الإمام الخميني والتي يطرحها العدو بمئات الأساليب والتعابير، إنما هي خداع ومكر استكباري لا غير، وإن الإمام الخميني سيبقى رغم أنف أميركا وأعوانها بين شعبه ومجتمعه حاضراً بكل قوة» وهاهي إيران الإسلام اليوم تسير على هدي الإمام في الحفاظ على منجزات الثورة، وتعزيز دولة المؤسسات والقانون التي شدد عليها إمامنا الراحل، كما أنها تسعى لإيجاد الوحدة بين الدول الإسلامية والتقريب بين المذاهب الاسلامية، عبر مؤسسات ثقافية وعلمية وعلماء عاملين بذلوا كل مالديهم لتحقيق هذا التقارب والاخوة فيما بين ابناء الامة المحمدية الواحدة، واعلاء كلمة الله ودحر اعداء المسلمين وطردهم المحتلين من الاراضي الاسلامية فلسطينا وعراقا و... اليس الصبح بقريب[٣]، على أمل تحقيق جبهة موحدة في مواجهة مخططات الاستكبارالعالمي، وعلى رأسه أميركا وربيبتها إسرائيل، التي ما فتئت تبث سمومها في كل أنحاء العالم الإسلامي، ولا سيما في فلسطين السليبة، الذي انتفض شعبها في السنين الاخيرة بالايدي الخالية من السلاح والعدّة المادية بكل ايمان وصلابة وعزم، وتوكل على الله العلي القدير، الذي وعد المستضعفين بالنصر ﴿ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾[٤] وادخلوا الرعب في قلوب الصهاينة الغاصبين، الذين لا دين لهم سوى الارهاب والقتل والتدمير والتعدي على حقوق الانسانية، بمساندة واضحة ومكشوفة من السلطة السياسية الاميركية المتغطرسة الغاشمة بما تملك من اجهزة عسكرية وسياسية وثقافية للوقوف امام الاسلام والامة الاسلامية، على غفلة من بعض حكامها ونخبها الفكرية المتغربة، باحثة عن عولمة ظالمة ناهبة محتلة، تتحدى العالم الاسلامي ثقافة وشعوبا، فالامة الاسلامية سائرة نحو تحقيق ماتمناه الامام الخميني لجميع

المستضعفين، الاتحاد وتوحيد الصفوف والاتكاء على المقوّمات الداخلية لمجابهة المستكبرين بشتى السبل.

إن النصر النهائي لابد وأن يصاحبه تحقق الغايات والأهداف النهائية. ومن المهم القول إن النصر النهائي على المستوى الفردي يتحقق بالشهادة أو بالوفاء بعد عمر من الجهاد الأكبر وتهذيب النفس البشرية وتربيتها. أما النصر النهائي بالنسبة للجماعة فهو تحقق أهدافها، وبما أن للأمة الإسلامية هدفاً فانتصارها بتحقق هدفها وهو أن تكون خير أمة للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. والنصر النهائي مثلاً للثورة الإسلامية في إيران أن تحقق دولة الإسلام العادل في تلك البقعة وأن تسعى لنشر ثقافة الثورة حيث تستطيع ذلك في هذه الأرض، وهكذا فإن للإسلام ورسوله هدفاً وهو أن يظهر على الدنيا كله فنصر الإسلام النهائي لا يتحقق إلا بذلك، وها هو الإمام رضوان الله عليه يعبر عن النصر الرباني بقوله: الانتصار النهائي يتحقق عندما يطبق الإسلام في إيران بجميع أبعاده وبجميع أحكامه، والنصر الأكبر يتحقق عندما يحكم الإسلام كل الأقطار في العالم، فالإسلام هو سعادة البشرية[٥].

وهذا النصر النهائي على مستوى العالم يتحقق بحسب فكر الإمام رضوان الله عليه عند ظهور دولة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف التي وعدنا على لسان القرآن والروايات بأنها ستحقق العدالة الشاملة على مستوى العالم وستظهر الدين على الدين كله وتمحق دول الكفر والشرك والظلم إلى الأبد.

والإمام لا ينظر إلى ذاك الزمان بشكل أسطوري أو خيالي بعيد عن الواقع بل بما هو نتيجة لجهاد المجاهدين وكفاح ملايين أفراد الأمة عبر العصور، وهو ينظر إلى الثورة الإسلامية المباركة في إيران على أنها نقطة بداية للثورة الكبرى تلك. يقول

رضوان الله عليه: «إن ثورة الشعب الإيراني هي نقطة البداية للثورة في العالم الإسلامي تحت راية الحجة المهدي عليه السلام أرواحنا فداه»[٦].

إن هذه العبارة بالإضافة إلى بيانها للنصر النهائي العام على يد صاحب الزمان تربط أيضاً ما بين الثورة الإسلامية في هذا العصر وثورة المهدي عجل الله فرجه. والحق يقال إن الأحداث العظيمة والهائلة والمتتالية وكذلك المتغيرات الكبيرة على المستوى الفردي الاجتماعي بعد مرور حوالي ثلث قرن من عمر الثورة الإسلامية في إيران تزيد المتابع قناعة بكلام الإمام الخميني الملهم، لاسيّما ما يحصل هذه الأيام من انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان على «إسرائيل»، هذا الانتصار الذي حوّل حزب الله إلى رائد للأمة الإسلامية يأخذ بيدها نحو الخير والفلاح، وما يحصل في فلسطين اليوم من مقاومة وانتفاضة ثم الثورات العربية ضد الطغيان ليس سوى دليل على ما نقول. نسأل الله تعالى أن لا تطول الفاصلة الزمنية بين نقطة البداية ويوم حدوث الثورة الكبرى على يد صاحب الزمان عجل الله فرجه، ومن أقول الإمام:

«إن المهدي صاحب الزمان عجل الله فرجه يراقبنا جميعاً، يراقب العلماء وما يفعلونه والإسلام بأيديهم، ولا عذر لهم»[٧]

«إن الأنبياء لم يوفقوا لتحقيق أهدافهم، وسيبعث الله في آخر الزمان برجل ليحقق أهداف الأنبياء»[٨]

علينا نحن المنتظرين لقدومه المبارك أن نبذل قصارى جهدنا لتحكيم قانون العدل الإلهي في دولة ولي العصر هذه[٩]

«كم هو مبارك ميلاد هذه الشخصية الكبيرة التي ستحقق العدالة التي كان بعثها الأنبياء عليهم السلام من أجلها، وكم هو مبارك مولد هذا الرجل الكبير الذي سيطهّر العالم من شر الظالمين والحاقدين وسيملأ الأرض قسطاً

وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ويقضي على الاستكبار العالمي ويورث الأرض لمستضعفي العالم»[١٠]

وأنا آمل أن يصل ذلك اليوم الذي يتحقق فيه وعد الله القطعي ويصبح المستضعفون مالكين للأرض، هذا وعد الله ولن يخلف الله وعده، وأما أن ندرك نحن ذلك أو لا ندركه فذاك بيد الله تعالى، إذ يمكن أن تتهيأ مقدمات الظهور في برهةٍ قصيرة من الزمن وتقرَّ أعيننا بجمال طلعته البهية[١١].

لقد بين الإمام الخميني رضوان الله عليه أن فلسطين أكثر من عشق وسر وقضية، ففلسطين عاشت في قلب الإمام الخميني رضوان الله عليه منذ أن سقطت شهيدة وبدأت قضية شعبها المظلوم، وكانت فلسطين حاضرة في ثورة الإمام في طهران بل وكانت فلسطين شعار الثورة ورمز انتصارها، وبقي الأمل بنصر فلسطين يعيش في قلب الإمام على مرِّ السنين حتى بدأت مقاومة شعب لبنان المقاوم والمضحي ليكبر الأمل كُلما ارتفع صراخ جنود الصهاينة بالعويل تحت ضربات أبناء الخميني المخلص من مجاهدي حزب الله والمقاومة الإسلامية، حتى إذا ما انطلقت الانتفاضة الأولى في فلسطين كانت الإشراقة في قلب الإمام، فإذا به يحنو على أهل الانتفاضة ويعيش أمل بالنصر القريب، وها هو يوصي بدعمها بكل السبل، فيقول رضوان الله عليه: ينبغي أن نضم صوتنا إلى صوت الشعب المظلوم المنتفض داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وأن نقدم الدعم العملي لتظاهراته وانتفاضته في مقابل ظلم «إسرائيل» ليتغلب على هذا الغول المفترس والغاصب الملحد، مثلما أسقطت إيران بالتظاهرات والثورة الإسلامية نظام الظلم الملكي، والأمل أن يستمر المظلومون في المناطق المحتلة بتظاهراتهم وقيامهم ضد الصهاينة حتى يحققوا النصر[١٢].

على هذا الأمل العزيز عاش الإمام آخر أيام حياته، وعلى هذا أغلق عينيه عن هذه الدنيا المليئة بظلم الظالمين، وكانت وصية المقاومة في لبنان والانتفاضة في فلسطين أن احفظوهما بأعينكم والقلوب ولا تفرطوا بهما أبداً ولا تتراجعوا خطوة واحدة عما أنتم عليه، لأن في التراجع الخطر الكبير على الحاضر والمستقبل. ولنستمع إلى وصية الإمام للانتفاضة قبل عام وفاته رضوان الله عليه: «لقد اتحدوا جميعاً من أجل منع الشعب الفلسطيني من مواصلة المسير على نفس الطريق الذي سلكه الآن (في إشارة للانتفاضة)، وذلك عن طريق التظاهر بالحرص على فلسطين والتأسف على ما يتعرض له، وإن من الأفضل أن يماشوا الأمور قليلاً حتى تنتظم!! ولكن ليعلم الشعب الفلسطيني بأنه إذا ما تراجع خطوة واحدة عما هو عليه الآن فسوف يعود ثانية إلى حالته الأولى. إن الشعب الفلسطيني يوشك أن يسحق اليهود الصهاينة، وأتمنى أن يتم له ذلك»[١٣]

المحور الثاني
الإمام الخميني والنظام الدولي

إن معرفة الخلفية الثقافية التي كان الإمام الخميني نفسه ينطلق منها في تعاطيه مع المسألة الدولية، أو للنظام الدولي وهمة لتكوين الرأي حول نظرة الإمام للنظام الدولي، فقد كتب الإمام بتاريخ ٢٢شباط ١٩٨٩، متحدثاً عن صفات وخصائص (المجتهد الجامع للشرائط) يقول: يجب أن يكون المجتهد محيطاً بأمور زمانه، وليس مقبولاً للناس والشباب وحتى العوام أن يقول مرجعهم ومجتهدهم أنا لا أعطي رأياً في المسائل السياسية.

إن معرفة طريقة مواجهة حيل وتزويرات الثقافة المسيطرة على العالم، وامتلاك البصيرة والرؤية الاقتصادية، والاطلاع على كيفية التعامل مع الاقتصاد المتحكم بالعالم، ومعرفة السياسات وحتى السياسيين، وتعليماتهم التي يملونها، وإدراك ظروف ونقاط القوة والضعف في قطبي الرأسمالية والشيوعية التي ترسم في الحقيقة استراتيجية السلطة في العالم، كل أولئك من خصائص المجتهد الجامع للشرائط.

يجب أن يتحلى المجتهد بالبراعة والذكاء والفراسة لقيادة المجتمع الإسلامي الكبير، وحتى غير الإسلامي.. ان هذا النص البالغ الوضوح، يقدم الإجابة الواضحة بأن الإمام الخميني، بحكم كونه فقيهاً مجتهداً، يرى أن تكليفه الشرعي هو (التصدي) لأمور الناس وقيادتهم على أساس الإسلام، فانه يرى من مقدمات تحقيق هذا الواجب والقيام به، هو الاحاطة (بأمور زمانه) ومن هنا نشأت العلاقة بين الإمام الخميني والنظام الدولي.

فالإمام الخميني كان يرى أن عليه أن يعرف العالم من حوله وطريقة عمله وآليات تأثيره على بلاد المسلمين وأسلوب مواجهته وتشخيص نقاط ضعفه وقوته، من اجل أن يتمكن من إنجاز دوره الثوري في إنهاض الأمة وتغييرها وإسقاط الوضع الظالم الذي يجثم بظلمه الثقيل على صدر العالم كله.

ولذا، فإن دخول الإمام الخميني إلى النظام الدولي، بالمعرفة والمتابعة والاطلاع، ثم بالعمل والممارسة والسياسة والثورة، لم يكن دخولاً مفتعلاً ولا طارئاً، وإنما هو امتداد وتجسيد طبيعي لرؤية الإمام الخميني لدور العالم الفقيه في المجتمع والدولة والعالم، وهي ذاتها الرؤية التي يقدمها الإسلام المحمدي الأصيل، الذي استوعبه الإمام، علماً وعملاً، فقهاً والتزاماً، عرفاناً وجهاداً، ونذر حياته الشريفة من أجل رفع رايته، وإعلاء كلمته، وتحقيق سيادته وسموه وانتصاره. وكان له ما أراد، وقد تحلى بالإرادة الحديدية الصلبة التي لا تلين، والإيمان الصادق العميق، فأقام الجمهورية الإسلامية، بعون الله وإذنه ونصره.

لقد توصل الأدب السياسي، كما يقول د. عبد المنعم سعيد إلى صياغة تكوينات مفهوم النظام الدولي في نهاية الخمسينات والستينات من القرن الماضي، ويكاد يكون تعريف موريس ايست وزملائه للنظام الدولي مقبولاً إذ يقول بأنه يمثل أنماط التفاعلات والعلاقات بين القواعد السياسية ذات الطبيعة الأرضية (أي الدول) التي تتواجد خلال وقت واحد.

إلاّ أن علماء السياسة الدولية يقدمون فهماً أكثر تعقيداً من مجرد التفاعلات بين الدول القومية وحكوماتها حول الظواهر السياسية والأمنية، حيث يدخل هؤلاء فواعل أخرى إلى منظومة التفاعل التي تشكل النظام. ويؤكد هؤلاء العلماء، مثل: كوهين وناي، على الدور الذي تلعبه الفواعل عابرة الحكومات وتلك العابرة

للقوميات، مثل الشركات المتعددة الجنسيات، والمؤسسات، والاتحادات الدولية، والمنظمات الدولية الوظيفية.

ويركز علماء آخرون مثل بيرتون وكانتوري وشبيغل وبايندر على نظم اقليمية فرعية أو تابعة، حيث بينوا مواصفاتها الخاصة وتفاعلاتها الذاتية التي يمكن فصلها عن تلك العالمية. وبناء على هذا التطور أمكن التمييز حسب جميل مطر وعلي الدين هلال، بين ثلاثة مستويات لدراسة الوضع الدولي، وهي:

١ ـ مستوى النظام الدولي، ويقصد به أنماط التفاعلات الدولية على مستوى القمة بين الدول الكبرى ـ وخصوصاً بين الدولتين العظميين ـ والتي يترتب على نوعية العلاقات فيما بينها تحديد مناخ العلاقات الدولية في العالم كله. وتتردد في هذا الصدد مصطلحات مثل القطبية الثنائية، توازن القوى، تعدد الأقطاب، وغيرها.

٢ ـ مستوى النظام الاقليمي التابع أو الفرعي، ويقصد به التفاعلات الدولية التي تتم في منطقة ما، تحدد ـ عادة ـ على مستوى جغرافي.

٣ ـ مستوى الفواعل غير الدولية، وهي بشكل أساسي فرعان: المنظمات الدولية، والشركات الدولية متعددة الجنسيات.

رؤية الإمام الخميني للعالم

من نصوص الإمام الكثيرة، يمكن أن نقول ان الإمام الخميني يرى العالم ينقسم إلى عالمين: عالم المستكبرين، وعالم المستضعفين. وهو التصور الأساس للعالم عند الإمام. وهو يختلف عن الصورة التقليدية التي تقسم العالم إلى ثلاث دوائر، وهي: المعسكر الرأسمالي (العالم الأول) والمعسكر الاشتراكي (العالم الثاني) والعالم الثالث. كما تختلف هذه النظرة عن نظرة ماوتسي تونغ التي تقسم العالم إلى ثلاث

دوائر هي: العالم الأول الذي يضم الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية، والعالم الثاني الذي يضم الدول المتطورة الصناعية أي أوربا الغربية وكندا واليابان، وأخيراً العالم الثالث الذي يضم الدول الأخرى في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. الدول في العالم المعاصر هي إما مستكبرة أو مستضعفة. وهذا التقسيم بنظر الإمام من فعل الدول المستكبرة ذاتها؛ فهو لا يعبر عن حالة «طبيعية» في العالم، وإنما هي حالة مفروضة، فرضتها هذه الدول المستكبرة، فقسمت العالم عملياً إلى قسمين: عالم الاستكبار، وعالم الاستضعاف.

وإذا كان الإمام قد طرح هذه الرؤية في وقت مبكر، فإنه قد صاغها بصيغتها المحكمة في أحد نصوصه المتأخرة والمهمة، ذلك هو خطابه الذي وجهه إلى المسلمين في ٥ ذي الحجة سنة ١٤٠٨هـ. يقول الإمام: الواقع أن دول الاستكبار الشرقية والغربية وبخاصة أميركا وروسيا قد قسَّمت العالم عملياً إلى قسمين: قسم حر وقسم حجر سياسي. ففي القسم الحر من العالم، هناك الدول الكبرى التي لا تعترف بأي مدى، أو حَد، أو قانون، وتعتبر الاعتداء على مصالح الآخرين، واستعمار الشعوب واستثمارها واستعبادها أمراً ضرورياً ومبرراً ومنطقياً، ومنطبقاً على جميع المبادئ والموازين الدولية، والموضوعية من قبلها هي.

أما في قسم الحَجْر السياسي، الذي تحاصر وتسجن فيه للأسف معظم شعوب العالم الضعيفة وبخاصة المسلمين منها، فلا وجود اطلاقاً لحق الحياة وإبداء الرأي.

إن القوانين والمقررات والأنظمة جميعها هي القوانين المفروضة والمنسجمة مع أهواء النظم العملية والمؤمّنة لمصالح المستكبرين.

والمؤسف أن معظم متولي السلطات التنفيذية في هذا القسم هم الحكام المفروضون أو اتباع النهج الاستكباري العام، الذين يعدون حتى صرخة الألم من

داخل جدران هذه السجون والسلاسل جريمة لا تغتفر، فمنافع ناهبي الشعوب تمنع على أي كان حتى التلفظ بأي كلمة يشتم منها إضعافهم أو تعكير صفو راحة نومهم.

ويمكن تلخيص وجهة نظر الإمام التي يعبر عنها هذا النص كما يلي: إن الحرية على مستوى السلوك السياسي الدولي حكر على الدول المستكبرة، وهي بهذا المعنى، تؤلف «العالم الحر» في مصطلح الإمام، فالعالم الحر، هو ليس العالم الرأسمالي، كما في الأدبيات الغربية، في مقابل العالم غير الحر، أي العالم الاشتراكي. إنما «العالم الحر» يضم كل الدول الكبرى صاحبة الحرية «المطلقة» في التصرف والسلوك الدوليين، في مقابل عالم «الحجر السياسي» الذي يضم الدول والشعوب المستضعفة التي لا تملك من حرية السلوك السياسي الدولي شيئاً. فهي مستعبدة ومحكومة لإرادة ومصالح الدول النافذة في العالم الحر.

ولا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن الإمام كان يضع أمام عينيه الدول الكبرى الخمس، بشكل أساسي، وهو يتحدث عن «العالم الحر»، أي الولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي، وبريطانيا، وفرنسا، والصين. وجميع هذه الدول أعضاء دائمة في مجلس الأمن الدولي، حيث «السلطة الدستورية» الأعلى في العالم، وتتمتع بحق «الفيتو»، أي الاعتراض والنقض على قرارات المجلس. وحق النقض يعني إن هذه الدول تملك «الحرية المطلقة» إزاء قرارات مجلس الأمن، بل تملك حرية تقيد حق الآخرين أيضاً. فالدول الأخرى الأعضاء في مجلس الأمن بحاجة إلى ضمان موافقة أو سكوت الدول الكبرى الخمس، مجتمعة، من أجل اصدار أي قرار عن مجلس الأمن. إن ما يسمى بالإرادة الدولية رهن، إذن، بإرادة الدول الخمس الكبرى. وليس العكس.

ومن الطبيعي أن نتوقع أن هذه الدول المستكبرة تنطلق في قراراتها وأفعالها السياسية، بما في ذلك مصادرة الإدارة الدولية وحرية الدول الأخرى، من مصالحها

الخاصة، وهذه المصالح هي التي تشكل القانون «الدولي» العام الذي تستند إليه. ولاشك أن الإمام كان يتذكر مصطلح «المصالح الحيوية» الذي ابتكره الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر، وهو يضع مبدأه الشهير، الذي عرف باسم «مبدأ كارتر» والقاضي باعطاء الحق للولايات المتحدة الأميركية بالتدخل العسكري في مناطق الشعوب المستضعفة، بما في ذلك منطقة الخليج، لحماية ما أسماه كارتر: «المصالح الحيوية» للأمة الأميركية.

وعلى هذا الأساس، فإن الدول المستكبرة تعتبر استعمار الشعوب واستثمارها واستبعادها أمراً ضرورياً ومنطقياً ومنطبقاً على جميع المبادئ والموازين الدولية.

ومن جهة أخرى فإن القوانين الدولية، أو ما يسمى بالقانون الدولي، هو من وضع هذه الدول المستكبرة نفسها. ومن الطبيعي أنها وضعته فيما يحقق مصالحها ويضمن سيطرتها وسلطتها وهيمنتها على باقي العالم، أي الشعوب المستضعفة.

والمقصود بالقانون الدولي «مجموعة القواعد القانونية التي تحكم الدول وغيرها من الشخصيات الدولية في علاقاتها المتبادلة». والمعروف أن معاهدة وستفاليا الموقعة في عام ١٦٤٨ تعد نقطة الانطلاق في تاريخ القانون الدولي بالنسبة لوضعه الراهن، فقد اختتمت بها حرب الثلاثين سنة التي قامت بين الدول الأوروبية، آنذاك.

وبديهي القول، إن القانون الدولي الراهن، باعتباره قانوناً وضعياً، يرعى بشكل رئيسي مصالح الدول التي قامت بوضعه وتطويره وتطبيقه. ومن هنا فإن مفهوم العدل طبقاً للقانون الوضعي مفهوم نسبي؛ فالعدل هو ما ينسجم مع مصالح واضع أو واضعي القانون. والمساواة هي حالة تسري، فقط، على العلاقة بين واضعي القانون.

ومما يزيد في سوداوية الصورة الراهنة للنظام الدولي المعاصر، أن حكام الدول المنتمية إلى العالم المستضعف هم إما «حكام مفروضون» بالقوة على شعوب هذا العالم، أو هم «أتباع» بحكم العقيدة والاقتناع والانتماء للنهج الاستكباري العام. وهذا بعض الضوء على طبيعة العلاقة بين العالم المستكبر والعالم المستضعف، وهي علاقة التبعية، التي يؤكد عليها الإمام الخميني كثيراً، إن التقويم العام للنظام الدولي الراهن يتلخص في كونه نظاماً ظالماً، تنقسم فيه الدول إلى قسمين: دولة ظالمة، ودول (أو بالأحرى شعوب) مظلومة.

وفي مؤتمره الصحفي الذي عقده بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٧٩ تساءل الإمام الخميني: هل عدد المظلومين في العالم أكثر من عدد الظالمين؟، ويجيب بنفسه عن هذا السؤال قائلاً: فإذا تأملتم تلاحظون أن الأكثرية القاطعة مع المظلومين في العالم، الظالمون المجهزون بالأجهزة الشيطانية عددهم قليل، والمظلومون عددهم كثير جداً.

وهذه معادلة مجحفة بلاشك وإنها تعبير عن منطق الظالمين، منطق الاستكبار الذي قام ببناء النظام الدولي القائم. وفي مقابل هذا المنطق، يبرز «منطق المحرومين الذين يشكلون الأغلبية القصوى للعالم». والعبارة للإمام الخميني في مؤتمره الصحفي الذي أشرنا إليه ويشرح الإمام الخميني «منطق المحرومين» في نفس المؤتمر الصحفي حيث يقول:إن منطق المحرومين لابدّ أن يكون حراً مستقلاً وأن تصرف خيراته لنفسه. هذا هو منطق المحرومين، وهذا المنطق يناقض منطق الظالمين، المنطق السائد في العالم المعاصر: أما منطق الظالمين ـ والكلام للإمام الخميني ـ فهو أن ينهبوا هذه المنطقة. الظالمون الكبار لا يعتبروننا بشراً، ولا يحسبون المظلومين ـ في أي مكان كانوا حتى في أوطانهم ـ لا يحسبونهم بشراً. وعندما يدّعون حقوق الإنسان فإن قصدهم حقوق الظالمين. حقوق البشر تعني أن يحق لهم سرقة نفطنا دون أن يدفعوا شيئاً حقوق البشر تعني أن تكون جميع الشعوب تحت

سيطرتهم دون قيد أو شرط! هذا هو منطق الأقلية الظالمة.

وحتى المنظمات الدولية، وإن بدت تجمعات لدول متساوية في الصلاحيات والسلطات، إلا أنها في الحقيقة امتداد لحالة الظلم التي تطبع العلاقات الدولية بصبغتها العامة، وقد أشار الإمام الخميني إلى هذه الحقيقة المرة في كثير من خطبه، وخاصة أثناء أزمة الرهائن الأميركيين في السفارة الأميركية في طهران، التي قام الطلبة المسلمون السائرون على خط الإمام بالسيطرة عليها، وفي أثناء الحرب العراقية الإيرانية التي امتدت ثمان سنوات فقد تجاهلت منظمة الأمم المتحدة، بما في ذلك مجلس الأمن الدولي معاناة الجمهورية الإسلامية؛ بل وراحت بعض المنظمات الدولية يهاجم النظام الإسلامي الجديد، تحت ذريعة الدفاع عن حقوق الإنسان، بسبب قيام الحكومة الثورية بإعدام بعض رموز النظام القديم ورجالاته.

وفي ١٧/ ١٢/ ١٩٧٩، تحدّث الإمام الخميني عن هذه المسألة قائلاً: إنهم يملكون حق «الفيتو»، فحيثما رأى الكبار أن قانوناً ما يعارض مصالحهم فانهم يستفيدون من حق الفيتو لرفضه. نحن لا نملك حقاً سوى تحمل المصائب دون أن نتفوه بكلمة!

وفي ١٩/ ١١/ ١٤٠١، قال الإمام الخميني: إن أمثال منظمة حقوق الإنسان والهيئات الأخرى المشابهة تعمل اليوم لاستخدام العالم من أجل مصالح القوى الكبرى المستبدة، وجر الأنظمة الإلهية وعلى رأسها النظام الإسلامي نحو الاستضعاف.

وفي ٢٠/ ١٢/ ١٤٠١ تساءل الإمام الخميني: لماذا لا تظهر هذه المنظمات الدولية الفاسدة كلمة اعتراض على هذه المفاسد التي تقوم بها أميركا، ولكنها ترفع ضجيجها إذا اعدم في إيران مجرم مارس الإجرام طول حياته.

ولم يكن الإمام الخميني يجانب الصواب. فإن المنظمات الدولية، وخاصة الأمم المتحدة، لا تستطيع الخروج من أسر الدول الكبرى، وبخاصة الولايات المتحدة، التي تستطيع أن تمارس الكثير من الضغوط لكي توجه سياسات هذه المنظمة الدولية وقراراتها بالشكل الذي يخدم «مصالحها الحيوية». واليوم تستطيع قوى الاستكبار أن تدفع المنظمة الدولية إلى اتخاذ قرارات، أو منع اتخاذ قرارات، متى ما شاءت ذلك. وتستطيع الدول الكبرى التوصل إلى تحقيق هذا عبر ثلاث ركائز أساسية هي:

أولاً: حق الفيتو الذي تملكه في مجلس الأمن، الذي يشكل أعلى سلطة قانونية في التنظيم الدولي القائم.

ثانياً: الضغط المالي الكبير الذي تمارسه، كونها تتحمل جزءاً كبيراً من تمويل المنظمات الدولية.

ثالثاً: قدرتها على التأثير على قرارات الدول «الصغيرة» الأعضاء في المنظمات الدولية، والتي يدور أغلبها في أفلاك الدول المستكبرة.

وهذه، بطبيعة الحال، ثغرة كبيرة في التنظيم الدولي الحالي، الذي تعود جذوره إلى القرن التاسع عشر، واتخذ صيغته الراهنة، بعد الحرب العالمية الثانية، رغم أن اكاديميي «التنظيم الدولي» ومنظريه يؤكدون أنه من الظواهر المميزة للعلاقات الدولية في القرن العشرين. ويشير إسماعيل صبري مقلد إلى «أن هذه التنظيمات قد أصبحت ركيزة اساسية وحيوية من ركائز التعامل الدولي» مبيناً أن هناك ثلاثة اغراض رئيسية يقوم التنظيم الدولي على تحقيقها وهي: «السلام والرخاء والنظام»، ولكننا نجد اليوم من الصعوبة بمكان الاعتقاد بان التنظيم الدولي استطاع أن يحقق أيّاً من هذه الأغراض وبصورة عادلة، إن لم يكن هو السبب في كثير من حالات المعاناة

التي تعرضت لها الشعوب المستضعفة باسم «القانون الدولي». افلم يكن «نظام الانتداب» من مبتدعات عصبة الأمم، التي كان قد وضع ميثاقها في مؤتمر باريس عام ١٩١٩؟ أوليس نظام الانتداب إلاّ «صيغة معدلة لأدوات السيطرة الاستعمارية التقليدية» أو لم يكن نظام الانتداب سوى تبرير شكلي زائف امكن من خلاله لبعض الدول الاستعمارية الكبرى في المجتمع الدولي أن تدير الممتلكات السابقة لحسابها وفي خدمة مصالحها، تحت اسم «عصبة الأمم». بل ألم يكن قيام الكيان الصهيوني في فلسطين، واكتسابه الشرعية الدولية، من ثمرات التنظيم الدولي الراهن؟!

المسلمون في النظام الدولي

اعتبر الإمام الخميني أن موازين القوى والمعادلات السياسية في النظام الدولي الراهن لا تؤدي إلى حفظ وضمان المصالح العليا والحقيقية للمسلمين وللعالم الإسلامي، لأنها موضوعة بالأساس لحفظ مصالح الدول المستكبرة بالدرجة الأولى، والتي يندرج في إطارها فرض الهيمنة الاستكبارية على العالم المستضعف، ومن ضمنه العالم الإسلامي.

هذه هي الفكرة الأساسية التي يدور حولها تصور الإمام الخميني لأوضاع العالم الإسلامي الراهنة والمتردية، باعتبارها نتاج النظام الدولي القائم، وقد تحدث الإمام كثيراً عن هذه المسألة؛ ففي رسالته الموجهة إلى الأمة بتاريخ ٥ ذي الحجة ١٤٠٨هـ، قال الإمام:

«ويجب أن يعلم المسلمون، انه مادام ميزان القوى في العالم لم يمل إلى صالحهم فان مصالح الأجانب ستقدم دائماً على مصالحهم، وسيفتعل الشيطان الأكبر أو الروس كل يوم حادثه بحجة الحفاظ على مصالحهما.

إذا لم يحل المسلمون مشكلاتهم مع ناهبي الشعوب بصورة جدية، وإذا لم

يوصلوا أنفسهم إلى حدود القوة العظمى في العالم، فهل سيكونون حقاً في أمان»؟

وكان الإمام يذكّر المسلمين بهذه الحقيقة المرة بصورة مستمرة، نظراً لأهميتها في تشكيل الوعي السياسي للمسلمين.

ففي بيانه الذي أصدره في ٢٩/ ٩/ ١٩٧٩م، قال الإمام: إن القوى الكبرى الشرقية والغربية تنهب جميع ثرواتنا المادية والمعنوية، وقد جعلونا في حالة فقر وحاجة، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية، أو الثقافية وأكّد: «ان الدول الأفريقية المسلمة تئن اليوم تحت وطأة أميركا وبقية الأجانب وعملائها»، وأضاف: إن العالم الإسلامي اليوم أسير بيد أميركا.

وفي ١٧تشرين الثاني عام ١٩٨٠م أشار الإمام إلى أن ما يعانيه المسلمون من مشاكل إنما هو بسبب قوى الاستكبار العالمي، وقال: إن جميع مشاكل المسلمين تنبع من القوى الأجنبية، فأولئك الذين يريدون الانتفاع من الدول الإسلامية واستغلال ثرواتها، يريدون أن تكون البلاد الإسلامية تحت نير سلطتهم.

وفي ٢٨/ ١٢/ ١٩٨٠، قال الإمام مذكراً بمخططات الدول الأجنبية الكبرى ضد مصالح المسلمين: منذ سنوات طوال والقوى الكبرى تخطط لفرض السيطرة على المسلمين ونهب أموالهم والإغارة على ذخائرهم وثرواتهم.

وكان الإمام الخميني قد تحدث عن مخططات المستكبرين أثناء محاضراته حول «الحكومة الإسلامية»، التي ألقاها في النجف الأشرف، حيث قال في إحدى هذه المحاضرات:وقد وجد المستعمرون في العالم الإسلامي ضالتهم المنشودة؛ وبغية الوصول إلى مطامعهم الاستعمارية، سعوا في إيجاد ظروف ملائمة تنتهي بالإسلام إلى العدم، ولم يكونوا يقصدون إلى تنصير المسلمين بعد إخراجهم من الإسلام، فهم لا يؤمنون بأي منهما، بل أرادوا السيطرة والنفوذ، لأنهم ادركوا دائماً

وفي اثناء الحروب الصليبية أن أكبر ما يمنعهم من نيل مآربهم ويضع خططهم السياسية على شفا جرفٍ هارٍ، هو الإسلام.

ولسنا بحاجة، كما اعتقد، إلى البرهنة على صحة تقويم الإمام الخميني لعلاقة الاستكبار العالمي بالعالم الإسلامي، تلك العلاقة القائمة على أساس الظلم والاستغلال والتبعية، لأن هذه المسألة أصبحت من الوضوح بدرجة تحتاج معها إلى مزيد بيان وايضاح.

الحكومات العالمية

يعتبر الإمام الخميني الحكومات القائمة في اغلب بلدان العالم الإسلامي من مظاهر الشرور الاستكبارية، لأنها حكومات من صنع القوى الكبرى، تجسد الاستقلال الحقيقي للعالم الإسلامي، بل هي أدوات لخدمة المصالح العليا للدول المستكبرة.

يقول الإمام الخميني في خطاب بتاريخ ٩/ ٤/ ١٩٨١: ومع الأسف، ان انحراف اكثر الدول الإسلامية قد تسبب في أن تظل هذه الأمة تحت ضغط القوى الشيطانية الكبرى، وأن تُساق تلك الثروة العظيمة في البلاد الإسلامية إلى الدول الكبرى.

«إن أياً من الحكومات المتسلطة على تلك البلدان الإسلامية لم ولن تفكر بحرية واستقلال ورفاهية شعوبها، بل ان غالبيتها شبه المطلقة؛ إمّا بادرت بنفسها لممارسة الظلم والقمع لشعوبها، وكل ما فعلته كان من أجل مصالحها الشخصية أو الفئوية، أو من أجل رفاهية فئة المترفين والأعيان، فيما كانت الفئات المظلومة وسكنة الأكواخ محرومين من كل مواهب الحياة حتى الماء والخبز وما يُقام به الأوَد، وهؤلاء المساكين مسخرون لخدمة تلك الفئة المترفة المنغمسة في الملذات، وإما أن تكون تلك الحكومات قد نصبتها القوى الكبرى لتجند كل طاقاتها من أجل ربط البلدان والشعوب بها، وتحويل البلدان بمكائد شتى إلى أسواق للشرق والغرب، وجعل

الشعوب متخلفة استهلاكية، فأمّنوا بذلك مصالحهم، ومازالت تلك الحكومات تتحرك وفق هذا المخطط».

وتلعب الأنظمة العميلة دوراً أساسياً ومحورياً في تكريس تبعية العالم الإسلامي للعالم المستكبر، فهي حلقة الربط في هذه التبعية بين العالمين المستضعف والمستكبر.

و«التبعية» من الموضوعات الهامة التي تشغل حيزاً كبيراً في كتابات واهتمامات سياسيي ومفكري العالم الثالث.

ويرى د. اسامة الغزالي حرب أن إدراج أفكار مدرسة «التبعية» ضمن المداخل المعتمدة في دراسة الظواهر السياسية في المجتمعات المتخلفة، ومنها مجتمعات العالم الإسلامي، يعود إلى اعتقاد راسخ بأهمية العنصر الخارجي في تشكيل مجمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في تلك المجتمعات.

وبرغم الكتابات والاسهامات الكثيرة حول التبعية، فانه من المعترف به عدم وجود «تعريف دقيق لمفهوم التبعية»، إلاّ أنّه يجري عادة الاكتفاء بالتمييز بين «التبعية ـ كعلاقة» و«التبعية ـ كمجموع من الأبنية». ويُقر كتاب منظري التبعية، بمن فيهم «دوسانتوس»، هذا التمييز، فيقدم تعريفين للتبعية، هما:

ـ «التبعية هي الموقف الذي تكون فيه اقتصاديات مجموعة معينة من الدول، مشروطة بنمو وتوسع اقتصاد آخر، تخضع له».

ـ «إن التبعية تتعلق بتكثيف البناء الداخلي لمجتمع معين بحيث يُعاد تشكيله وفقاً للامكانيات البنيوية لاقتصاديات قومية محددة».

وإذا كانت الأدبيات السياسية، وخاصة الماركسية المحدثة منها، تعطي للتبعية طابعاً اقتصادياً، بالأساس، على المستوى المعياري والبنيوي والوظيفي، فإن الرؤية الإسلامية للأمر مختلفة، حيث تعتبر التبعية حالة شاملة في المجتمع.

وقد عبر عن هذه الرؤية الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر في كتاب «اقتصادنا»، حيث كتب يقول وقد عبرت التبعية، في العالم الإسلامية لتجربة الإنسان الأوروبي الرائد للحضارة الحديثة، عن نفسها بأشكال ثلاثة زمنياً، ولاتزال هذه الأشكال الثلاثة متعاصرة في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي:

الأول: التبعية السياسية التي تمثلت في ممارسة الشعوب الأوروبية الراقية اقتصادياً حكم الشعوب المتخلفة بصورة مباشرة.

الثاني: التبعية الاقتصادية التي رافقت قيام كيانات حكومية مستقلة من الناحية السياسية في البلاد المتخلفة وعبرت عن نفسها في فسح المجال للاقتصاد الأوروبي، لكي يلعب على مسرح تلك البلاد بأشكال مختلفة ويستثمر موادها الأولية ويملأ فراغها برؤوس أموال أجنبية ويحتكر عدداً من مرافق الحياة الاقتصادية فيها، بحجة تمرين أبناء البلاد المتخلفين على تحمل أعباء التطوير الاقتصادي لبلادهم!

الثالث: التبعية في المنهج الذي مارسته تجارب عديدة في داخل العالم الإسلامي حاولت أن تستقل سياسياً وتتخلص من سيطرة الاقتصاد الأوروبي اقتصادياً، وأخذت تفكر في الاعتماد على قدرتها الذاتية في تطوير اقتصادها والتغلب على تخلفها، غير أنها لم تستطع أن تخرج عن فهمها لطبيعة المشكلة التي يجسدها تخلفها الاقتصادي عن إطار الفهم الأوروبي لها، فوجدت نفسها مدعوة لاختيار نفس المنهج الذي سلكه الإنسان الأوروبي في بنائه الشامخ لاقتصاده الحديث.

وقد أولى الإمام الخميني اهتماماً بالغاً بمسألة التبعية، لاعتقاد بان التبعية هي من إحدى المسببات الرئيسية لتخلف المجتمعات الإسلامية، من جهة، ولاعتقاده، من جهة ثانية، أن النهوض الحقيقي لا يتحقق إلاّ بالتحرر من التبعية وقيودها وتداعياتها.

فكيف كان الإمام الخميني يفهم مسألة التبعية؟ وما هو موقف منها؟

في مواضع متفرقة من خطاب ألقاه بتاريخ ٥ أيلول ١٩٧٩، قال الإمام:

«إن جميع مشاكلنا ومصائبنا وجميع مشاكل الشرقيين، هي إننا فقدنا أنفسنا وجلس غيرنا في مكاننا».

«وعندما يذكرون الموضوعات يستشهدون بأقوال الغربيين، وهذا هو العيب، فانهم متأثرون بالغرب... انهم نسوا ألفاظهم ولغتهم».

لقد نسي الشرقيون مفاخرهم كلها ودفنوها ووضعوا الآخرين مكانها».

«ثقافتنا واقتصادنا كانا غربيين، ولقد نسينا أنفسنا حقاً».

«لقد فقدوا وفقدنا قدرتنا وقضينا على كرامتنا ووطنيتنا، فإن لم يتحرر هذا الشعب من التأثر بالغرب فإنه لن ينال استقلاله».

«مادامت هذه التبعية موجودة فلن تحصلوا على الاستقلال»

«إذا أردتم أن تكونوا مستقلين وان تعترفوا بأنكم شعب بذاته، فعليكم أن تخرجوا من تقليد الغرب؛ فمادمتم مقيدين بهذا التقليد فلا تتمنّوا الاستقلال».

وفي حديث له بتاريخ ٢/ ٤/ ١٩٨١، قال الإمام الخميني: لقد عمل الغربيون، إنجلترا في الماضي وبعدها أمريكا وبقية الدول القوية، ليطمئنوا البلدان الضعيفة بأنها عاجزة حقاً وغير قادرة على أي شيء، وذلك عن طريق الدعايات المستمرة، وعليها أن

تستجدي الدول الكبرى في الشرق والغرب، في مجالات الصناعة والنظام وإدارة البلاد. إن أولئك الذين أرادوا نهب ثروات تلك البلدان الضعيفة وصلوا بعد التفكر والتخطيط إلى أن يجعلوا شعوب هذه الدول تشعر بأنها حقاً ضعيفة. إنهم أرادوا تفهيم البلدان المستضعفة حتى يعتقد الناس بأنهم عاجزون عن الصناعة، ولا يستطيعون إدارة الجيش ولا يقدرون على إدارة البلاد بأنفسهم.. ولقد أدى هذا التصوّر الذي طُبّق عن طريق دعايات المغتربين إلى تخلف وضياع هذه البلدان.

«هذا هو أساس المخططات التي رسمتها القوى العظمى لشعوب العالم الضعيف، وإن الكتّاب الذين كتبوا في سبيلهم والمتأثرين بالغرب التابعين لهم دافعوا بشدة عن هذا الموضوع، حتى اطمأن أهالي هذه البلدان بأنهم لا يستطيعون عمل شيء وليست لهم القدرة في إدارة أي أمر من أمور البلاد أو أمور الجيش أو الصناعة أو سائر الأمور التي تدخل ضمن مظاهر حضارة الإنسان، وعليهم أن يتبعوا الغرب والقوى العظمى ويأخذوا منهم المستشارين العسكريين ومدراء لإدارة البلاد.. إنهم يبقون إلى النهاية اتباعاً خاضعين بسب هذه العقيدة».

«المهم أن تتحرر أفكاركم... تحرر من التبعية للقوى الكبرى، فإذا تحررت أفكاركم وعلمتم أننا نستطيع أن نكون صناعيين فسوف نكون كذلك. إن كانت أفكاركم وإيمانكم أننا نقدر أن نعيش مستقلين ودون التبعية للغير فسوف تقدرون على ذلك، إذا آمن الفلاحون بقدرتهم على التقدم في الزراعة وحتى نتمكن من التصدير وعدم التبعية للغير، بل الغير يحتاج إلينا، فإننا نتمكن من ذلك».

وفي وصيته الأخيرة، كتب الإمام: أوصي الشعب العزيز، انطلاقاً من الحرص عليه والرغبة في الخدمة، بأن عليكم باليقظة والحذر ومراقبة محترفي السياسة المرتبطين بالشرق أو الغرب، كي لا يسوقوكم بوساوسهم الشيطانية إلى تبعية هؤلاء السرّاق الدوليين...

«أوصيكم بأن تنتفضوا لقطع دابر التبعيات بإرادتكم الصلبة وجهدكم الدؤوب، واعلموا أن الجنس الآري أو العربي لا يقل عن جنس شعوب أوربا وأمريكا وروسيا، وإذا اكتشف ذاته وأبعد اليأس عن نفسه ولم يتطلع إلى غير ذاته فإنه قادر على انجاز أي عمل وصنع أي شيء على المدى البعيد، وبذلك ستصلون إلى ما وصل إليه أمثال هؤلاء، شريطة التوكل على الله والاعتماد على النفس، وقطع التبعية للآخرين، وتحمل الصعاب من أجل تحقيق حياة كريمة والخلاص من تسلط الأجانب...».

ان لغة الإمام من الوضوح بمكان، بحيث أنها لا تحتاج إلى شرح، ومن أجل ذلك، فإننا سنحاول تكثيف أفكار الإمام حول مسألة التبعية كما يلي:

١ ـ إن التبعية بالأساس مسألة نفسية، وبالتالي ثقافية، قوامها فقدان الشعب التابع ثقته بنفسه من جهة، وانبهاره المطلق بالشعب المتبوع إلى درجة التقليد أو الاتباع الأعمى له، من جهة ثانية.

وهذا هو جوهر معنى التبعية الذي يشير إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضغفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾[١٤].

﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا﴾[١٥] فالتبعية علاقة بين طرفين: المستكبر، والمستضعف. والاستضعاف، في الأساس، موقف

نفسي وفكري يسيطر على المستضعف بازاء المستكبر، يؤدي إلى خضوعه له.

فالتبعية، إذن، تبدأ من حالة ضعف نفسي عند الشعب المستضعف، وهذا ما سوف يؤثر لاحقاً على أسلوب معالجة الإمام الخميني لمسألة التبعية، وهذا يعني ان احتكاك أي دولة مستكبرة بشعب مازال على ثقته العالية بنفسه، لن يؤدي بالضرورة إلى تبعية هذا الشعب لهذه الدولة، بل ان «العامل النفسي» حين يكون وضعه سليماً سيخلق «قوة مقاومة» عند الشعب الذي تعرضت له الدولة المستكبرة بالغزو السياسي، أو العسكري، أو الثقافي، أو الاقتصادي.. وهذه القوة سوف تؤدي بالتدريج إلى: إما تأثر الدولة الغازية بالشعب المغزو، كما حصل للمغول الذين اسقطوا الدولة الإسلامية العباسية وفتحوا عاصمتها بغداد عام ٦٥٨هجرية، فأسلم الغزاة ولم يتأثر الشعب الذي تعرض للاحتلال، أو إلى انبثاق ارادة النهوض الحضاري عند الشعب المغزو، لينصرف إلى نفسه وبناء حضارته الجديدة، كما حصل ويحصل الآن للشعب الياباني، الذي انهزم عسكرياً أمام الولايات المتحدة الاميركية في الحرب العالمية الثانية.

فالأساس اذن، هو في هذه «المقاومة» التي يخلقها العامل النفسي القوي، أو في «السلبية» التي يخلقها العامل النفسي الضعيف، وهو ما يسميه الكاتب الجزائري مالك بن نبي «القابلية للاستعمار».

ما حصل لشعوبنا الإسلامية، حسب رؤية الإمام، هو غزو المستكبرين لها في إحدى لحظات ضعفها النفسي.. ففقدت القدرة على المقاومة، ما عدا بعض الجيوب الاستثنائية، فاستغل الاستكبار حالة «الضعف» هذه، وحولها إلى حالة «تخلف».

وفي إطار هذا الفهم لدور العامل النفسي يمكن أن نفهم علاقة التبعية بين «المركز» أو القلب، و«المحيط» أو التخوم، اللذين يترددان كثيراً في أدبيات مدرسة

التبعية، منذ أن استعملها لأول مرة الاقتصادي الأرجنتيني «راؤول بريش» في تحليل نشره عام ١٩٤٩.

وبهذا «العامل النفسي» تفترق المدرسة الإسلامية، التي يمثلها الإمام الخميني، عن مدرسة التبعية، في تحليلها لحالة التخلف، وبالتالي التبعية، للرأسمالية العالمية، حيث ترى مدرسة التبعية، حسب نص اندريه فرانك، أن تغلغل السيطرة الرأسمالية لبلدان المراكز إلى البلاد التابعة، لم يؤدِّ إلى نمو الرأسمالية في تلك البلاد التابعة، مثلما نمت في المركز، ولكنها اتخذت شكلاً آخر وتبلورت أنماط إنتاجية رأسمالية، ولكنها متخلفة، وتابعة، ومشوهة.

٢ـ إن أساس الشعور بانعدام الثقة لدى الشعوب المستضعفة، مهما تكن المسببات الآخرى، هو من عمل الغربيين؛ فالغرب عمل عبر سنوات طوال، من الغزو الفكري، على خلق هذا الشعور السلبي، أو تنمية بذوره الأولى في حال وجودها في رحم المجتمعات الضعيفة، وعمل على استغلال حالة الضعف العام الموجودة في هذه المجتمعات من أجل إشاعة حالة عدم الثقة بالنفس في مقابل الانبهار بالغرب، والتي ستكون لاحقاً الأساس النفسي لحالة التخلف والتبعية في المجتمعات الضعيفة. وهنا، بالضبط، يأتي الموقع، أو الدور التخريبي إلى أقاليم العالم الإسلامي، فضلاً عن الدور الذي لا يقل خطورة عن ذلك، والذي مارسه الإعلام الغربي في هذا الخصوص. ومن غريب الصدف أن «التبعية الإعلامية» التي تعاني الآن منها البلدان النامية هي، ربما، من أشد أشكال التبعيات إضافة إلى كونها شديدة الوطأة، كونها «غير منظورة» بالعين المجرّدة!

٣ـ غير أن التأكيد على «العامل النفسي» لا ينفي حقيقة أن التبعية تحولت لاحقاً إلى حالة شاملة، بل ان هذا هو المطلوب، وبالتالي، فان العامل النفسي المحاط

بعوامل داخلية وظروف خارجية اخرى، انتج، في سياق المخطط الاستكباري، الأشكال المتعددة المعروفة للتبعية الصناعية، والتبعية الإعلامية، وغير ذلك.

٤ـ وتلعب الحكومات المحلية العملية، والنُّخب الفكرية التابعة فكرياً للاستكبار، دوراً كبيراً في تكريس التبعية للاستكبار، حسب تحليل الإمام الخميني. وهو استنتاج تدعمه معطيات الواقع الملموس بدرجة مطلقة. وقد أوردنا أقوال الإمام في فقرة سابقة فلا نعيد، ولكننا نشير استطراداً إلى أن هذه النظرة تتفق مع قول مدرسة التبعية بأن «البرجوازية التابعة» ـ أي النخب العميلة الحاكمة ـ «تقوم بدور أساسي في تدعيم حلقة التبعية والتخلف». ولذلك، فإن الحكومات والنخب التابعة الحاكمة تلعب دوراً خطيراً في استمرارية التبعية وفي آلية اشتغالها، كونها توفر الأطر الرسمية والقانونية لدوران عجلة التبعية واشتغالها في داخل المجتمع التابع. وإذا تذكرنا القاعدة القائلة بأن الدولة أقوى من المجتمع في البلدان المتخلفة، استطعنا أن نتصور بشكل أوضح خطورة هذا الدور، الأمر الذي سيؤثر على «استراتيجية» التحرر من التبعية التي وضعها الإمام وتحرك على أساسها حتى حقق أهم بنودها، بفضل من الله تعالى.

٥ـ والآن، ما هو الموقف من حالة التبعية؟ هل يتعين الإذعان إليها أم يجب التمرد عليها؟

كما في كل مواقفه، يبدو الإمام الخميني في هذه المسألة واضحاً وحاسماً إلى حد القطع. يجب رفض التبعية والتمرد عليها، لأنها تفتقد لأي أساس موضوعي، فليس شعبٌ أفضل من شعب، ولا تملك شعوب أوروبا واميركا وروسيا مزايا تكوينية أفضل من تلك التي يمتلكها مثلاً الشعبان الآري والعربي! وانه لأمر جدير بالملاحظة أن الكثير من احاديث الإمام الخميني عبارة عن خطاب تحريضي يدعو

الشعوب التابعة إلى التمرد على حالة التبعية، والثورة على الاستكبار، ورفض ممثليه المحليين، على مستوى الحكومات أم على مستوى النخب الثقافية.

٦ـ والخلاص من التبعية ضرورة؛ فهو ليس مجرد رغبة «وطنية» أو «قومية» تعبر عن حالة نفسية أو شعورية، بل هو ضرورة عملية لتحقيق الاستقلال والتنمية، ومن ثم تطبيق الإسلام في آن واحد. فلا يمكن تحقيق استقلال حقيقي في ظل التبعية. وفي ظلها أيضاً، يبقى الحديث عن التنمية «هواءً في شبك» لأن القوة المستكبرة المتبوعة لن تسمح للشعوب المستضعفة التابعة بأن تحقق نمواً حقيقياً. وأخيراً فان إقامة نظام إسلامي يبقى حلماً بعيد المنال ما لم تتحرر الشعوب الإسلامية من اسر التبعية للغرب أو الشرق. وفي هذا السياق ستبقى صرخة الإمام مدوية وبأفق كوني طاغٍ، وهو يخاطب الشعوب المستضعفة في وصيته قائلاً: «فانتفضوا يا مستضعفي العالم، وأيتها البلدان الإسلامية، ويا أيها المسلمون، وانتزعوا الحق بقوة.. لا ترهبوا ضجيج دعايات القوى الكبرى وعملائها، واطردوا من بلدانكم الحكام الجناة الذين يسلمون حصاد كدحكم لأعدائكم وأعداء الإسلام العزيز، وامسكوا أنتم والمؤمنون العاملون لخدمة الشعب بزمام الأمور والتفوا جميعاً حول راية الإسلام المجيدة، وانتفضوا مدافعين في مواجهة أعداء الإسلام... وتقدموا باتجاه تأسيس حكومة إسلامية في جمهوريات حرة مستقلة، وبتحقق ذلك ستكبحون جماح مستكبري العالم كافة، وسيصل المستضعفون كافة لامامة ووراثة الأرض، على أمل تحقق ذلك اليوم الذي وعد الحق تبارك وتعالى».

٧ـ الإمام يرى أن التحرر من التبعية امر ممكن، وربما يختلف في نظريته هذه عن مقولات مدرسة التبعية التي ترى صعوبة تحقيق ذلك في ظل النظام الدولي

الراهن. ولكنها غير قادرة على سلب إرادة التحرر من هذه الشعوب بصورة كاملة. والأصل في الفعل، عند الإمام، هو الإرادة. فالإرادة الحرة تصنع الفعل الحر، والإمام يتخذ من «التجربة الإسلامية في ايران» دليلاً على إمكان ذلك، حيث يقول في خطاب ٢/ ٤/ ١٩٨١، مخاطباً الشعب الايراني: «لقد فهمتم وأفهمتم الدول والشعوب المستضعفة خلال هذه المدة التي انقضت من ثورتكم وقيامكم أنه يمكن الوقوف أمام أمريكا المتجبرة وروسيا الطاغية. لقد ثرتم ثورة الرجال منذ سنتين ووقفتم أمامهم وقطعتم أيدي الجميع عن بلادكم، ورأيتم كيف كان ذلك أمراً ممكناً تقدورن عليه، بالرغم من أنكم لا تماثلونهم في القوة العسكرية والقوة الصناعية، ولكنكم صمدتم، وكل شعب عزم على أمر واعتقد أنه يستطيع إنجازه فانه سيحققه حتماً، فالأساس هو الثقة بالنفس».

٨ـ وحين يكون الإمام بصدد تحديد بداية الطريق للسير الثوري من أجل التحرر من التبعية، فانه يعود إلى اصل تحليله لمسألة التبعية، أي إلى العامل النفسي، وبالتالي الإنسان نفسه. والإمام يرى «إن منشأ جميع الهزائم والانتصارات هو الإنسان نفسه. الإنسان أساس الانتصار وأساس الهزيمة». وإذن فالخطوة الأولى لفك أسر التبعية تتجسد، وتتلخص، بتحرير الإنسان نفسه من التبعية للشرق أو الغرب.. وتحرير نفس الإنسان من التبعية، يعني:

ـ عودة الثقة بالذات... العودة إلى الذات..

ـ القضاء على الانبهار الفكري والنفسي بالغرب أو الشرق.

ـ الإيمان بالقدرة الذاتية على الخلاص من التبعية، والإيمان بإمكانية ذلك.

وثم إقصاء الحكومات والنخب العميلة.

ويتحدث الإمام في مواضع كثيرة ومناسبات مختلفة عن الخطوات العملية الواجب اتخاذها بعد إقصاء الحكومات العميلة للقضاء على التبعية وتكريس الاستقلال.

البراءة من النظام الدولي الاستكباري

في السنة التاسعة للهجرة، أي بعد تسع سنوات من قيام الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة، بقيادة الرسول محمد ﷺ، نزلت سورة براءة، أو التوبة، التي يقول مطلعها:

﴿**براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين**﴾، وفي عام ١٤٠٧هـ، اصدر الإمام الخميني «بيان البراءة» أي بعد حوالي ٨ سنوات من قيام النظام الإسلامي في ايران بقيادة الإمام. وقد تضمن بيان البراءة التاريخي، اعلاناً قطعياً ونهائياً ببراءة الإمام، ومعه النظام الإسلامي، من النظام الدولي القائم، جسدت الاتساق الطبيعي والموضوعي لنظرة الإمام إلى هذا النظام ودوره البشع في إلحاق الأذى بالنسبة للشعوب الإسلامية والمستضعفة كافة. ومما جاء في بيان البرءة: إن صرخة براءتنا من المشركين والكفار اليوم هي صرخة البراءة من الظلم والظالمين، وصرخة أمة ضاقت ذرعاً باعتداءات الشرق والغرب وعلى رأسها أميركا وأذنابها، وغضبت من نهب بيتها وثرواتها.

إن صرخة براءتنا هي صرخة الشعب الأفغاني المظلوم، وإني لآسف لعدم استجابة الاتحاد السوفياتي لنصحي وتحذيري بشأن أفغانستان فهاجم هذا البلد الإسلامي.

«كذلك فإن صرخة براءتنا هي صرخة الشعوب المسلمة في أفريقيا، صرخة إخواننا وأخواتنا في الدين الذين يكتوون بسياط ظلم الظالمين العنصريين بسبب لونهم الأسود».

«إن صرخة براءتنا هي صرخة الشعبين اللبناني والفلسطيني وجميع الشعوب والبلدان الأخرى التي تنظر إليها القوتان العظميان الشرقية والغربية خاصة أميركا وإسرائيل بعين الطمع، وتقوم بنهب ثرواتها وفرض عملائها ومرتزقتها على شعوبها، وتهيمن على أراضيها من على بعد آلاف الكيلومترات وتحتل حدودها المائية والبرية».

«إن صرخة براءتنا هي صرخة جميع الذين ما عادوا يتحملون تفرعن أميركا وتواجدها السلطوي، ولا يريدون أن تخمد صرخة غضبتهم وتذمرهم، وتخنق في حناجرهم إلى الأبد، وعقدوا العزم على العيش حياة حرة كريمة والموت أحراراً وأن يكونوا هم الصرخة المدوية للأجيال».

«إن صرخة براءتنا هي صرخة الدفاع عن الشعوب والكرامات والنواميس، صرخة الدفاع عن الثروات والرساميل، انها الصرخة المؤلمة للشعوب التي مزقت قلوبها خناجر الكفر والنفاق».

«صرخة براءتنا هي صرخة الفقراء والجياع والمحرومين، الذين نهب الجشعيون والقراصنة الدوليون حصيلة كد يمينهم وعرق جبينهم، أولئك الذين امتصوا دماء الشعوب الفقيرة والفلاحين والعمال والكادحين باسم الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية، وربطوا العصب الحيوي لاقتصاد العالم بأنفسهم وحرموا شعوبه من استيفاء أبسط حقوقها المشروعة».

ولن نملك بلاغة أقوى وأوضح من كلمات الإمام في بيان موقفه العام، أو هناك كلمة ابلغ في التعبير عن هذا الموقف من كلمة «البراءة». إن الإمام يرفض الاعتراف بالنظام الدولي، بمعنى الاعتراف بمشروعيته وحقانيته ومصداقيته، فهو نظام ظالم، وبالتالي غير مشروع، والدفاع عن مصالح المسلمين ومصالح

المستضعفين يستدعي رفض هذا النظام والتصدي له. ويرفع الإمام مسألة صراعه السياسي والتاريخي مع النظام الدولي إلى درجة الشأن الشخصي الخاص، حين يقول، في بيان البراءة:«ولتكن القدرات والقوى الكبرى وعملاؤها على ثقة بأن الخميني سيواصل طريق الجهاد ضد الكفر والظلم والشرك وعبادة الأصنام حتى لو ظل وحيداً، وسيسلب بعون الله تعالى، وبمؤازرة متطوعي العالم الإسلامي الحفاة الرازحين تحت نير، الدكتاتوريين، سيسلب النوم من أجفان السلطويين والعملاء الذين يتمادون في ممارسة الظلم والاضطهاد».

وإذن، فنحن بصدد دعوة صريحة، ولكن ساخنة جداً، إلى الثورة على النظام الدولي الظالم وتغييره. والإمام لم ينفك يكرر هذه الدعوة، وكأنه يسعى إلى ثورة عالمية، تقوم بها الشعوب المستضعفة، لتأسيس نظام دولي جديد. وبصدد دعوة الإمام إلى الثورة العالمية على النظام الدولي، سوف نجد أنفسنا في بحر من النصوص والكتابات والخطابات الثورية، التي ترفع نداء الثورة مثل:

ـ من نداء بتاريخ ٢٩ رمضان ١٤٠١هـ: «ينبغي للمسلمين في كل بقاع العالم أن يخلصوا انفسهم من أسر وعبودية الشياطين الكبار والقوى العظمى».

«انهضوا وخذوا زمام مقدراتكم بأيديكم. إلى متى تقعدون لتعيّن واشنطن وموسكو مقدراتكم؟».

ـ من نداء تاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٩٧٩: «يا مستضعفي العالم، انهضوا وتحالفوا واطردوا الظالمين من الميدان، فإن الأرض لله وورّاثها المستضعفون».

ـ من البيان التاريخي بتاريخ ١ ذي الحجة ١٤٠٧هـ: «يتحتم على جميع المسلمين والمستضعفين في العالم أن يستغلوا الفرصة المتاحة ويتكاتفوا ليحرروا أنفسهم من قيود الدول العظمى».

ـ من خطاب الإمام بتاريخ ٥ محرم ١٤٠٨هـ: «أيها المسلمون في جميع اقطار العالم، لا تفكروا في الابقاء على الوضع القائم، بل فكروا في التخلص من الأسر وفي التحرر من العبودية والثورة على أعداء الإسلام».

«لم يبق امامنا إلاّ الجهاد، ويجب تهشيم مخالب الدول العظمى وأسنانها، وبخاصة أميركا».

وينبغي أن نلاحظ أن أميركا تحتل حصة الأسد من دعوة الإمام إلى الثورة؛ فأميركا هي «أم الفساد» (خطاب بتاريخ ٢١/ ٢/ ١٤٠٢هـ). والنظام الدولي هو، في التحليل الأخير، يخضع في جزء كبير منه إلى الهيمنة الأميركية، بل «إن العالم الإسلامي اليوم ـ كما قال الإمام في ٢٩/ ٩/ ٧٩ ـ أسير بيد أميركا». ولذا نجد أن الإمام يحدد موقفه «الاستراتيجي» من أميركا في نداء تاريخ ٦/ ٦/ ١٩٨١، قائلاً: «يجب أن تعلم أميركا أن الشعب العزيز والخميني لن يسمحا لها بالراحة حتى القضاء التام على مصالحها، ويستمران في النضال الإلهي حتى قطع يديها». وكما انطلق الإمام في دعوته إلى التحرر من أسر التبعية، فانه هنا ينطلق في دعوته إلى تغيير النظام الدولي من إيمانه بإمكانية ذلك أيضاً، حيث يقول في بيانه التاريخي بتاريخ ١ ذي الحجة ١٤٠٧هـ: «إن قصور الاستكبار العالمي وقدراته العسكرية والسياسية لهي أشبه ببيت العنكبوت، سهل التمزق».

بل إن الإمام لا يتحدث فقط عن الامكانية؛ انه يبشر بالوقوع، يبشر ببزوغ فجر النظام الدولي الجديد، فيقول في خطابه بتاريخ ٥ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ: «لقد شارف عهد القنوط واليأس في منطقة الكفر على الانتهاء وازدهرت حدائق الشعوب».

المحور الثالث
التغيير الثوري للنظام الدولي القائم

في سياق أحاديثه عن ضرورة تغيير النظام الدولي الراهن، حدد الإمام أهداف عملية التغيير التي يمكن تكثيفها بما يلي:

أولاً: القضاء على الفساد، بمختلف أنواعه وأشكاله، في العالم:

وتحدث الإمام عن هذا الهدف في وقت مبكر؛ ففي تصريح بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٩٧٩، قال: «نحن نريد أن نعرف أصل الفساد ونعرفه للعالم لكي نقضي على الفساد في العالم».

وفي خطاب ٥ ذي الحجة ١٤٠٨هـ، قال الإمام: إننا نعتزم إيباس الجذور الفاسدة للصهيونية والرأسمالية والشيوعية في العالم، لقد قررنا أن نستأصل ـ بعون الله العظيم وعنايته ـ الأنظمة القائمة على هذه القوائم الثلاث.

«إننا سنمنع بكل وجودنا وطاقاتنا توسع الابتزاز الأميركي وتوسع حصانة عملاء أميركا، حتى لو اقتضى الأمر منا الكفاح بالثورة».

ثانياً: تحرير العالم الإسلامي وتوسيع النفوذ السياسي للإسلام:

لقد شغل العالم الإسلامي، كله، ومظلومية شعوبه، وخضوعه لهيمنة الدول الكبرى، حيزاً كبيراً جداً من اهتمام الإمام وجهاده. وكان الإمام ينظر إلى العالم الإسلامي كوحدة حضارية سياسية وتاريخية وجغرافية وبشرية واحدة، وقد جعل من أهداف الثورة الإسلامية العمل على تحرير العالم الإسلامي من سيطرة المستكبرين،

والانطلاق من عالم إسلامي متحرر، إلى توسيع النفوذ السياسي في كل مناطق العالم.

وفي هذا الصدد قال الإمام في خطاب ٥ ذي الحجة ١٤٠٨هـ: إننا مع اعلاننا البراءة من المشركين، كنا ومانزال مصممين على تحرير الطاقات المكبوتة للعالم الإسلامي.

«إننا كنا وما نزال نسعى لتوسيع نفوذ الإسلام في العالم».

«لقد قررنا أن نشيع في عالم الاستكبار نظام اسلام رسول الله ﷺ وستشهد الشعوب الأسيرة ذلك عاجلاً أم آجلاً».

إن مجموع كلمات الإمام حول هذه المسألة تسمح بالاعتقاد أن الإمام الخميني كان يفكر، فضلاً عن تغيير العالم بأكمله، بإقامة نظام دولي اقليمي يشمل العالم الإسلامي كله، وربما تكون إيران مركزه، لكي يكون بإمكان المسملين مقارعة النظام الدولي الاستكباري. فقد كان الإمام يتحدث عن تحول المسلمين إلى «أمة لا تقهر وبنيان مرصوص، لا تستطيع معه القوى العظمى الشرقية والغربية الوقوف بوجهها» (البيان التاريخي في الأول من ذي الحجة عام ١٤٠٧هـ)، وقال الإمام الخميني كلمته التاريخية والقاطعة بهذا الصدد في خطاب ٥ ذي الحجة ١٤٠٨هـ: « إنني اعلنها بصراحة أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تؤسس وتعمل بكل وجودها لاحياء الشخصية الإسلامية لمسلمي العالم كله، ولا ترى سبباً لأن تمتنع عن دعوة مسلمي الدنيا إلى تأييد مبدأ امتلاك السلطة في العالم».

وقال: «علينا بكل وجودنا أن نبذل ما في وسعنا، من أجل التعاون مع شعوب العالم وحل مشكلات المسلمين وقضاياهم، والدفاع عن المكافحين والجائعين والمحرومين، وان نعد هذا الهدف من مبادئ سياستنا الخارجية».

«إننا نعلن أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية هي إلى الأبد حامية المسلمين

الأحرار في العالم وملجأهم، وأن دولة إيران ـ بصفتها قلعة عسكرية منيعة ـ ستؤمن لجنود الإسلام احتياجاتهم، وستعرفهم بالأسس المعتقدية والتربوية للإسلام، وكذلك بمبادئ الكفاح وأساليبه ضد أنظمة الكفر والشرك».

واعتقد أن هذه المسألة، أي مسألة «النظام الاقليمي الإسلامي» في الفكر السياسي للإمام الخميني بحاجة إلى بحث أوسع وأعمق، لأهميتها الخاصة، الأمر الذي ينوء بحمله هذا المقال.

ثالثاً: إقامة العلاقات الدولية، أو النظام الدولي الجديد، على أساس العدل والمساواة ورفض الظلم:

حدد الإمام الخميني هدفاً آخر لاستراتيجية التغيير الثوري للنظام الدولي القائم، وهو إقامة العلاقات الدولية، التي هي التعبير الأكثر شمولية عن آلية اشتغال النظام الدولي، على أساس العدل والمساواة ورفض الظلم. ويستند الإمام في هذا ـ كما في غيره ـ إلى الإسلام الذي «لا يظلم أحداً ولا يقبل الظلم» (خطاب بتاريخ ١٩/ ٥/ ١٩٧٩)

وقد شرح الإمام هذا المفهوم من حديث بتاريخ ١٧/ ١٢/ ١٩٧٩، قال فيه: وأما العلاقات فيجب أن تكون متقابلة، وأما العلاقات التي على أساس الظلم والاعتداء فاننا في غنى عنها.

«لا تكون العلاقات على أساس أن يجلس شخص في القصر الأبيض ويأمرني بأن أعيش في الكوخ أو أن يكون هو الحاكم، وأكون أنا المحكوم!»

وفي الذكرى الثانية لانتصار الثورة الإسلامية، أي في شهر شباط ١٩٨١، قال الإمام:

«إن الأمة الإسلامية تعتنق مبدأ يمكن تلخيصه في كلمتين: لا تَظلِمون ولا تُظلَمون».

ويحرص الإمام الخميني على تأكيد حقيقة أساسية مفادها أن تغيير النظام الدولي القائم، الظالم، وتحقيق الأهداف المحددة للجهاد الإسلامي على الصعيد العالمي، ومن ثم اقامة النظام الجديد، العادل، يتطلب ثمناً باهظاً على الإسلاميين الرساليين والدولة الإسلامية دفعه؛ لأن تحقيق الأهداف الكبيرة لا يتم بدون مقابل، والمقابل المقصود هو التضحيات التي يتعين على الإسلاميين تقديمها.

يقول الإمام الخميني: «لقد أدركنا تماماً أن علينا دفع الثمن باهظاً من أجل تحقيق الهدف الإسلامي الكبير، وأن نقدم ضحايا أعزاء من أجل ذلك الهدف الإلهي».

ويؤكد: «ليعلم الشعب الإيراني الشريف وجميع مسلمي وأحرار العام بأننا لو أردنا الوقوف على أقدامنا من دون الاعتماد على قوى اليسار واليمين فان علينا دفع ثمن باهظ من أجل الحرية والاستقلال».

السلوك السياسي على الصعيد الدولي

بناءً على هذه النظرات المبدئية المنبثقة من الأسس الإسلامية أو المنسجمة معها، صاغ الإمام، إما عبر التنظير البحت، أو من خلال الممارسة العملية، خطَّ السلوك السياسي للدولة الإسلامية، والإسلاميين عموماً، على الصعيد الدولي، ويمكن تلخيص قواعد هذا السلوك بما يلي:

١ـ إن الرفض المبدئي للنظام الدولي القائم لا يعني رفض التعامل السياسي مع مقرراته المختلفة، بالشروط وضمن المبادئ التي يضعها الطرف الإسلامي. إلا أن مبدأ التعامل يتحرك من المنع إلى الجواز، بناءً على المصلحة الإسلامية العليا التي يراها القائد الأعلى للدولة الإسلامية.

وقد قدّم الإمام الخميني مثلاً عملياً على هذه المسألة، وهي قضية رفض ومن ثم قبول القرار الدولي رقم ٥٩٨، القاضي بايقاف الحرب العراقية الإيرانية، فقد فسر الإمام قبوله بالقرار القول: «وافقت على القرار الدولي وعلى وقف النار، وأرى ذلك في المرحلة الحاضرة في مصلحة الثورة والجيش». (خطاب ٥ ذي الحجة ١٤٠٨هـ)

٢ـ لمبدأ الأساس والقاعدة العامة التي يتحرك فيها الطرف الإسلامي على الصعيد الدولي هي: «لا شرقية ولا غربية». وقد شرح الإمام هذا المبدأ عدة مرات، فقد قال في ١١/ ٧/ ٧٩:

«لا شرقية ولا غربية» ـ معنى ذلك أننا لا نسمح لأحد بالتدخل في شؤون إيران.

وقال في بيانه التاريخي (١ ذو الحجة ١٤٠٧هـ): «إن شعارنا اللاشرقية واللاغربية هو شعار الثورة المبدئي في عالم الجياع والمستضعفين، والذي يجسد السياسة الحقيقية والنمط الحقيقي لعدم انحياز الدول الإسلامية، والدول التي ستقبل في المستقبل القريب، وبعون الله، الإسلام كرسالة منقذة للبشرية».

٣ – كما وضع الإمام عدداً من المبادئ الحاكمة للسلوك السياسي للطرف الدولي الإسلامي، منها:

«إن الأمة الإسلامية تعتنق مبدأ يمكن تلخيصه في كلمتين: لا تَظلِمون ولا تُظلَمون».

«ولا نريد الاعتداء على أي بلد طبقاً لما أمرنا به الإسلام ولا نريد الاعتداء على أحد، ولا ينبغي لنا ذلك».

«نحترم الاتفاقيات».

خاتمة الدراسة
صاحب الزمان إمام المستضعفين

كما رأه الإمام الخميني

إن يوم الخامس عشر من شعبان محطة عزيزة على قلوب المسلمين والمؤمنين والموالين، لا سيما أهل هذا الزمان، ففيه كانت اشراقة وجه الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على الدنيا وعالم الإمكان.. وهو الامام الذي يرتبط اسمه بتحقيق مهمة إلهية تنتهي بإقامة العدل والقسط والسلام على عالم الانسان والكائنات، بعد حقبات من الاضطراب والخوف والقلق.. وهو الامام الذي أنيطت به مهمة الانتقام والثأر لجميع الانبياء والاولياء والمؤمنين في طول الزمان وعرض المكان.. وهو الامام الذي سيتحقق على يديه الوعد الإلهي المتمثل بالمن على المستضعفين الذين يتوج الله تعالى حركة استضعافهم نصراً وعزاً لهم، بجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين للأرض وما عليها..

ولأجل هذه الحقيقة اختار الامام الخميني عيد مولد الامام المهدي ليكون يوماً للمستضعفين الذين بذل جل حياته من أجل الدفاع عنهم وعن قضاياهم، ومن أجل استنهاضهم وتحريضهم وحثهم على القيام بغية استرداد حقوقهم من أيدي المستكبرين والناهبين لخيراتهم وثرواتهم. وهو لأجل ذلك دعا الى وحدة المستضعفين على امتداد العالم، ومما قاله في هذا الصدد: «يا مستضعفي العالم، انهضوا واتحدوا واطردوا الظالمين، فإن الأرض لله وورثتها هم المستضعفون». واعتبر ان هذه الوحدة مقدمة في سبيل انشاء جيش المستضعفين الذي يضم في صفوفه هذه الفئة من أتباع جميع الديانات ومن الناس كافة، حتى تصل النوبة الى المواجهة بين

حزب المستضعفين وأعدائهم من المستكبرين والمستعمرين الذين يؤكد الامام الخميني أنهم سوف يُهزمون في اذا اتحد المستضعفون ونهضوا في مقابلهم، ولن يجد المستكبرون بداً من إلقاء ما في أيديهم من وسائل استكبارهم والانسحاق تحت عجلة الركب الذي سوف يتصدره المستضعفون الذين يمثلون الأكثرية في العالم، والذين تقلصت لديهم فرص تحقيق ذواتهم وإظهار مواهبهم وإبداعاتهم والعيش بكرامتهم بسبب التسلط الاستكباري ونهب امكاناتهم وسلب اراداتهم من قبل مجموعة قوى مستكبرة وظالمة وغاصبة..

إن الدعوة التي أطلقها الامام الخميني نحو وحدة المستضعفين وقيامهم هي المؤشر الى العصر الذي أعلنه الامام، بأنه عصر المستضعفين وانتصاراتهم وتحقيقهم لوجودهم وإثباتهم لحقهم، حيث اعتبر الامام الخميني أن الاستكبار آيل الى الزوال وأن حقيقته واهية، وأن المستضعفين مع قليل من الجهد والجهاد قادرون على رمي المستكبرين خارج معترك التاريخ وبعيداً عن سياقه، وبالتالي فإن العصر يتجه نحو تحقيق ارادة الله ووعده الذي وعده عباده الصالحين والبشر المستضعفين من أتباع الحق المنتشرين في أصقاع الأرض والمنتمين الى رسالات الله المختلفة، والذين يعتقدون برسل الله وكتبه ورسالاته. وحول هذا الوعد يقول الامام الخميني: إن النصر النهائي يكمن في انتصار جميع المستضعفين على جميع المستكبرين.

الهوامش:

(١) الشيخ محمد مهدي التسخيري ـ نظرة الإمام الخميني إلى صراع الاستكبار والاستضعاف ـ مجلة التوحيد، العدد ١٢– ١٤٠٨

(٢) النحل/ ٣٦.

(٣) هود ٨١.

(٤) القصص/ ٥.

(٥) الكلمات القصار للإمام الخميني، ص١٢٧.

(٦) نفسه، ص١١٦.

(٧) الكلمات القصار، ص١١٦.

(٨) الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

(٩) الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

(١٠) الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

(١١) الكلمات القصار، ص٥٥ـ٥٧.

(١٢) القضية الفلسطينية في كلام الإمام، ص٢٣٤.

(١٣) القضية الفلسطينية في كلام الإمام، ص١٨١.

(١٤) سبأ: ٣١ ـ ٣٣

(١٥) البقرة ١٦٦ ـ ١٦٧

الأسس والجوانب الثورية في فكر الإمام الخميني

مجدي عبد الهادي

مقدمة

الرجل العظيم هو دور تاريخي

لا يشكل الرجل العظيم ظاهرة متخارجة وواقعها، بكافة معاني هذا الواقع جغرافياً وتاريخياً، بل هو دائماً وبالضرورة ابنا باراً بهذا الواقع، من حيث معايشته له، وولوغه فيه، واندماجه به.

فلا يكون هذا الرجل العظيم عظيماً إلا بقدر ما يتماهى واتجاه الحركة التاريخية، وقوانينها الحاكمة في إطار واقعه المُعين، حيث تُناط هذه العظمة بمدى وعيه باتجاهات هذا الواقع، ومتطلباته التاريخية، وبمدى موضعه هذا العظيم لذاته ومُجمل فعاله ضمن السياق والاتجاه العام للحركة التاريخية، بما يدفعها قدماً على طريق التقدم الاجتماعي والإنساني.

وكثيرة هي النظريات التي صيغت في مفهوم البطولة، وفي معنى العظمة، وقد بلغ الشطط ببعضها أن تفسر التاريخ على ضوء البطولة، فترى التاريخ موضوعاً للإرادة البشرية للأبطال والعظماء والأقوياء، من سياسيين وعسكريين

وفلاسفة ومفكرين ورجال دين، مُلغية لكافة القوانين الفاعلة والصانعة لذلك التاريخ، ومُختزلةً إياه من ملحمة عظيمة من العوامل والضرورات والتفاعلات المتعارضة والمتشابكة، إلى رغبات وأهواء وسجايا، كذا محاسن ومثالب هذا أو ذاك من الملوك والحكام!!

وعلى جانب آخر اشتط بعضهم باتجاهه للجبرية المُطلقة، المُتجاهلة لأي فعالية إنسانية، فالإرادة البشرية لا دور لها، ولا أهمية لعبقرية أو بطولة مفكر أو زعيم، فما هو سوى أداة صماء بيد عمياء، يتجسد مسارها وأدائها في النهاية في الصيرورة التاريخية المُحددة سلفاً، ليس بغائية مُسبقة، بل بقوانين وحتميات مادية صارمة، لا تعرف للإنسان دوراً ولا ترى له آثراً!!

وكما أن الفضيلة هي وسط بين رذيلتين، والعدل وسط بين ظلمين، فالحقيقة وسط بين شططين!! فالحقيقة أن التاريخ ليس بتلك البساطة ليُختزل في معادلات من الدرجة الأولى، وبحيث يصبح إما بلا قانون، فتتلاعب به المصادفات من أهواء ومطامح وسجايا بشرية من جهة، أو يصبح مساراً حديدياً لا يملك له ولا فيه البشر فعلاً ولا آثراً من جهة أخرى!!

فكما أن للتاريخ قوانين وجدليات واقعية، فإن للفعل البشري المتوائم معه دوره الحاسم في كثير من الأحوال، وقد يعمل الاثنان بتناغم، كما قد يتعارضا، وهنا تتمايز الدرجات وتتباين الفروقات، فالضرورات المادية والجدليات الاجتماعية يبقى لها الحسم على المدى الطويل، فلا يؤثر غياب البطل سوى في تأخير إنجاز المهمة التاريخية المُعينة، أو إنجازها على وجه آخر من النقص أو القصور، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، قد تتيح هذه التفاعلات الاجتماعية ذاتها لفرد إمكانية التغيير في الخصائص والملامح الذاتية لظاهرة تاريخية معينة، وبحيث تتلبس تلك الظاهرة ببصمة واضحة مميزة لهذا الفرد، بما يميزه خاصةً من أهواء وسجايا، وذلك بحكم

ما قد تتيحه – تلك التفاعلات الاجتماعية – له من قوة طاغية مُتفردة، ناجمة عن طبيعة علاقات القوة المنبثقة عن العلاقات الإنتاجية والاجتماعية، والهياكل السلطوية والمؤسسية المرتبطة بها في المجتمع الذي يمارس ذلك الفرد سلطته فيه.

وهكذا يلعب المفكر والزعيم التاريخي دوره ضمن شروط وظروف تاريخية موجودة ومصنوعة سلفاً، وما عليه سوى إدراك دوره التاريخي بتلمس ووعى الضرورة التاريخية والعمل بمقتضاها، وفقاً لقيم التقدم الإنساني والاجتماعي، فليس الرجل العظيم بصانع لتاريخ – رغم أن هذا صحيح بدرجة ما وعلى مستوى معين من المقاربة التاريخية – بقدر ما هو دور تاريخي. وهذا الدور التاريخي هو نقطة الانطلاق الدائمة في فهم ودراسة الرجال التاريخيين، حيث من خلاله تتسنى معرفة ضرورتهم، وكيف استقاموا بأعبائهم وتحملوا مهامهم، كذا كيف كان آثرهم الخاص والشخصي – بفكرهم وممارساتهم – في التاريخ، في سياق فعلهم في الدور التاريخي الذي اضطلعوا به، كمسئوليتهم التاريخية.

وهكذا لابد وأن نبدأ بدراسة الظرف التاريخي الذي ظهر فيه الإمام الخميني.

عن الظرف التاريخي
الثورة الأولى
محمد مُصدق والمؤامرة الإمبريالية

لم تكن موجة الخمسينيات الثورية لتمر على إيران دون أن تأخذ فيها برهة وتترك بها بصمة، خاصةً مع ما كانت تعانيه، شأنها شأن غيرها من أقطار العالم الثالث، من فقر وظلم اجتماعي واستبداد سياسي، في ظل تبعية سياسية واقتصادية للغرب، تجلت بأقصى صورها أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها.

حيث سقطت إيران – بسبب موقعها وثرواتها النفطية وغير النفطية– ضحية لصراع جبار بين القوى الكبرى الثلاثة في العالم آنذاك، بريطانيا وأميركا الاتحاد السوفييتي، التي خرجت منتصرة من الحرب على خصومها في المحور، لينتهي التحالف الغريب الذي جمعها سوياً عليه التهديد النازي الهتلري، ولتبدأ في التنازع فيما بينها على مناطق النفوذ وشبكات المصالح، ضاربةً عُرض الحائط باستقلال إيران وبحقها في استثمار ثرواتها بالشكل الذي ترتئيه، ويرتضيه شعبها، وبما تمليه مصالحها العليا.

فترتيبات ما بعد الحرب، التي تراجعت فيها مكانة وقوة بريطانيا السياسية والاقتصادية والعسكرية بعد حروبها المتوالية، وتقدم الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، هذه الترتيبات قد فرضت إعادة تقسيم وتوزيع مناطق النفوذ وشبكات المصالح، خصوصاً مع صعود نجم الاتحاد السوفييتي دولياً، والصراع الشرس بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية، الناجم عن المطامع الإمبريالية الأمريكية الطبيعية من جهة، ورغبتها المتوحشة في السيطرة على جميع منابع النفط كسلعة إستراتيجية من جهة ثانية، كذا خططها لاحتواء الاتحاد السوفييتي ضمن إستراتيجيتها الدولية في محاصرة الشيوعية من جهة ثالثة.

وهى الترتيبات التي انتهت بإيران في حجر الولايات المتحدة الأمريكية التي أجادت ألاعيب الدبلوماسية، واستغلت ضعف الشاه، والاحتياجات الاقتصادية والمالية لما بعد الحرب، والتوجس الإيراني التاريخي من المتنافسين التقليديين عليها ممثلين في بريطانيا وروسيا[1] ، كذا كرهه الشديد للشيوعية وإدراكه بخطرها الشديد على ملكه، ووعيه بانتهاء الإمبراطورية البريطانية، ورهانه بالتالي على الحصان الفائز الجديد، أميركا.

وقد كانت النقطة المفصلية في ذلك الصراع هي الثورة المُصدقية، فقد «خرج

الدكتور محمد مُصدق بنظرية جديدة عام ١٩٤٧، عندما طلب الروس منحهم امتيازاً للتنقيب عن البترول في شمال البلاد، وكانت نظريته تقول بأن الروس على حق في دعواهم، وأنه يجب تحقيق المساواة بينهم وبين البريطانيين، وهذا يعني طرد الاثنين معاً عن طريق سحب الامتياز البريطاني»[٢] ، فالحل الوطني لا يكون بالانصياع لهذا البلد بدلاً من ذاك، ولا بالانتقال من عبودية بريطانيا إلى روسيا أو أميركا، بل بالاستقلال الكامل، مُتمثلاً في استقلال القرار الوطني، والسيطرة المُطلقة على كامل الموارد الوطنية.

وهكذا كانت ثورة مُصدق الهادفة لتقليص نفوذ الأسرة الحاكمة لتوسيع الهامش الديمقراطي وإنفاذ الدستور، ولتأميم البترول الإيراني، وإعادته للسيطرة الوطنية، والتي قُوبلت بمؤامرة مزدوجة من كل من بريطانيا وأميركا.

فقد وضعت بريطانيا خطة انقلابية لإسقاط مُصدق، وإعادة الشاه، وذلك بعد كل ما قامت به من حصار اقتصادي، واستعراض عسكري بالأساطيل البحرية، وضغوط دولية، لم تنجح كلها في إثناء مُصدق عن عزمه، ورغم مساندة أميركا لها.

كما أعدت أميركا خطة أخرى، بعدما هددت بقطع معوناتها عن إيران أو عدم زيادتها، وبعدما تزايدت مخاوفها من تزايد التقارب مع السوفييت، وتعجلت تنفيذها بعد علمها بالخطة البريطانية، وذلك خوفاً من استئثار بريطانيا بالمغانم إذا ما رعت هي الانقلاب.

فقد «وجد الأمريكيون أن قيام بريطانيا وحدها بالعمل في إيران سيحول دون تحقيق طموحاتهم المُستقبلية، ولهذا أسندت مهمة التخلص من مُصدق بسرعة لكيرميت روزفلت، ولتنفيذ المهمة وضعت مليون دولار أمريكي تحت تصرفه للإنفاق منها على إثارة الشارع الإيراني، وتجنيد العملاء ضد مُصدق»[٣].

«ونجح الأمريكيون في خلع مُصدق وإعادة الشاه من روما إلى إيران، كما تم تعيين الجنرال فضل الله زاهدي لرئاسة الوزارة، وأُسندت إليه مهمة وقف تأميم البترول الإيراني، وإعادة توزيع الأنصبة الأجنبية بطريقة جديدة لا يكون للبريطانيين السيطرة القديمة نفسها على منابع البترول الإيراني» [٤].

«وأُعيد تنظيم الشركة البريطانية الإيرانية المُؤممة بطريقة أصبحت بعدها بريطانيا ضمن مجموعة من المحتكرين للبترول الإيراني، وأُطلق على الكارتل (الكونسرتيوم) وضم ثماني شركات عالمية على النحو التالي» [٥] :

الشركات الأمريكية – وتملك ٤٠ ٪ من مجموع الحصص.

الشركات البريطانية – وتملك ٤٠ ٪ من مجموع الحصص.

الشركات الهولندية – وتملك ١٤ ٪ من مجموع الحصص.

الشركات الفرنسية –وتملك ٦ ٪ من مجموع الحصص.

وهكذا تم التآمر على المشروع الوطني للدكتور مُصدق، وعلى المطامح المشروعة للشعب الإيراني، ليتم وأدها على مذبح المصالح الإمبريالية، وبدلاً من أن يأخذ الشعب الإيراني حقه في الحياة، بالسيطرة على مقدراته، سواء كانت اقتصادية، مُمثلة في تملك موارده وأراضيه، أو سياسية، مُمثلة في الديمقراطية التي تكفل مشاركته في القرار الوطني، إن لم يكن امتلاكه كلياً، نقول بدلاً من هذا كله، تم الانتقال من سيد إلى سيد، ومن مُستغل إلى آخر.

وتصور الأمريكيون أنهم انتصروا بإعادتهم الشاه وامتلاكهم البترول وسيطرتهم على كافة المواقع الحيوية بإيران بما فيها الجيش.

فأنى للمستكبرين أن يدركوا أن الشعوب لا تموت!!

نار تحت الرماد
إيران ما قبل الثورة

بعد الانقلاب على مُصدق، والإتيان بحكومة زاهدي الأمريكية التي ألغت التأميم وفتحت الأبواب على مصراعيها للأمريكيين على وجه الخصوص، وعودة الشاه، ووضعه للبرنامج الأمريكي في التحديث – أو بالأصح في التبعية- موضع التطبيق، كان لابد للشاه من شن حملة انتقامية ضد كافة قوى المعارضة، وبهدف استئصالها؛ لإخلاء الساحة الإيرانية له، بحيث يحكم بيد من حديد وبسلطات مُطلقة، بمعونة أمريكية إسرائيلية، وبأدوات القهر التقليدية من جيش وشرطة، مُضافاً إليها جهاز السافاك الدموي.

واستهدف في حملته كافة القوى الوطنية، «فبدأ بحل الجبهة الوطنية، وألقى القبض على معظم زعمائها وعلى رأسهم مُصدق، كما أعدم وزير الخارجية حسين فاطمي، كما تحمل حزب توده وزر المرحلة المُصدقية كلها، فتم القبض على خمسة آلاف عضو من أعضائه، وأُعدم أربعون عضواً من بينهم، وحُكم بالسجن المُؤبد على مائتين، وفقد الحزب كل جذوره النشطة في الجمعيات المهنية أو داخل النقابات أو في لجان الأرياف» [٦].

وكان من نتيجة سياساته هذه؛ أن بدأ رجال الدين في ملئ الفراغ السياسي، فنشأت حركات جديدة، وبالأساس من رحم الجمعية الوطنية وتوده الشيوعي، وبالمزج النقدي بينهما أحياناً، أو بمكونات فكرية وسياسية جديدة، فتكونت جماعات كجماعة تحرير إيران، التي كان من ضمن قادتها الدكتور علي شريعتي، وفدائيي خلق ومجاهدي خلق، وغيرها من جماعات فدائية صغيرة، نبتت كالفطر في

أرجاء إيران، وجنحت لمنهج الإرهاب وحرب العصابات، باعتبارهما المنهج الوحيد الممكن لمواجهة النظام الشاهنشاهي الإرهابي.

كما تحولت مدينة قم لمركز لمناهضة الشاه، بنواتها الصلبة والقوية من رجال الدين من مراجع وآيات، يتمتعون بقدر معقول وكاف من الاستقلال المالي والإداري عن السلطة، ويعملون بتنظيم مُحكم وقوي، رسخته المدارس ومناهجها وتراتبياتها التعليمية على مر السنين.

وتصاعدت حالة الغليان على مدى عشر سنوات بعد الانقلاب الأمريكي، حتى كانت لحظة الانفجار بعد إعلان الشاه عما أسماه بـ «الثورة البيضاء» [٧]، والتي كانت مجرد تدشين للسياسات الأمريكية في إيران من جوانب كثيرة، وفقاً للخطة التي وضعوها له لتعزيز سيطرته على المجتمع الإيراني، والتي تضمنت كثيراً من السياسات التي مست الطبقات التجارية والأوقاف الشرعية للحوزات، كما مست بعض التقاليد الدينية والاجتماعية؛ ما عبأ ضده قطاعات واسعة من المجتمع، والتي كانت تعاني أصلاً من الأوضاع المعاشية السيئة، والنهب والفساد المُستشري في كافة أرجاء ومفاصل الدولة، فتحرك الطلاب وشباب رجال الدين والتجار والمهنيين، وذلك تحت قيادة رجال الدين، وبفضل دعاياتهم ضده.

وفي هذه الظروف ظهر الإمام الخميني، الذي فجر ثورة ١٩٦٣ بخطاباته الثورية الجريئة ضد الشاه، والتي حركت الجماهير الغفيرة في مواسمها الدينية، لتحيلها من احتفالات وشعائر دينية إلى تظاهرات معادية للنظام، ومُعرضة بالشاه، بالشكل الذي تدخل معه الجيش إلى جانب الشرطة لقمعها بالقسوة المعتادة، وبالاعتقالات التقليدية في صفوف المعارضة، والتي طالت الإمام الخميني نفسه ومعه سيد تقي فلسفي وما يقارب العشرين من تلامذته؛ وهو ما فجر الأمور أكثر

ووسع نطاق الاحتجاجات لتشمل إلى جانب طهران وقم مشهد وتبريز وأصفهان ومدن أخرى، وكانت الحصيلة ما يقارب العشرين ألف شهيد والآلاف من الجرحى والمُعتقلين...الخ.

وبعد ثمانية شهور أُطلق سراح الإمام الخُميني، ليخرج ويستكمل مسيرة نضاله، بلا هوادة، ولا مساومة، وعندما يُطرح قانون منح الحصانة الدبلوماسية للأمريكيين بإيران على البرلمان، يلقى خطاباً عنيفاً في ٢٦ أكتوبر ١٩٦٤ بمدينة قم بمناسبة مولد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، يختصر فيه المهزلة بكلمات قليلة، ولكنها حادة قاطعة كالسيف، تنطلق كسهام تصيب هدفها مباشرة، فيقول : « إنا لله وإن إليه راجعون، إنني لا أستطيع إبداء ما في قلبي من آلام، ويا ليتني مت قبل هذا، وما شاهدت هذا العار...فليس لإيران بعد اليوم عيد، لقد حولوا العيد إلى مأتم، لقد باعونا وباعوا استقلالنا، وفي نفس الوقت أضاءوا المشاعل، وأقاموا حفلات الرقص العامة...إنهم صدقوا على قانون الحصانة الذي ألحقنا بمعاهدة فيينا...إنهم منحوا الأمريكان بجميع فئاتهم من خبراء عسكريين وفنيين وإداريين وخدم وكل من له أدنى علاقة بهم، الحصانة القضائية،...» [٨] وتم بعد هذا الخطاب المباشر القبض عليه ونفيه [٩] إلى تركيا التي تركها وانطلق منها إلى العراق، ليستمر في نضاله ضد الشاه بالرسائل وشرائط الكاسيت، التي كانت تصل حتى للقرى النائية في إيران عبر التنظيم المُحكم للحوزات الدينية، ورغم كافة محاولات الشاه وأجهزته الأمنية العنيفة في منعها ومصادرتها، وحتى فرض العقوبات والغرامات القاسية على بائعيها ومشتريها.

أما الشاه فقد استمر في سياساته في التبعية المطلقة لأميركا، وفي العمل كشرطي لمنطقة الخليج بالوكالة عنها، واستمر في تدعيم علاقاته بإسرائيل، كذا دعم الطبقات الغنية الفاسدة المرتبطة بحكمه، وتدليل الجيش، دون أدنى مبالاة بالشعب

الفقير الذي تزداد حالته سوءاً يوماً بعد يوم، ومُعتمداً في مواجهة هذا الشعب فقط على أذرعته الأمنية الجبارة، وعلى تكديس أحدث أنواع السلاح الأمريكي، المُشتراة فقط لحماية عرشه، وبغض النظر عن مدى حاجة بلده لها، ويكفي الاطلاع على الجدول التالي الذي يكشف لنا عن حجم النمو الدراماتيكي في النفقات العسكرية غير المبررة للشاه، والتي بسببها لم يشعر الشعب الإيراني بنتائج الطفرة السعرية للنفط أواخر ١٩٧٣[١٠] :

سنة ١٩٥٤	٧٨ مليون دولار	سنة ١٩٧٣	٢٤٥٢ مليون دولار
سنة ١٩٦٤	٢٤١ مليون دولار	سنة ١٩٧٤	٣٦٨٠ مليون دولار
سنة ١٩٧٠	٩٦١ مليون دولار	سنة ١٩٧٧	٩٤٠٠ مليون دولار
سنة ١٩٧١	١٣٥٢ مليون دولار	سنة ١٩٧٨	أكثر من ١٠ مليار دولار
سنة ١٩٧٢	١٨٤٧ مليون دولار		

وكان استتاب الأمر للشاه دافعاً له لمزيد من الغي والتجبر والعمى عما يخبئه له المستقبل، فقد أصابه جنون العظمة، فأصبح يرى أن قوة بلاده في الخليج تفوق قوة بريطانيا فيه أيام تسلطها عليه، ويقيم حفلاً لتتويج نفسه بمناسبة مرور ٢٥٠٠ سنة على تأسيس الإمبراطور كوروش لأول إمبراطورية فارسية، وينفق عليه ما يقارب في بعض التقديرات المليار دولار [١١]، ويدفع المساعدات الاقتصادية للدول والشركات الأوربية والأمريكية وليس النامية فقط، لتحقيق مكاسب سياسية وشخصية ذاتية [١٢]، وأكثر من هذا تحويله لإيران لملكية خاصة له لأسرته، فالأم تتملك الأراضي والعقارات والأخ يستخرج المعادن، كما أنه أكبر مساهم في شركة

استخراج الفيروز وشركة شاهراند وشركات أخرى، والأميرة أشرف الأخت تشارك بالأعمال المصرفية والورق، ومعهم طبعاً الأصدقاء والأتباع والجنرالات وحتى الخدم!!

ويكفي لإعطاء صورة عن مدى الفساد والاستغلال المالي للأسرة الإمبراطورية لثروات البلد وتحويله لشركة خاصة ما تؤكده الأرقام شبه الموثوقة عن تحكم آل الشاه بـ« ٨٠ ٪ من صناعة الأسمنت، و ٧٠ ٪ من الفنادق السياحية، و ٦٢ ٪ من البنوك والتأمين، و ٤٠ من صناعة النسيج، و ٣٥ ٪ من صناعة السيارات وهكذا» [١٣] .

وهذا كله طبعاً لم يكن سوى قمة الجبل الجليدي، الذي يتكون جسمه من طبقات وشرائح اجتماعية طفيلية من كومبرادور وبيروقراطية عسكرية وغير عسكرية تعتاش على الفساد والتمييز السلطوي، وتحتكر الموارد، بما فيها حتى المياه، وذلك في الوقت الذي لا يجد فيه الفلاحون الأرض ولا المياه التي يزرعون بها، ويهربون إلى المدن بحثاً عن عمل، فيجدون العمل بالمصانع في وضع يُرثى له، فليسوا بالأفضل حالاً، إذ يعملون ساعاتً طوالاً بأجور منخفضة، مع قانون كسيح لا يُطبق، وقسوة أمنية تواجه الإضرابات العادلة بالقتل والاعتقال طويل الأمد [١٤].

كما حابي الشاه بعض الطوائف والأقليات لتساهم في دعم حكمه وتوجهاته المعادية لرجال الدين، فترك لليهود والبهائيين الفرصة للسيطرة بدرجة كبيرة على الاقتصاد الإيراني، كما استخدم الكثير منهم في المؤسسات الحيوية كالجيش وغيره، باعتبارهم كأقلية سيكونون أكثر ولاء له، كما أنهم هم من كانوا يملكون معظم دور اللهو والأندية الليلية وبيوت الدعارة ومحلات الخمور وغيرها [١٥] مما كان من المباذل الخلقية التي أثارت رجال الدين وأحنقتهم على حكم الشاه.

ومع هذا المناخ العطن، والجو الفاسد، المحمي بعباءة الإرهاب السافاكي، والمدعوم أميركياً، تزايدت المواجهات ما بين الدولة والمعارضة بوتيرة متصاعدة من العنف المتبادل وغير المتكافئ بالطبع، وإن كانت المعارضة قد نجحت كثيراً في توجيه ضربات مُوجعة للنظام، وخصوصاً بعمليات الاغتيالات والتصفيات التي شنتها ضد رجاله.

وكانت هذه العمليات، بما تمثله من عنصر تحفيز ثوري للجماهير، وعنصر تثبيط وتفكيك بعيد المدى لقوى النظام، إضافةً إلى الحركات الجماهيرية الاقتصادية والاجتماعية المنتظمة، تحتاج ليس فقط إلى غطاء وخطاب شرعي لها، بل أيضاً فكر وخطاب ينتظم في وجه الخصم، فيقود جماهير الشعب ويحركها، ويفتت قوى النظام ويدمرها، خطاب لم يكن أهلاً به سوى رجلاً من رجال الدين الذين أصبحوا المعنيين بالقيادة، والمُناط بهم مسئولية التغيير الثوري في إيران، منذ تحطمت باقي القوى الوطنية وأُضعفت بالإرهاب السافاكي المتواصل منذ الانقلاب على الثورة المُصدقية.

ولم يكن أهلاً لهذه المهمة سوى آية الله العظمى...الإمام الخميني.

عن الإمام الخميني وفكره
نُبذة مُوجزة عن حياته

هو روح الله مصطفى أحمد الموسوي الحُسيني، المولود ببلدة «خُمين» جنوب غربي قم عام ١٩٠٢م [١٦]، سليل عائلة راسخة في العلم والجهاد من ذرية السيدة الزهراء، وأبوه مصطفى أحمد الموسوي كان واحداً من كبار العلماء، وقد قُتل غدراً بعد شهور قليلة من ميلاده، برصاص بعض عملاء كبار الملاك؛ لدفاعه عن حقوق الفلاحين الفقراء.

تكفلت عمته مع والدته السيدة هاجر ميرزا أحمد بتربيته، وإن كانتا قد توفيتا في وقت مبكر، ليذهب إلى أخيه الأكبر «باسنديده موسوي» رجل الدين الذي شارك في تعليمه، وانضم الخميني لحوزة «آية الله عبد الكريم الحائري»، وانتقل معه من مدينة آراك إلى مدينة قم عام ١٩٢٢م، وواصل دراسته حتى حصل على درجة تُسمى بـ «محلة السطوح العالية»، ليبدأ في مساعدة أستاذة مُتخصصاً في الفلسفة الإسلامية والمنطق والأخلاق، حتى منعته شرطة الشاه لكثرة تطرقه للمسائل السياسية في دروسه.

وتزوج عام ١٩٢٧م من السيدة خديجة ابنة صديقه الحجازي «الشيخ محمد الثقيفي الطهراني»، والتي رفضته في البداية لرغبتها في الزواج من موظف حكومي تذهب معه للحياة في طهران، وليس رجلاً من رجال الدين، ثم عدلت عن رأيها في اليوم التالي، بعدما رأت رؤيا ترى فيها امرأة عجوز تشير لرسول الله والإمام علي وفاطمة، وتقول أنهم لا يحبونها لرفضها ابنهم روح الله[١٧]، وقد أنجبا ثلاثة أولاد وخمس بنات، مات منهم ثلاثة، هم على ولطيفة وكريمة، كما أُغتيل مصطفى عام ١٩٧٧م بأيدي السافاك، وبقى أحمد خميني مساعده الأول، كما تزوجت بناته الثلاثة الأخريات، فريدة وصادقة وفاطمة، من رجال دين، ممن كانوا ضمن مساعديه.

وقد وضع الإمام الخميني ما يربو على العشرين مؤلفاً، أهمها : تحرير الوسيلة[١٨]، الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه، جهاد النفس أو الجهاد الأكبر، سر الصلاة أو صلاة العارفين، حكم الشريعة، وتهذيب الأصول....الخ.

وقد بدأ الإمام الخميني معارضته للشاه منذ وقت مبكر يرجع لأربعينيات القرن العشرين، بل ولما قبل ذلك، وقد جذبت دروسه الملتهبة بالمعارضة والرفض المرير لسياسات الشاه الأنصار والمعجبين والأتباع سواء من شباب رجال الدين، أو

من العامة، ونذكر تأييده للأهداف والمبادئ العامة للثورة المُصدقية، ووقوفه خلف الإمام الكاشاني رفيق محمد مُصدق في معظم مراحل الثورة المُصدقية.

هذا التاريخ وهذه المكانة، هما ما جعلا لكلماته ذلك الوقع الجبار الذي دفع الجماهير الشيعية المسلمة للثورة، وتحويل احتفاليات دينية تقليدية متكررة إلى انتفاضات وثورات هزت العرش الشاهشاهاني المُتجبر.

فكانت خطاباته النارية ضد الشاه وانتقاداته العنيفة له – وخصوصاً بعد إعلان الأخير عما سماه بالثورة البيضاء، وتماديه في تطبيع علاقاته مع إسرائيل وأميركا – شرارة تفجير ثورة ١٩٦٣م التي أشعلها أكثر فأكثر رد الفعل العنيف لشرطة الشاه وجيشه، والتي أُخمدت في النهاية بسبب القمع العنيف، وأُعتقل فيها الخميني لثمانية أشهر.

وعلى ما سبق ذكره، لم يهدأ الإمام الخميني بعد إطلاق سراحه، رغم كافة المساومات والتهديدات، فقد استمر في نقده الشجاع لكل سياسات الشاه؛ حتى تم نفيه إلى تركيا، التي أقام بها إحدى عشر شهراً، ليتركها بعدها ذاهباً إلى العراق، ليقيم بالنجف الأشرف حيث كان يدرس، مُستمراً في إرسال دروسه الأسبوعية إلى قم مُسجلةً على أشرطة كاسيت، والتي عملت على استمرار إلهاب العواطف والمشاعر ضد حكم الشاه الظالم.

وظل بالنجف حتى طُلب منه الرحيل عن العراق، بناءاً على طلب من شاه إيران، وذلك بعد تسوية نزاعاتهما عام ١٩٧٧م، وبعد توقيع اتفاقيته مع العراق عام ١٩٧٥م، والتي نصت ضمن ما تنص على عدم التدخل المتبادل في الشئون الداخلية لكلا البلدين، فكان الخيارات المطروحان عليه إما السكوت وإما الرحيل؛ فغادر إلى الكويت التي رفضت استقباله؛ فسافر إلى فرنسا في بداية أكتوبر من عام ١٩٧٧م،

التي طلبت منه في البداية عدم تناول الشئون السياسية ومعارضة الشاه كشرط لبقائه، فرفض، مطالباً إياهم بالاتساق مع دعاواهم الديمقراطية!!

وبقي الإمام الخميني بباريس يمارس قيادته للجماهير الإيرانية، ويوجه جنود الجيش الإيراني بضرورة ترك خدمة الطاغوت والانضمام لموقعهم الطبيعي مع المُستضعفين؛ حتى غادر الشاه إيران في ١٦ يناير ١٩٧٩م، فعاد إلى إيران في الأول من فبراير ليقود الثورة إلى النجاح الكامل بصلابته، وإصراره الحديدي على استكمالها، فأصر على إسقاط حكومة شهبور باختيار المُعينة من قبل الشاه، وعلى تطهير كافة مؤسسات الدولة من عملاء الشاه وأتباعه، ومن الخبراء الأجانب غير الموثوق بهم؛ حتى استطاع بناء حكومته الإسلامية المرجوة.

هذه الحكومة التي استطاع حمايتها بقيادته الحكيمة والشجاعة والصلبة للجماهير الإيرانية المناضلة، من الغزو العراقي المدعوم سعودياً وأميركيا، رغم ما كانت عليه إيران عموماً وقواتها المسلحة خصوصاً من ضعف شامل، بعد الصدامات الطويلة والقاسية في الثورة.

وانتهت الحرب، ليموت بعدها الإمام بعام واحد، بعد أن أدى مهمته، وقاد الجماهير في مسيرة ثورتها العسيرة، حتى وطدت حكومتها وثبتت أركانها، وكانت على بداية طريق النهوض كدولة قوية ومهيبة ومُستقلة عن أي هيمنة أميركية أو غير أميركية، ترعى مصالحها الوطنية ومصالح شعبها دون أي تدخل أجنبي جائر.

وقد عاش ومات الإمام الخميني زاهداً فقيرا متواضعاً، مُفترشاً الأرض طوال حياته، يأكل أبسط الطعام، ويسكن بمنزل صغير حتى بعدما أصبح في قمة السلطة الدينية والدنيوية معاً، ولم تتجاوز ممتلكاته الدنيوية الدوشك (أي بطانيته التي ينام عليها)، وصندوق ملابسه، وكتبه، وهذا من شهادات المراقبين المحايدين[١٩]، بل ومن

ما يمكن اعتباره إقراراً بالذمة المالية، قدمه في تعريفه بنفسه[٢٠].

فهو الرجل الذي احتقر الدنيا، ووضعها طرف حذائه، عالماً عاملاً بحكمته الفذة : «إذا كنت لا ترى في طلب الدنيا عاراً، فلا تطلبها من مخلوق ضعيف مثلك على الأقل».

الجوانب الثورية
في فكر الإمام الخميني

إذا تناولنا فكر الإمام الخميني من منظور قضايا عصره؛ فإن ثوريته ستتكشف لنا في ست قضايا أساسية، وهي :

١ - موقفه من الاستعمار العالمي

كان موقف الإمام الخميني الثابت هو رفض كافة أشكال الاستعمار والسيطرة، من أقصى صورها ودرجاتها حتى أدناها، فلم يستثن قوة كبرى ذات مطامع من حسابات التصدي والمقاومة، حيث كان الاستقلال الوطني في مواجهة المطامع الغربية والشرقية على السواء هو هدفه الأول، بحيث أعلن شعاراً، طبقه بإخلاص، هو «لا شرقية ولا غربية»، فلم يستخدمه كغطاء للأمركة كما فعلت كثير من الأنظمة العميلة بالمنطقة وقتها!!

حيث وضع الإمام الخميني هذا الاستقلال كمرتكز للتعامل مع كافة الدول والقوى، وللانطلاق في كافة الممارسات السياسية الدولية، بحيث تتناسب المسافة ما بين إيران وأي قوة دولية تناسباً طردياً مع حجم مطامعها ودرجة ميولها الاستعمارية.

كما وضع هذا الاستقلال باعتباره العمل انطلاقا من المصالح الوطنية الإستراتيجية والمرتبطة بالصالح العام للشعب، وليس بالارتهان بأي طرف دولي، ولا بالمراهنة على أي طرف، مُنطلقاً من «قناعه راسخة في العمل التحرري، تتلخص في أن نهوض الأمة من كبوتها، رهن بالخروج من أسر المراهنة على الشرق في مواجهة الغرب، وعلى الغرب في مواجهة الشرق» [٢١]

ورغم وصفه للقوتين العظميين في زمنه بـ «قطبي نهب العالم»، إلا أنه كان على وعى بالفرق الهائل ما بين الاثنتين، وبحيث قدم أميركا باعتبارها «الشيطان – الاستعماري– الأكبر».

ويؤكد هذا الشيخ حسين الكوراني بقوله :

«ويتكرر دائماً في نص الإمام مصطلح الاستعمار الشرقي والغربي، إلا أن هذا لا يتم أبداً على حساب أولوية التصدي لأمريكا واعتبارها رأس الحربة، ومصدر كل شر، فقد سأله مراسل الـ إن.بي.سي عن تعريف الأجانب، فأجاب : على رأسهم أمريكا التي أصبح نفوذها في كل شئون الدول معروفاً» [٢٢].

وقد أعتبر الإمام الخميني أن قضية إيران هي مواجهة الاستكبار العالمي ودحره، وذلك بجمع كلمة المُستضعفين وتوحيد شتاتهم على مستوى العالم كله ضدهم، فقد «وضع تقسيماً شاملاً للمجتمع الدولي، على أساس الاستكبار والاستضعاف، فهناك جبهة المستكبرين التي تضم القطبين العالميين وحلفاءهما وأتباعهما، وهناك جبهة المُستضعفين التي تشمل الدول والشعوب التي تعيش ظلم الجبهة الأولى واستغلالها وسيطرتها» [٢٣]، ويقول «يتعين على شعب إيران خصوصاً، والمسلمين عموماً، بذل كامل وسعهم لحفظ هذه الأمانة الإلهية .....، وأن تتفق كلمة جميع الحكومات والشعوب على ضرورة هذا الأمر، فيقطعوا دابر القوى

الكبرى ناهبة العالم والمجرمين التاريخيين إلى الأبد، ويرفعوا أياديهم عن رؤوس مظلومي العالم ومضطهديه» [٢٤].

ولم يجره هذا الموقف لاتخاذ موقف معادي للأجانب كبشر، فهو أجاد التمييز ما بين الشعوب والأنظمة الحاكمة، رغم تحميله لهذه الشعوب مسئولية صمتها عن سياسات حكوماتها، مع تقديره البالغ لمن وقفوا إلى جانب الحق وساندوا إيران في تحركاتها المشروعة والعادلة.

فبقوله «أنا أدين الدول الكبرى المُعتدية، لا شعوب هذه الدول، وأنا أشكر الناس الغربيين الذين دافعوا عن شعبنا» [٢٥]، وقوله «إن شعبنا متنفر من حكومة أمريكا ودولتها، بسبب الهيمنة الأمريكية، وأنا قلق من أن تؤدي هذه التدخلات إلى تنفر الشعب الإيراني من الشعب الأمريكي، فيجب على الشعب الأمريكي أن يحمل دولته على عدم التدخل في شئوننا الداخلية» [٢٦]، كذا «إننا نفرق بين الشعب الأمريكي والإدارة الأمريكية، ونريد من الشعب الأمريكي أن يدعم الثورة في إيران» [٢٧].

وقد بنى على هذا أن المواقف من الدول قائمة على مبادئ وسياسات، وليس على مواريث الماضي، مهما كان سوءها، فـ «ستكون علاقاتنا مع أمريكا وكذلك سائر دول العالم على قاعدة الاحترام المتبادل، ولن نعطي أمريكا حق تقرير مصيرنا»[٢٨]، كما أنه «في الحال الحاضرة يقف الإتحاد السوفييتي والصين في الصف المُعادي لشعبنا من خلال دعمهما للشاه، وفي المستقبل ستبنى سياستنا الخارجية على ضمان حرية البلد واستقلاله والاحترام المتبادل، وعليهم أن يتخذوا قرارهم وفقاً لذلك»[٢٩].

وقد كتب في وصيته تأكيداً نهائياً لكل هذه المعاني، فقال :

«وصيتي إلى وزراء الخارجية في هذا العصر وما بعده هي أن مسئوليتكم مسئولية كبرى، سواء على صعيد إصلاح وضع الوزارة والسفارات، أو على صعيد السياسة الخارجية، وحفظ استقلال البلاد ومصالحها، وإقامة علاقات حسنة مع الحكومات التي لا تنوي التدخل في شئون بلدنا، فعليكم أن تجتنبوا اجتنابا تاماً كل أمر تُشتم منه رائحة التبعية بكافة أبعادها، ويجب أن تكونوا على علم بأن التبعية في بعض المجالات تؤدي إلى تفسخ جذور الدولة، وإن كان لها منافع وقتية » [٣٠].

كما أكد قبلها على أن النصر سيكون حليف المظلومين، ومهما كانت الظاهر الخارجية، وما توحي به من انهزام، ومهما كان ما تمتلكه قوى الاستكبار العالمي من قوى، وما تمارسه من غطرسة، فيقول :

«نحن أعرضنا عن الشرق والغرب، عن الاتحاد السوفييتي وأمريكا، لندير بلادنا بأنفسنا، فهل من الحق أن نتعرض بهذا الشكل لهجوم الشرق والغرب، إنه لاستثناء تاريخي في أوضاع العالم الحالية أن يكون هدفنا منتصراً حتى بموتنا وشهادتنا وانهزامنا الظاهري» [٣١].

بل لو تجاوز الأمر الانهزام وصولاً للفناء، فلا تنازل عن المبدأ ولا تراجع عن مسألة الاستقلال، فـ «إيران لن تمد يدها نحو أمريكا أبداً إن شاء الله، حتى لو تعرضت للفناء»، فيخطئ هؤلاء الذين «يتصورون أننا سنستسلم لأمريكا في سبيل النفط أو أي شئ آخر، والحال أننا لن نستسلم لأحد أبداً حتى الفناء» [٣٢].

٢ ـ موقفه من الحكام الفاسدين والمُستبدين والملكيات

إذا جاز لنا اختزال حياة الإمام الخميني قبل الثورة والحكم في كلمة واحدة؛ فلربما اختزلناها في كلمتين لا غير، وهما «مقاومة الظلم»، فجهاد الرجل ضد الشاه بفساده واستبداده وعمالته كان معركةً طويلة، لا هوادة فيها ولا رحمة، كما أن خطبه

وكتاباته الحافلة في هذا المجال تحتاج مجلدات لاحتوائها.

فهو يرفض الفساد المالي، الذي ينهب عرق المُستضعفين؛ لرخاء الحكام، ويهاجم الحكام وعلى رأسهم الشاه لإسرافهم وترفهم، فيقول :«انظروا إلى ما يفعله رؤساء الجمهوريات!! وكيف يعيش هؤلاء السلاطين!! انظروا ما حدث في إيران، إن الشاه بالإضافة إلى فساده وظلمه يتلاعب ببيت مال الشعب وبيت مال المسلمين بكل حماقة،.....، لقد ذكرت عدة مرات شخصاً كتب لي.....أن واحدة من أخوات الشاه أخذت فيلا في مكان ما في الخارج، وأذكر أن الثمن كان مرتفعاً جداً بشكل يحير العقول، والذي أذكره من تفاصيل الموضوع، أن تكاليف تشجير تلك الفيلا وتزيينها بالورود بلغت خمسة ملايين دولار، أي ٣٥ مليون تومان،....لقد رأينا سلطاناً – يقصد الإمام علي بن أي طالب – يطفئ المصباح كي لا يبقى مُضاء لمدة دقيقتين يتكلم أثناءها مع أحد الأشخاص كلاماً عادياً لا يتعلق ببيت المال...»[٣٣].

ويرفض العمالة للخارج على حساب المصالح الوطنية ومصالح الفقراء في الوطن، فيعلن بوضوح عمالة الشاه المُتعاون مع إسرائيل ضد المُسلمين، والمُهدر لثروات بلاده في خدمتهم، بينما يعاني الشعب ضيق العيش بسبب تفريط الحاكم، فيقول «الأمة تعيش حالة الشظف، والسلطات تمعن إسرافاً في الأموال، وتمعن في زيادة الضرائب، تشتري طائرات الفانتوم ليتدرب عليها الإسرائيليون، وبما أن إسرائيل في حالة حرب مع المسلمين، فكل من يساعدها ويساندها هو بدوره في حرب مع المسلمين، وقد بلغ النفوذ الإسرائيلي في بلدنا حداً لا يُطاق، حتى أن العسكريين الإسرائيليين يتخذون من أراضينا قواعد لهم، وأسواقاً لبضائعهم مما سيؤدي إلى اندحار أسواق المسلمين تدريجياً» [٣٤].

كما يرفض الاستبداد، ويطالب في وصيته السياسية بحكومة الحق المُقامة لأجل المُستضعفين، والمُناطة بالوقوف في وجه الظلم وإقامة العدل : «إن المرفوض في نهج الأنبياء عليهم السلام، والذي حذروا منه، إنما هو الحكومات الشيطانية الظالمة المستبدة، التي تقوم لأجل التسلط ولدوافع دنيوية منحرفة، ولجمع المال والثروة والسعي للتسلط والتجبر، وبالنتيجة الدنيا، التي تسبب غفلة الإنسان عن الله تعالى، أما حكومة الحق المُقامة لأجل المستضعفين والوقوف بوجه الظلم والجور، وإقامة العدالة الاجتماعية كالحكومة التي أقامها سليمان بن داود ونبيّ الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وما سعى إليه أوصياؤه العظام، فإنها من أجل الواجبات، والسعي إليها من أسمى العبادات، كما إن السياسة الصحيحة التي مارستها تلك الحكومات هي من أوجب الأمور» (٣٥).

وأعلن بوضوح لا يحتمل اللبس رفض الإسلام للأنظمة الملكية الوراثية أياً كان شكلها ونوعها، فـ «النظام الملكي يناقض الحكم الإسلامي ونظامه السياسي، فلقد أبطل الإسلام الملكية وولاية العهد، واعتبر في أوائل ظهوره جميع أنظمة السلاطين في إيران ومصر واليمن والروم غير شرعية،.....، إن الملكية وولاية العهد هو أسلوب الحكم المشئوم الباطل الذي نهض سيد الشهداء الحسين (ع) لمحاربته والقضاء عليه، وإباء للضيم، واستنكافا من الخنوع لولاية يزيد ومُلكه، قام بثورته التاريخية، ودعا المسلمين جميعاً إلى مثل ذلك، فليس في الإسلام نظام ملكي وراثي» (٣٦).

فلم يكن الرجل ممن وصفهم بوعاظ السلاطين، دعاة الخضوع للطغاة وعبادة الحكام، أولئك المنادين بحرمة الخروج على الحاكم، بل إنه كثيراً ما حمل عليهم، وهاجمهم باعتبارهم عباد الدنيا وخدم الطاغوت، فقال في شأنهم : «ما

أدري لماذا يتمسك بعض الناس بروايتين ضعيفتين في مقابل القرآن الذي أمر موسى بالنهوض في وجه فرعون، وهو أحد الملوك، وفي مقابل ما ورد من الأحاديث الكثيرة الآمرة بمحاربة الظالمين ومقاومتهم، فالكسالى من الناس هم الذين يطرحون كل ذلك جانباً؛ ليتمسكوا بروايتين ضعيفتين تزكى الملوك وتبرر التعاون معهم، ولو كان هؤلاء متدينين لرووا إلى جانب تينك الروايتين الضعيفتين مجموعة الروايات المناهضة للظلمة وأعوانهم، مثل هؤلاء الرواة لا عدالة لهم؛ لما بدر منهم من انحياز إلى أعداء الله، وابتعادهم عن تعاليم القرآن والسنة الصحيحة، بطنتهم دعتهم إلى ذلك لا العلم، وفي البطنة وفي حب الجاه ما يدعو إلى السير في ركاب الجائرين» (٣٧).

بل إنه لينادي بالحرب على الطاغوت ويحرض على تدميره، فيقول «علينا محاربة الطاغوت؛ لأن الله تعالى قد أمر بذلك، وهو قد نهى عن طاعة الطاغوت والسير في ركابه، وعلى السلطات غير العادلة أن تخلي مكانها لمؤسسات الخدمات العامة الإسلامية، ....، وقد ندبنا الله في كتابه الكريم إلى الوقوف صفاً كالبنيان في وجه السلاطين، وأمر موسى بمعارضة فرعون ومقاومته، ووردت في ذلك أحاديث كثيرة» (٣٨).

٣ - موقفه من الفقراء والمُستضعفين

كان الفقراء والمُستضعفون ضمن الاهتمامات المركزية للإمام الخميني، بل إنه ليكاد يكون مفهومي المستكبرين والمستضعفين المكونين المركزيين في فلسفته وفهمه للإسلام؛ لهذا فلا غرابة في صرخات الرجل المتكررة بالمستضعفين : (٣٩)

«يا مستضعفي العالم...انهضوا واتحدوا، واطردوا الظالمين، فإن الأرض لله، وورثتها هم المستضعفون».

«إذا أراد مستضعفو العالم أن يعيشوا حياة إنسانية مشرقة؛ فعليهم أن يتحدوا، وأن يحدوا من قدرة القوى التي تمتلك حق النقض»

«يا مستضعفي العالم، ويا أيتها الدول الإسلامية، ويا مسلمي العالم...إنهضوا وحاربوا بأيديكم وأسنانكم لأخذ حقوقكم».

«يا مستضعفي العالم، انتفضوا على المستكبرين، أكلة لحوم البشر، وخذوا حقكم منهم، فالله معكم، وهو لا يخلف الميعاد».

«على المستضعفين في جميع أنحاء العالم أن يهبوا لأخذ حقهم بأيدٍ واثقة، وأن لا ينتظروا من أولئك أن يعيدوا لهم حقهم، فإن المستكبرين لن يعيدوا لأحد حقه»

«يا محرومي العالم ومظلومي التاريخ، انهضوا ولا تنتظروا أن يبادر الظالمون إلى إطلاقهم من القيد».

«إن النصر النهائي يكمن في انتصار جميع المستضعفين على جميع المستكبرين».

«عيد الشعب المستضعف هو ذلك اليوم الذي يكون فيه المستكبرين قد دفنوا في الأرض».

ونلحظ من نداءات الرجل سعة أفقه، وعدم تقيد بقيود الدين ولا الفرقة أو المذهب، بل إن نداءاته المتكررة كانت دائماً لـ «مستضعفي ومحرومي العالم» و«مظلومي التاريخ».

كما أنه لم يتوقف عند مجرد النداءات المتكررة للمستضعفين بضرورة تحركهم، بل كان طبيعياً أن يربط هذه النداءات بتأصيلها إيديولوجيا وأخلاقياً، بإعادة تأسيس العدالة والتأكيد عليها كمفهوم مركزي في دين الإسلام الحق، الذي اختزله شيوخ السلطان في طاعة ولي الأمر، الظالم في الغالب!! وحولوه عن مهامه الثورية

التقدمية إلى خدمة السلطان والاستكبار: [٤٠]

«إن طريق الإسلام هو : دعم المستضعفين والدفاع عنهم».

«إننا وتطبيقاً للإسلام العظيم؛ ندعم جميع المستضعفين».

«لا أظن أن هناك عبادة أفضل من خدمة المحرومين».

«لقد جاء الإسلام من أجل المستضعفين وأولاهم الأهمية الأولى»

«أوصي الجميع بالسعي في سبيل تحقيق الرفاه للطبقات المحرومة؛ فإن في ذلك خير الدنيا والآخرة».

«ليس من الإنصاف أن يبقى إنسان بلا مسكن في حين يمتلك الآخر العمارات».

ولا يكتفي الخميني بهذا الدعم الديني لخدمة المستضعفين، بل إنه يردفه بتقريظ لأخلاقهم، وباعتراف بفضلهم بكافة فئاتهم الكادحة، وكيف يقوم عليهم تقدم المجتمع ومجد الدولة، كما يحمل على الأغنياء والمستكبرين وأخلاقهم الطفيلية والمنحرفة : [٤١]

«اخدموا المستضعفين والمحتاجين وساكني الأكواخ؛ فهم أولياء نعمتنا»

«يجب أن نعمل على تخليص شعبنا من أخلاق سكان القصور».

«إن أكثر هذه الطبائع الفاسدة سرت من الطبقة المُترفة إلى عامة الناس»

«إن طبائع سكان القصور لا تنسج والتربية السليمة، ومع الاختراع والتصنيف والتالف وتحمل المصاعب».

«عندما نطالع مذهبنا، ونلاحظ غنى فقهنا وفلسفتنا، ونتعرف على الذين

وصلوا بهذا الفقه إلى هذا الغنى، وأوصلوا الفلسفة إلى هذا الغنى؛ سنرى أنهم من سكان الأكواخ، لا سكان القصور»

«لقد نزلت بنا مصائب كثيرة في أحداث الحركة الدستورية، كان السبب فيها المترفين من سكان القصور، وكانت مجالسنا مملوءة بالمترفين، ولم يكن بينهم إلا عدد قليل من سكان الأكواخ، غير أن هذا العدد القليل استطاع أن يوقف الكثير من الانحرافات»

«الحمد لله....أن دولتنا ليست دولة المترفين، وفي اليوم الذي تتوجه فيه الدولة نحو القصور؛ علينا أن نقرأ فيه الفاتحة على الدولة والشعب».

«إذا تخلى رئيس جمهوريتنا عن طبائع الفقراء، وأصبح على طباع المترفين؛ فإن سيتعرض هو ومن حوله للانحطاط».

كما يعطي إشارات خاصة بالعمال والفلاحين، فيقول: [٤٢]

«العمال هم أثمن طبقة، وأكثر الشرائح الاجتماعية نفعاً في المجتمعات».

«إن عجلة الإنتاج البشرية العظيمة تتحرك وتدور بأيدي العمال القوية».

«يوم العامل هو يوم دفن سلطة القوى الكبرى».

«إن العامل والفلاح هم الأساس في كل بلد، فالأساس الاقتصادي للبلد مرتبط بالعامل والفلاح»

«العمال والفلاحون أساس استقلال الوطن».

ومما يعكس الأثر الإيجابي للخطاب الفكري والسياسي والديني للإمام الخميني المؤيد للفقراء والكادحين في مواجهة المُستغلين، شهادة زعيم الحركة

الإسلامية بتونس الشيخ راشد الغنوشي، حيث قال فيما يمكن اعتباره نوعاً من سيرة ذاتية : « في سنة ١٩٨١، وفي سياق انتفاضة العمال سنة ١٩٧٨ استيقظ وعينا الاجتماعي فبدأنا نكتشف هذه الأبعاد الراسخة في نصوص الإسلام مثل النص القرآني الذي أحياه فكر الخميني (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين...) مصطلح جديد دخل خطابنا لأول مرة هو مصطلح المستضعفين في مواجهة المستكبرين. كما بدأنا نكتشف نصوص أحاديث نبوية تؤكد على مناصرة الفقراء والمستضعفين ومقاومة الترف والاستغلال. فبدأنا نبرزها في خطابنا مثل أحاديث «كاد الفقر أن يكون كفراً»، «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»، «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً». وعبّرنا عن تلك المعاني ضمن البيان التأسيسي سنة ١٩٨١ الذي أعلن عن ولادة حركة سياسية (حركة الاتجاه الإسلامي) عبرت عن التزامها الكامل بالفكرة الديمقراطية وعن انحيازها إلى صف الفقراء والعمال في صراعهم ضد طغيان الرأسمال» [٤٣].

« بدأ التيار الإسلامي يدخل النقابات ويزاحم اليساريين، وصرنا ندفع قاعدتنا للانتماء للحركة النقابية من منظور أن في المجتمع صراعاً حقيقياً بين الرأسمالية وبين جماهير الناس المسحوقة، وأن الإسلام ليس حيادياً وإنما منحاز إلى الطبقة الفقيرة. وسرعان ما حدث تحول في عملنا اليومي. كنا في المرحلة الأولى عندما يدعو اليساريون في الجامعة وفي النقابات إلى الإضرابات نعمل على كسرها وندعو إلى إفشالها على اعتبار أن عملا يقوده شيوعيون كفار لابد بالضرورة أن يقاوم. لقد تغيرت نظرتنا إلى الأمور وصرنا نعي أن الله لم يخلقنا لنقاوم الشيوعية وإنما لنحقق أهداف الإسلام التي قد تلتقي مع الشيوعية وأي مذهب آخر في بعض النقاط، وأن أهداف الإسلام الأساسية قيام العدل في العالم، فقيمة العدل هي القيمة الكبرى في الإسلام والعدل اسمٌ من أسماء الله فكيف نتورط في معارضة الذين

يكافحون لأجل مصالح الفقراء والمستضعفين حتى لو كانوا يساريين» (٤٤).

«رأينا في الثورة الإيرانية شيخاً معمماً استطاع أن يقود ثورة المستضعفين ضد نظام مستبد عميل للإمبريالية وضد طبقة رأسمالية متعفنة. أهم ما قدمته الثورة الإيرانية لنا كان مقولة الصراع بين المستضعفين والمستكبرين، وهي ترجمة أخرى للصراع بين الفقراء والأغنياء، للصراع الطبقي ولكن في إطار إسلامي أشمل وبمصطلحاتٍ إسلامية» (٤٥).

وتعكس هذا المُقتبسات الطويلة ذلك الأثر الهائل الذي تركته الأطروحات الثورية والتقدمية للإمام الخميني وللثورة الإيرانية على بعض من الحركات الإسلامية، التي ظلت لفترة طويلة تخدم الظلم والطغيان الرأسمالي بوعي أو بغير وعي، ولا تبالي بحقوق الفقراء والمستضعفين والكادحين من عمال وفلاحين وغيرهم، وإن كان هذا الأثر – للآسف – لم يتوسع ليشمل كافة الحركات الإسلامية؛ بما يمهد الطريق لتكوين نوع من لاهوت تحرير إسلامي، حيث عملت الرجعيات العربية على توظيف الموروث الديني الطائفي والطغياني التقليدي في قطع هذا الطريق، ولا عجب في هذا فالمصالح الدنيئة والامتيازات الحقيرة مُقدمة على الدين عند أغلب ساكني القصور، الذين لطالما انتقدهم الخميني، وشكك دائماً بإمكانية الاستناد إليهم!!

٤ـ رفضه للإسلام السلطاني الطائفي

كما حارب الإمام الخميني الطغاة واستبدادهم، ونابذ فقهاء السلطان المنضوين تحت لواءهم؛ كان طبيعياً أن يكشف ويعري تحريفاتهم للإسلام، ومذاهبهم الضالة المُضلة التي نشأت ونمت في خدمة السلطان وهواه، والتي جمعها تحت اسم جامع هو الإسلام الأمريكي/ السلطاني، أي الإسلام المُوظف في خدمة

الطغيان، من استبداد ملكي وهيمنة أمريكية، ذلك الطغيان الذي كان القضاء عليه هو قضيته المركزية، فيكشف عن مغزى «ما ينفقه الملك فهد سنوياً من مبالغ طائلة من أموال المسلمين على طبع القرآن الكريم والتبليغ بالوهابية ـ هذا المذهب المشحون بالخرافات والباطل جملة وتفصيلاً ـ سعياً في تطويع المسلمين والشعوب الغافلة للقوى الكبرى، والقضاء على الإسلام العزيز والقرآن الكريم باسم الإسلام والقرآن» [٤٦].

كما يرى أن الإسلام الحق لا يمكن أن يكون ديناً طائفياً، تمزقه أشلاء الخلافات الفكرية والمذهبية مهما كانت، فقط رفض التعصب المذهبي، فـ «الإخوة السنة منا، ونحن معهم إخوة في كل شئ نريده لأنفسنا»، و«كلنا إخوة لأننا مسلمون، إننا نعيش التلاحم مع الإخوة السنة، نحن معهم وهم معنا، وإذا قال أحد كلاماً خلاف ذلك، فهو يقصد الفرقة بين المسلمين» [٤٧]، مُعتبراً الفُرقة على أسس مذهبية إحدى القواعد الثابتة في الإسلام الطغياني المصنوع لخدمة الجور بأيدي فقهاء السلطان ، فافتعال الصراعات المذهبية ما بين الفرق الإسلامية هو مؤامرة خطرة يدبرها أعداء الإسلام والأمة الإسلامية من ملوك وحكام وفقهاء يعملون في خدمة القوى الكبرى ومخططاتها، فـ «مؤامرة بث التفرقة ما بين المذاهب الإسلامية من الجرائم التي تخطط لها وتحرص على تعميقها القوى الكبرى وعملائها المنحرفون، وخاصةً وعاظ السلاطين الذين فاق سواد وجوههم سواد وجوه سلاطين الجور» [٤٨]، كما أن «أولئك الذين يريدون إيجاد التفرقة، فهم ليسوا بسنة ولا شيعة، إنهم عملاء للدول العظمى وفي خدمتهم» [٤٩]، و«بينما تبذل إيران جهودها المكثفة لنشر وحدة الكلمة والتمسّك بالإسلام العظيم والاتحاد بين جميع المسلمين في العالم، فإنّ الشيطان الأكبر يوعز إلى واحد من أقبح الوجوه الأمريكية وأخبثها وأحد أصدقاء الشاه المخلوع والمقبور ليأخذ فتوى من الفقهاء وأصحاب

الفتيا من أهل السنة تقول بكفر الإيرانيين الأعزاء! حتى لقد أفتى بعض هؤلاء الأذناب قائلا :«إنّ الإسلام الذي يدين به الإيرانيون غير ما ندين به من إسلام»! أجل. إنّ إسلام إيران غير الإسلام الذي يدين به أولئك الذين يدعمون عملاء أمريكا» (٥٠).

كما أنه كثيراً ما أكد على رفض الإسلام لكافة أشكال الظلم والفساد والاستبداد، وكافة صور الملكيات والملك العضوض، كما سبق أن بينا في البند (٣/ ٢/ ج).

٥ ـ تجاوز المفهوم التقليدي للتقية

بعد حسم الصراع بين الإمام علي ومعاوية بانتصار معسكر الأخير، وتمكنه من السلطة وتوقيعه الصلح مع الإمام الحسن، ورغم تضمن الصلح لشرط الأمان العام، وعدم التعرض لأنصار آل البيت بعامة؛ فإن معاوية قد وضع نصب عينيه تأمين سلطته التي انتوى توريثها، مُتخذاً في سبيل ذلك كل التدابير الضرورية، والتي كان على رأسها القضاء على معارضيه ورافضي حكمه، الذين يتصدرهم أنصار الإمام علي وآل البيت.

لهذا لم يأل جهداً، ومن خلفه، في اضطهادهم بكافة الوسائل الممكنة، بدءاً من قطع الأرزاق، ومروراً بالسجن والنفي والتعذيب، وليس انتهاء بالقتل والصلب والتمثيل بالجثث، مما لا يقبله دين ولا ضمير؛ حتى وصل الأمر بأن أصبح من الأئمن والأضمن للمرء أن يقال له زنديقاً أو كافراً على أن يقال له شيعياً!!

فكان هذا الاضطهاد هو ما جعل مبدأ التقية ضرورياً، حيث لم يعد الأمر ترفاً ولا هوىً، بل ضرورة بقاء، خصوصاً مع تعزز الاضطهاد وتصاعده مع تواتر ثورات الشيعة وتكرارها، وكما يقول الدكتور محمد عمارة فإن «الذين يعرفون ما

تعرض له الشيعة على مر التاريخ الإسلامي، من محن واضطهادات – بلغت حد المأساة – لا يمكن أن يتصوروا بقاء التشيع، رغم هذا الاضطهاد، إلا مع احتماء الشيعة بهذه (التقية) .. فهي درع أُجبر الشيعة على التدرع به؛ اتقاء للاضطهاد وهرباً من الهلاك والفناء» [٥١].

والحقيقة أن مفهوم التقية بهذا المعنى هو مفهوم إنساني عام، مارسته أي جماعة إنسانية تعاني الاضطهاد، فليس الأمر حكراً على الشيعة، وإن كانوا هم من أصلوا له فكرياً وفقهياً، بحكم كونهم من أكثر من تعرضوا للاضطهاد، وبالتالي كانوا الأكثر حاجة لذاك المفهوم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، بحكم كونهم فرقة تميل للتأصيل والتدقيق والترتيب والتصنيف، في ظل وجود هيئة مرجعية مُنظمة من الأئمة الأوائل ومن المراجع والآيات والمجتهدين المتأخرين. وقد عرفها الشيخ المفيد بأنها «كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا، وفرض ذلك إذا علم بالضرورة أو قوي في الظن ، فمتى لم يعلم ضررا بإظهار الحق ولا قوي في الظن ذلك لم يجب فرض التقية»[٥٢]، فالتقية ليست مُطلقة، بل إنها مُناطة بالظرف المُوجب لها، وإلا سقطت.

كما أنها أساساً مُقسمة فقهياً للأقسام الفقهية التقليدية، ما بين الواجبة والمُستحبة والمُباحة والمكروهة والمُحرمة، ومحكومة بقواعد فقهية مشهورة ومُتفق عليها، كقاعدة تقديم أقل الضررين، وتقديم أوجب المصالح، وقاعدة براءة المُكره، وقاعدة الضرورات تبيح المحظورات،...الخ.

والتقية المُحرمة هي التي ترتبط بمصلحة أو بمفسدة عظيمة، كتلك المُتعلقة بالدم والفتوى، أما المكروهة فتلك التي يترتب عليها مكروهاً بغير داعي، أو مُوجب، أو ضرورة.

إلا أن المشكلة كانت في التوسع بلا مُوجب من قبل كثير من العلماء في الالتزام بالتقية، وخصوصاً في الجانب السياسي، حتى كاد الأمر يصبح عرفاً وقانوناً، لولا مرات نادرة هي في حكم الاستثناءات، التي تثبت القاعدة ولا تنفيها، وهى استثناءات في قضايا قليلة الأهمية، ولا تمثل صداماً حقيقياً وجذرياً مع السلطة، حيث استمرت قاعدة تغليب التقية على مر السنين، وصولاً للسادة المعاصرين للإمام الخميني، حيث تركوا الحبل على الغارب للشاه وتجبره، حتى كانت واقعة الهجوم على المدرسة الفيضية، وقتل واعتقال الكثيرين، وذلك على خلفية ما حدث من خلافات وصدامات مع حكومة الشاه، بخصوص ما سماه بالثورة البيضاء، والأهم تعاونه مع إسرائيل وأميركا ضد الدول العربية والإسلامية، والتي تصدى فيها الخميني للشاه بصلابة، مُحملاً إياه كامل المسئولية عن تلك الجرائم، وغيرها، ومُنتقداً سكوت العلماء، مُعلناً أن «السكوت اليوم معناه التضامن مع النظام المُتجبر» (٥٣).

كما أصدر بياناً شهيراً بعنوان «محبة الشاه تعني الخراب»، مُحرماً التقية قطعياً في مثل هذه المواقف، مهما كانت النتائج، ومُطالباً العلماء بمواجهة الشاه، متوجهاً لهم بقوله «تكلموا أيها الإخوة، قولوا كلمتكم، فماذا يستطيعون أن يفعلوا لو تحدث جميع علماء الإسلام عن أمر ما، وقد حل بالإسلام الخطر» (٥٤).

ثم يؤكد في موضع آخر «منذ القِدم كان الأنبياء عليهم السلام وإلى نبوّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ثم خلال إمامة الأئمة عليهم السلام جميعهم كانوا يواجهون الظلم، حتى حين وجودهم في السجن، فقد كانوا يواجهون الظلم، فموسى بن جعفر عليه السلام لم يترك مسؤوليته في المواجهة حتى عندما كان يرزح في السجن، وكذا أبو عبد الله الحسين عليه السلام، فقد كان يقف بوجه هؤلاء رغم التقية الكذائية والكذائية، تنقل الرواية المقبولة أنه كان يقف ضدهم بالكلام، ويمارس التبليغ، ويحرك الناس لمعارضتهم» (٥٥).

ويأتي بخلاصة القول في كتابه الحكومة الإسلامية، فيؤصل للمسألة، قائلاً «لا ينبغي التمسك بالتقية في كل صغيرة وكبيرة، فقد شُرعت التقية للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر في مجال فروع الأحكام، أما إذا كان الإسلام كله في خطر، فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت، ماذا ترون لو أجبروا فقيهاً على أن يشرع أو يبتدع ! فهل ترون أنه يجوز له ذلك تمسكاً بقوله عليه السلام التقية ديني ودين أبائي ! ليس هذا من موارد التقية أو من مواضعها، وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين، فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله» [٥٦].

فتجاوز الخميني للمفهوم التقليدي الشائع والشائه والخانع للتقية، هو الوجه الآخر لرفضه للاستبداد والفساد والطغيان، كذا رفضه لتدجين الإسلام ووضعه في خدمة السلطان.

٦ـ التجديد لمفهوم ولاية الفقيه

ليس الاعتقاد بالمُنقذ الذي يأتي آخر الزمان، ليملأ الأرض عدلاً بعدما ملأت جوراً، بالاعتقاد القاصر على الشيعة، بل هو اعتقاد عالمي بكل ما لكلمة عالمي من معنى، ففكرة المُنقذ فكرة راسخة عند كافة الأمم والشعوب، فيما نعرف، وهى ثابتة بكافة الأديان السماوية، وكثير من غير السماوية، إن لم يكن كلها.

فما يعيشه البشر من ظلم وجور، يبدو أحياناً بلا نهاية، ولا يبدو معه، ومع طغيانه وفجوره، واشتداد ظلماء ديجوره، بارقة أمل؛ لا يجد البشر السلوى سوى في الإيمان بغد بعيد يأتي فيه المُنقذ العادل، الذي يعيد الأمور إلى نصابها، ناشراً الحق والخير والجمال في كافة ربوع الأرض.

وهذا ظرف عام، نجد أثره في معتقدات البشر كافة، وبقدر عموميته ذاتها، أما الخاص في الأمر المتعلق بالشيعة كفرقة، فنابع من تاريخهم الخاص كفرقة

مظلومة ومُضطهدة، تكونت عقائدها في ولمواجهة الظلم الفادح الواقع عليها على مدى تاريخ طويل، والذي لشهرته، لسنا ملزمين بالخوض فيه.

كما أن الفلسفة التي قام عليها التشيع ذاته، باعتباره تشيعاً لفئة محددة وواضحة المعالم، مُمثلةً بآل البيت، وما ارتبط بها من عقيدة الإمامة التي جعلوها أحد أركان الإيمان، كان لها آثرها في التجسد الأكثر خصوصية لعقيدة المُنقذ لدى الشيعة، حيث المُنقذ المُنتظر هو المهدي المُنتظر عليه، وهو إمام آخر الزمان، المُناط به إقامة دولة الحق والعدل، دولة الإسلام، فهو «الرابع عشر من الأطهار، الإمام المحجوب عن زماننا، يقيم في عالم فوق طبيعي لا يُرى للبشر، حتى ظهوره المُقبل، رجعته النهائية التي تختم المرحلة الحاضرة من عالمنا، فالزمن الذي نعيشه هو زمن غيبته كإمام مُنتظر» [٥٧]،

وهو الذي أنبأ به النبي الإمام علي عليه السلام بقوله «إن الأئمة يكونون من بعدي إثنا عشر، الأول هو علي بن أبي طالب، الثاني عشر هو القائم، المهدي، وهو الهادي الذي يأخذ الله بيده ليعمل على فتح مشارق الأرض ومغاربها»، وقوله «الأئمة الهادون المهديون سيكونون يا علياً إثنى عشر من ذريتك، أنت أولهم وآخرهم يكون على اسمي، وعندما يظهر يملأ الأرض عدالة وألفة، كما هي الآن ملآنة جوراً وعسفاً» [٥٨].

فدولة الحق والعدل إذن لا يقيمها سوى الإمام، هكذا هي العقيدة الرسالية، وهذا هو الخط العام، الذي تشابكت حوله الاجتهادات والمسالك، حتى تبنى الإمام الخميني الرأي الجهادي بقوله «لقد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام، وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المُنتظر،...في طول هذه المدة المديدة، هل تبقى أحكام الإسلام مُعطلة؟ يعمل خلالها الناس ما يشاءون؟ ألا يلزم من ذلك الهرج والمرج؟» [٥٩].

وهكذا دعا الإمام الخميني لرؤية مفادها ضرورة أخذ الأمر بالإرادة عاجلاً لا آجلاً، مُحفزاً الشعب وفي مقدمته الفقهاء على التحرك لدفع الظلم والثورة على الجور؛ لإقامة حكومة العدل، بدلاً من الانتظار الذي قد يطول «ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المُنتظر».

قيادة الثورة

بعد الانقلاب الأمريكي على الثورة المُصدقية، وما شنه الشاه من حملات تصفية وسجن وخلافه ضد كافة قوى المعارضة؛ لم يبق أي قوة منظمة فعلياً لمواجهة طغيان الشاه سوى الحوزات العلمية، فحتى ما بقى من أحزاب وما أُنشأ من حركات المعارضة المسلحة لم يكن قادراً على حشد الجماهير وقيادتها ضد النظام ، الذي اتخذ الإرهاب منهجاً لبقائه وفرض وجوده، مُستنداً لما كدسه من أكوام الأسلحة التي اشتراها بدم وعرق وثروات الشعب المسكين، وبجهاز السافاك الإجرامي، الذي كفل له ملاحقة المعارضة وتصفيتها، فوق التنصت على ما تسره الألسن وتلحظ به العيون!!

فقط الحوزات العلمية، ورجال الدين هم من كانوا يستطيعون قيادة الشعب، بما يمتلكونه من تنظيم وتراتبية تعليمية مُحكمة، وقنوات اتصال دائمة ومستقرة مع جماهير الشعب، بما يكفل سيولة الاتصال، وقوته، وسريته عند اللزوم، كذا استحالة قطعه، حيث يشترط الأمر عندها تحطيم التنظيمات الحوزوية، وقنوات الاتصال ما بين الشعب ورجال الدين، وهو المستحيل بعينه، حيث يعني واقعياً الحرب ضد الدين نفسه!!

وفي ظل هذه الظروف، فإن الوضع التاريخي نفسه هو ما أناط مهمة القيادة برجل دين، فلم يكن غير رجل دين ثوري قادراً على تحريك وتفعيل هذا التنظيم

الوحيد القادر على معارضة النظام وإسقاطه.

كما أن ما كان الشاه يمارسه عبر نظامه من قمع وحشي، لم يكن لأحدٍ أن يواجهه سوى بعقيدة راسخة الجذور، مدعومة باستعداد استشهادي يتم بثه وتنميته في قلوب وعقول الجماهير عبر سنوات، بحيث تواجه الرصاص والدبابات والطائرات بلا وجل، فلا الموت ولا ما هو أكبر منه سيثنيها عن هدم دولة الظلم.

ولم يكن أقدر من الإمام الخميني على التصدي لهذه المهمة والقيام بها، بفكره الثوري السباق، وبشجاعته وصلابته، وإصراره الذي لا يلين.

فهو الرجل الذي واجه النظام بفساده وعمالته، وهو الرجل الذي أعلن بوضوح وبشكل لا يحتمل اللبس ضرورة إسقاط النظام وإقامة دولة عادلة، عندما كان ذلك النظام في أوج قوته وجبروته، والذي أعلن ضرورة المبادرة بمواجهة الظلم وعدم انتظار المُنقذ الذي قد يتخلف آلاف السنين، كما ربط إسقاط النظام الفاسد بقضايا المسلمين والمُستضعفين والأهم بمواجهة القوى الإستكبارية الاستعمارية، أيضاً هو الرجل الذي وضع نفسه في صفوف المستضعفين وعلى رأسهم، في مواجهة الطاغوت.

لهذا لا عجب أن إن اتجهت كافة القوى السياسية للتعاون مع الرجل، وبحيث تصدر المشهد كقائد ورمز لمعارضة نظام الشاه، فلم تكن هناك زعامة وقيادة ذات وزن جماهيري كبير بعد مُصدق لسحب المعارضة خلفها، خاصةً وقد أعلن الرجل منذ منتصف الستينات لا شرعية النظام القائم وضرورة إقامة حكومة العدل الإسلامية، بما يعني إسقاط نظام الشاه.

وأكثر ما يدل على الاعتراف الكامل بهذه الزعامة من ما أورده البعض عن تنسيق ما بين الزعيم الراحل جمال عبد الناصر مع الخميني، وما جرى بينهما من

اتصالات بخصوص مناهضة الشاه، ودعم وتدريب المعارضة [٦٠].

وقد صنعت كاريزما الإمام الخميني إلى جانب التنظيم الحوزوي المُحكم التأثير الجماهيري المطلوب، فحشدت الجماهير في المساقات السياسية المنشودة ضد الشاه، وهو الأمر الذي اختبره الخميني للمرة الأولى بنجاح في الثورة الأولى عام ١٩٦٣، عندما استطاع استغلال فرصة الاحتفالات بيوم عاشوراء، وألقى خطابه العنيف ضد الشاه وسياساته الموالية لأميركا وإسرائيل.

والحقيقة هي أنه من الصعب حصر دور الإمام الخميني في تلك الثورة الكبرى، فإذا كانت الأحداث التاريخية الكبرى لا تُصنع صُنعاً، فإن الأثر الكبير والبصمات الواضحة للإمام الخميني على الثورة الإيرانية وتحولاتها، يكاد يقود البعض لاعتباره صانعاً للحدث من ألفه إلى يائه، خارج سياقه الطبيعي، وهو الأمر غير الحقيقي، والذي لم يتيسر حتى اليوم لجنس بشر، فالأحداث التاريخية الكبرى، أكبر من أن يصنعها إنسان فرد مهما كانت عظمته وقدرته، علاوةً على ما في ذلك من افتئات تاريخي كبير!!

وهذا القول لا ينفي حقيقة هامة، هي أن هذه الثورة ربما تأخرت كثيراً لو غاب عنها شخص الإمام الخميني وزعامته، كما أن الخميني نفسه من أكد على أن التاريخ تصنعه الجماهير ، وليس البطل، فيقول في إحدى إعلامياته التحريضية :

«يُقال أحياناً إن البطل هو جوهر التاريخ، لكن من قال ذلك فهو مخطئ، إن الشهيد هو جوهر التاريخ، الروح الدافعة وراءه» [٦١].

* وقد كان تفجير الإمام الخميني للثورة الأولى عام ١٩٦٣م بمثابة البروفة الثورية لثورة ١٩٧٩م، حيث دُربت الجماهير على مواجهة السلطة وتحطيم هيبتها، بالصدام والاستشهاد، وبمواجهة أجهزتها الغاشمة الجبارة، التي صدرت عن نفسها

دائماً صورة الأجهزة التي لا تُقهر، وقد كان هذا التدريب ضرورياً بلا شك، رغم ما نتج عنه من ضحايا، تجاوزا العشرين ألف شهيد وآلاف الجرحى حسبما سبق بيانه.

* كما كانت الإعلاميات التحريضية للإمام الخميني بحد ذاتها - لا نقول فقط إحدى - أهم الوسائل الثورية التي عملت على التعبئة المتواصلة للجماهير على مدى سنوات [٦٢]؛ حفاظاً على إشتعال الجذوة الثورية في نفوس الجماهير؛ حتى بلوغ اليوم المنشود الذي تنفجر فيه تلك الجذوة بركاناً يكتسح الشاه ونظامه المتفسخ.

* أما عن مساهمته الأخرى الكبرى، فكانت في تحييده لقدر هائل من قوة الجيش، الذي مثل دائماً قاعدة النظام وسنده الأمين، والذي يعود إليه وجوده ذاته منذ صعد رضا بهلوي إلى سدة الحكم عام ١٩٢٥م، والذي حظى دائماً بتدليل زائد، خاصةً لكبار ضباطه، لضمان ولائهم، كما تم أُتبعت به سياسة تعيين الأقليات في بعض المراكز الحساسة، لضمانه تقديمهم ولائهم للنظام على الولاء للشعب الذي تتكون أغلبيته من طائفة أخرى مغايرة.

وقد أدرك الإمام الخميني أن الجيش هو العقبة الكأداء أما أي ثورة، فلا أمل بنجاح الثورة بدون تحييد الجيش، فلم يكن الخميني مُقتنعاً بإمكانية انتصار حركات المقاومة المسلحة على الجيش مهما أوتوا من سلاح، حيث لا مجال للمقارنة ما بين قدراتهم الشديدة المحدودية والقدرات الجبارة للجيش الشاهشاهاني، الذي تُنفق عليه المليارات، كما سبق ذكره.

وقد رأي مُحقاً أن «الطريقة الوحيدة لمحاربة الجيش هي نزع سلاحه» [٦٣]، ورغم صعوبة تحقيق هذا لما سبق ذكره من امتيازات والتركيبة الأقلوية بالجيش ومدى الارتباط بالشاه، فإنه لم ييأس، وبدأ في تنفيذ خطته، فشرع بإرسال إعلاميات متتالية متزايدة للقوات المسلحة برسائل بسيطة، متدرجة ومتطورة.

ففي البداية : «عليهم ألا يخدموا الشاه، فالشاه هو الشيطان، الطاغوتي المتجسد، وهم جند الله، المستضعفين، وينبغي عليهم ألا يطلقوا الرصاص على إخوانهم من المسلمين، لأن كل رصاصة تصيب قلب مسلم هي أيضاً رصاصة تصيب قلب القرآن، يجب أن يعودوا إلى قراهم ولأسرهم وأراضيهم، يجب أن يرجعوا إلى المسجد، إلى الله» (٦٤).

وبعدما وجد بوادر استجابة؛ طور ندائه ليصبح : «فلتتركوا الجيش بأعداد صغيرة، إما فرادى أو كل اثنين أو ثلاثة معاً، فأنتم جند الله، خذوا أسلحتكم معكم، فهي أسلحة الله»(٦٥).

وفي ضوء إستراتيجية واضحة رسمها الإمام الخميني في مخيلته للصدام المتوقع في الثورة، فقد ربط بما سبق من توجيهات لجنود الجيش توجيهات أخرى للجماهير الثائرة، حيث نبهها لعدم الرد بالعنف على الجنود، بل محاولة كسبهم، وكسب قلوبهم، فهم في النهاية من الشعب، وسيعودون إليه بعدما تكسر الجماهير بدماء شهداءها الحلقة التي تربط الجنود بالشاه، واضعاً تلك التضحيات في إطار العقيدة الاستشهادية الراسخة إسلامياً بصفة عامة وشيعياً بصفة خاصة.

* ثم كان لقيادته الواعية باستحالة الحلول الوسط، ولشخصيته الحادة في الحق والمستقيمة استقامة السيف، أثرها في استكمال الثورة حتى نهايتها، دون أدني مساومة أو مصالحة، فلا توجد حلول وسطى بين المستضعفين والمستكبرين.

وبالنهاية يمكن القول، إن تبني الإمام الخميني للجوهر الثوري للإسلام، باعتباره جهاداً للمستضعفين ضد المستكبرين، بكافة معاني هذا الجهاد وبكافة جوانبه داخلياً وخارجياً، وقدرته بحكم مكانته الدينية وكاريزميته الشخصية على تفعيل هذا الفهم جماهيرياً، بنقله إلى جماهير الشعب الواسعة، وإصراره على استحالة

الحلول الوسطى مع الطغيان، هو الدور الرئيسي الخميني الذي استطاع من خلاله، وفي ظل ظروف إيران – التي ضعفت فيها كافة القوى الثورية والتقدمية – من قيادة الشعب الإيراني إلى النجاح في ثورته العظيمة، وتحرير بلاده من أسر الاستبداد الشاهشاهاني والهيمنة الأمريكية.

خاتمة
ما يبقى من الإمام الخميني للتاريخ

إن الأسس الثورية التي أرساها الإمام الخُميني، من انحياز للمستضعفين ضد المستكبرين، ومن رفض للتبعية وإصرار على الاستقلال الكامل، لهى من التقاليد التي ستبقى تاريخياً، مهما حالت الأحوال، كما أن إيران الدولة القوية المُستقلة والمُتحررة من الهيمنة الغربية والشرقية على السواء، هي إضافةً ... لكونها نتاج لتضحيات أبناء شعبها العظيم، فإنها أيضاً لما يُحسب ضمن إنجازات القائد الذي قاد ذلك الشعب في معركة تحرره الوطني.

والتاريخ وحده من يحاكم، وليس الإنحيازات الشخصية، فالضرورات التاريخية لإيران التابعة والمحكومة بالهيمنة التاريخية، لم تكن لتخرج عن ضرورات التحرر الوطني من الهيمنة، حيث تكون أي طموحات أخرى نوع من الترف الذي لا يعبأ به التاريخ، هذه نقطة.

أما النقطة الأخرى، فهي أن أي شخص إنما يُقيم داخل إطار منظومته وحسب، وليس خارجها، وبهذا المعيار، فقد قدم الإمام الخميني أعظم ما يمكن تقديمه من استعادة للمضمون الثوري للإسلام، تماماً كما قدم أعظم نموذج لرجل الدين الثوري.

الهوامش:

(١) يعود تاريخ الصراع البريطاني الروسي على إيران لما يزيد على المائة عام وقتها، وتسجل لنا الدكتورة آمال السبكي في كتابها «تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (١٩٠٦ – ١٩٧٩)» صورة من صور العسف الإمبريالي المبكر الذي كانت تمارسه كل من بريطانيا وروسيا على إيران، فتذكر لنا أنه قد «أُجبر ملوك القاجار على عقد اتفاقيتي تركمانجاي ١٨٢٧ وباريس ١٨٥٨ مع روسيا وبريطانيا، حيث أدت الاتفاقيتان إلى تنازلات إقليمية واستسلام اقتصادي ضار بالفئات الاجتماعية الناشئة، لتحقيق مصالحهما»، «وكان من بين هذه التنازلات تخفيض عائدات التصدير للدولتين المذكورتين، ومنحهما حق إنشاء وكالات تجارية في طهران، ومنح الإعفاءات الجمركية على بضائعهما، ثم تخفيض عائدات عبور الطرق الإيرانية. ونتج عن مجمل التنازلات إغراق الأسواق الإيرانية بالبضائع المستوردة عالية الجودة، مما أضعف منافسة الصناعات اليدوية الإيرانية، وأدى تدريجيا إلى اندثار العديد منها. وكان على رأس الصناعات التي أُضيرت بفعل الاستيراد صناعة النسيج اليدوي على اختلاف أنواعها، في الوقت الذي شجعت فيه الدولتان الكبيرتان توسيع إنتاج السجاد اليدوي بغرض التصدير لهما وبالأسعار التي فرضوها في حلقة من حلقات الاحتكار الاقتصادي» ـ ص ١٢، بل ولما يسبق ذلك زمنياً، إذ يذكر لنا الأستاذ محمد حسنين هيكل عن الأفغاني «أنه اكتشف أن هناك قوتين أوربيتين عظيمتين، بريطانيا وروسيا، تتصارعان على جثة إيران» – مدافع آيه الله...قصة إيران والثورة– ص ٤٢.

(٢) إيران بين التاج والعمامة ـ أحمد مهابة ـ ص ٤٨ بتصرف.

(٣) تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (١٩٠٦ – ١٩٧٩) ـ آمال السبكي ـ ص ١٧٦.

(٤) نفس المصدر ـ ص ١٧٦.

(٥) نفس المصدر ـ ص ١٧٧.

(٦) نفس المصدر ـ ص ١٧٣.

(٧) كان الخميني قد أعد عريضة بالتعاون مع شباب رجال الدين، وضمنها ثلاثة مطالب أساسية، وهي : أولاً، تحطيم سلاسل العبودية لأميركا، وعدم التضحية باستقلال الأمة واستقلال معتقدات الشعب في سبيل تأمين مصالح أميركا والصهيونية، وثانياً، ضرورة احترام المسلمين والحريات الإسلامية، وعدم فرض حكمه بالرصاص وخداع الناس بحيل الانتخابات والثورة البيضاء، وثالثاً : ضورة استخدام ثروة إيران المتزايدة لمكافحة الفقر والجهل، وترك الشعب يأخذ حريته ليبني مستقبله ـ بتصرف من كتاب «مدافع آية الله...قصة إيران والثورة» ـ محمد حسنين هيكل ـ ص ١١٧

(٨) الملف العربي في القرن العشرين ـ د/ سليمان المدني ـ ج ٨ – ص ٤٣٩.

(٩) لم يكن ممكناً سجنه مرة أخرى، لحيازته مرتبة آية الله العظمى، والتي تحظى بحصانة خاصة ضد الاعتقال بنص دستور ١٩٠٦، وبالطبع لمكانته الكبيرة لدى الشعب الإيراني بمجمله.

(١٠) الملف العربي في القرن العشرين ـ د. سليمان المدني ـ ج ٨ – ص ٤٧٢.
(١١) سُجلت في الدفاتر الرسمية ٥٠ مليون دولار فقط ـ الملف العربي في القرن العشرين ـ ج ٨ ـ ص ٤٨٩.
(١٢) فقد قدم لفرنسا مليار دولار كدفعة مسبقة لبناء خمسة مفاعلات نووية في إيران، ومليارا ومأتي مليوناً لبريطانيا كقروض لشركات تجهيزان صناعية، ومائة ومليون دولار كمساهمة في شركة كروب الألمانية لفك أزمتها، وثلاثة مليارات دولار لإيطاليا بدل مشاريع مشتركة لم يتم تحديدها، ومليارى دولار لأفغانستان كمساعدة للنظام القائم فيها، ليحافظ على الخط السياسي الذي كان يرضي الشاه!.....الخ، وذلك في الوقت الذي «اضطرت إيران منذ سنة ١٩٧٦ إلى تعديل كثير من خطط التنمية، بحيث جمدت العمل ببعض المشاريع، وألغت البعض الآخر» (!!). بتصرف ـ الملف العربي في القرن العشرين ـ ج ٦ ـ ص ٤٨٥/٤٨٦.
(١٣) مدافع آية الله...قصة إيران والثورة ـ محمد حسنين هيكل ـ ص ١٢٨.
(١٤) الملف العربي في القرن العشرين ـ ج ٨ ـ ص ٤٨٣، بتصرف.
(١٥) يُذكر في ذات السياق الانتشار المرضي لإدمان المخدرات بين كافة طبقات الشعب، وبحيث تشر بعض الإحصاءات لكون نسبة ٧٣ % من طلاب مدارس طهران عرفوا المخدرات بشكل من الأشكال، كما كان عدد المدمنين بطهران وحدها حوالي ٦٠٠ ألف، وللعجب، أنه بينما كان المدمنين من الفقراء وأبناء الطبقة الوسطى يُقادون إلى السجون، وليس المصحات كما هو مفترض، لم يكن الأثرياء وأصحاب النفوذ تنالهم أي عقوبة، بل وتتاجر الأميرة أشرف أخت الشاه نفسها في المخدرات، بينما يحكم القانون على المُتجرين بالمخدرات بعقوبات تصل للإعدام ـ بتصرف ـ الملف العربي في القرن العشرين ـ ج ٨ ـ ص ٤٩٠/٤٩١.
(١٦) تقول بعض المصادر بميلاده عام ١٩٠٠م.
(١٧) مدافع آية الله ـ قصة إيران والثورة ـ محمد حسنين هيكل ـ ص ١٧٩.، ويستحسن قراءة كتاب علي أبوالخير ـ إيران من الثورة إلى الدولة ـ مركز العراق للدراسات
(١٨) الذي نال به درجة «آية الله العظمى».
(١٩) مدافع آية الله ـ قصة إيران والثورة ـ محمد حسنين هيكل ـ ص ١٨١.
(٢٠) أدرج الإمام الخميني ما يلي باعتباره كل ما يملك من الدنيا، في نص عرف به نفسه :

أ) الأموال غير المنقولة (مع ذكر الخصوصيات):

١ـ مترل في قم يشتمل على ديوان وبيت للعائلة ويقع في محلة باغ قلعة المعروفة.
٢ـ قطعة ارض وصلت عن طريق الإرث من الوالد وحسب معلومات السيد بسنديدة فإنها مشتركة بيني وبينه وبين ورثة المرحوم أخي السيد الهندي، وحسب معلومات السيد بسنديدة أيضاً فإن سهمي من مال اجارتها هو ٤٠٠٠ ريال لا استلمها في الوقت الحاضر.

ب) الأموال المنقولة: من النقدية أو الإيداعات الموجودة في البنوك والاسهم، والأموال المنقولة الاخرى مع ذكر القيمة التقريبية.

١ـ مبلغ صغير من المال موجود في طهران وهو إمّا نذورات أو هدايا شخصية.
٢ـ لا أملك شيئاً من الاثاث المترلي، نعم يوجد قليل من الاثاث في قم وطهران وهي ملك لزوجتي،

توجد سجادتان في البيت اعطوها لي لكي اعتبرها من أموال الخمس اذا شئت وليس لي ولا للورثة أي حق فيهما، ويجب ان تُعطى للفقراء من السادة.

عدد قليل من الكتب المتبقية من الكتب التي نهبت من مكتبتي في عهد الشاه المخلوع ولا أعرف عددها، وعدد من الكتب التي أُهديت لي من قبل مؤلفيها خلال مدة إقامتي في طهران ولا اعرف قيمتها التقريبية ولكنها مبلغ زهيد.

الأثاث الموجودة في البيت الذي اسكنه حالياً في طهران هو ملك لصاحب البيت والسيد أحمد على علم بذلك.

٣. جميع الأموال المودعة في البنوك أو الموجودة في البيت أو عند بعض الأشخاص الذين يعرفهم السيد بسنديدة ـ باستثناء المال القليل الذي سبقت الإشارة إليه ـ هي من الحقوق الشرعية وهي ليست ملكاً لي وليس للورثة فيها حق، وقد حددّت مصيرها في وصيتي.

– المصدر : الإمام يتحدث عن نفسه ـ موقع دار الولاية للثقافة والإعلام

http://www.alwelayah.net/welayah/index.php?sec=V١d٤a١IySm٥QVDA٩&sub=V١
cweFYwMHlUak٥RVkRBOQ==&r={٠٠٠١٠A٥C٠١٢DDC٣٧EC/٠٠٠٠٦٧١٨٤D
DC٤٤EFA٩٧٢٧/٠٠٠٠٠٠٠١D/٠٠٠٠٦٧١٨٤DDC٤٤EFA٩٧٢٧/٠٠٠٠٠٠٠F١AD٧/
٠٠٠٠٦٧١٨٤DDC٤٤EFA٩٧٢٧/٠٠٠٠٠٠٠/٠٠٠٠٦٧١٨٤DDC٤٤EFA٩٧٢٧/٠٠٠٠٠
٠٠/٠٠٠٠٦٧١٨٤DDC٤٤EFA٩٧٢٧/٠٠٠٠٠٠٠٦EBB٧/٠٠٠٠٦٧١٨٤DDC٤٤EFA٩٧
٢٧/٠٠٠٠٠٠٠AFDC١٢٤}&id=١٩٠٦&act=show&Sectyp=٢١٤

(٢١) الإمام الخميني والإستعمار..جذرية الرؤية ـ ص ٥ ـ موقع دار الولاية للثقافة والإعلام.

(٢٢) الإمام الخميني والاستعمار..جذرية الرؤية ـ ص ٤ ـ موقع دار الولاية للثقافة والإعلام.

(٢٣) مبادئ الإمام الخميني في الصراع الدولي والسلام العالمي والأمن القومي ـ السيد سليم الحسني – ص ٤٧– موقع دار الولاية للثقافة والإعلام.

(٢٤) نفس المصدر ـ ص ٤٨.

(٢٥) الإمام الخميني والاستعمار..جذرية الرؤية ـ ص ٩ ـ موقع دار الولاية للثقافة والإعلام.

(٢٦) المصدر السابق ـ ص ١٠.

(٢٧) المصدر السابق ـ ص ١٠.

(٢٨) الإمام الخميني والاستعمار..جذرية الرؤية ـ ص ١٠ ـ موقع دار الولاية للثقافة والإعلام.

(٢٩) المصدر السابق ـ ص ١١.

(٣٠) مبادئ الإمام الخميني في الصراع الدولي والسلام العالمي والأمن القومي ـ السيد سليم الحسني – ص ٥٧– موقع دار الولاية للثقافة والإعلام.

(٣١) بيان الحج للأمام ٢/١١/١٤٠٠ هـ – المنطلقات الفكرية للإمام القائد ـ د/ علي النجار ـ ص٢٥ ـ موقع دار الولاية للثقافة والإعلام.

(٣٢) صحيفة الإمام ـ ج ١١ ـ ص ٢٦٦، عن كتاب الاستكبار الأمريكي في كلمات الإمام الخميني.

(٣٣) خواطر للإمام الخميني ـ ص ٢٨.

(٣٤) الحكومة الإسلامية ـ روح الله الخميني ـ ص ١١٤.

(٣٥) الوصية الإلهية السياسية ـ الإمام الخميني ـ ص ٢٠/٢١.
(٣٦) الحكومة الإسلامية ـ روح الله الخميني ـ ص ١٢.
(٣٧) الحكومة الإسلامية ـ روح الله الخميني ـ ص ٦٠.
(٣٨) الحكومة الإسلامية ـ روح الله الخميني ـ ص ١٤٦، مما سبق يتضح لنا السبب الرئيسي في العداء الشديد الذي يكنه ملوك وسلاطين الإسطبلات الخليجية، وعلى رأسها ملكية آل سعود، الخميني وفكره الثوري المعادي للطغيان عموماً والملكي منه على وجه الأخص.
(٣٩) الكلمات القصار..مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني ـ ص ١١٥ ـ ١١٦.
(٤٠) الكلمات القصار..مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني ـ ص ٢٩٦ – ٢٩٧.
(٤١) الكلمات القصار..مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني ـ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ – ٢٩٩.
(٤٢) الكلمات القصار..مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني ـ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.
(٤٣) السيرة الذاتية ـ الغنوضي وأطوار من نشأة الحركة الإسلامية في تونس...(من القرية إلى الزيتونة) ـ المصدر : موقع الشيخ راشد الغنوشي
http://www.ghannoushi.net/index.php?option=com_content&view=article&id=٩٢:alghannoushi-waatwar-min-nasatil-haraka&catid=٣٨:biography&Itemid=٢٧
(٤٤) المصدر السابق.
(٤٥) المصدر السابق.
(٤٦) الوصية السياسية الإلهية ـ الخميني.
(٤٧) أنوار الطريق ـ الخميني ـ ص ٣١.
(٤٨) أنوار الطريق ـ الخميني ـ ص ١٢ ـ ١٣.
(٤٩) المصدر السابق ـ ص ٣٢.
(٥٠) صحيفة الإمام، ج١٣، ص٢٠٧–٢٠٨ ، عن كتاب الاستكبار الأمريكي في كلما الإمام الخميني.
(٥١) تيارات الفكر الإسلامي ـ دكتور محمد عمارة ـ ص ٣٤٠.
(٥٢) تصحيح اعتقاد الإمامية ـ محمد محمد النعمان ـ ص ١٣٧.
(٥٣) الكوثر..مجموعة من خطابات الإمام الخميني – ج١ ـ ص ٦٥ ـ موقع دار الولاية للثقافة والإعلام.
(٥٤) المصدر السابق ـ ص ٧٠.
(٥٥) المصدر السابق ـ ص ٢١٤.
(٥٦) الحكومة الإسلامية ـ الخميني ـ ص ١٤٢.
(٥٧) في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية .. الشيعة الإثنا عشرية ـ هنري كوربان ـ ص٧٦.
(٥٨) المصدر السابق ـ ص ٧٧.
(٥٩) الحكومة الإسلامية ـ الخميني ـ ص ٢٦.
(٦٠) لمزيد من التفاصيل، راجع : عبد الناصر والثورة الإيرانية ـ فتحي الديب.
(٦١) مدافع آية الله..قصة إيران والثورة ـ محمد حسنين هيكل ـ ص ١٩٣.
(٦٢) خاصةً في ظل ما كان يمارسه الشاه من سياسات تكميم للأفواه، ورقابة على الصحف تصل

لحد إرسال بعض المقالات جاهزة من أجهزة الأمن للصحف لنشرها !! ، ويذكر مدير صحيفة كيهان «إننا الآن مرتاحون في عملنا، حيث كنا نكتب وهم يراقبون، والآن هم يكتبون بأنفسهم» ـ خواطر ـ للإمام الخميني ـ ص ٨.

(٦٣) مدافع آية الله ـ قصة إيران والثورة ـ محمد حسنين هيكل ـ ص ١٩٠.

(٦٤) المصدر السابق ـ ص ١٩١.

(٦٥) المصدر السابق ـ ص ١٩١.